

المكتبة الشاذلية

التي خالف فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم

أفكار الإمام أبي حامد

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

شكر

العلامة أبي المعالي محمد بن شكري الأرموي

١٣٢٢ - ١٣٤٣ هـ

دراسة وتحقيقه

د. يوسف بن محمد السعيد

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية
بمدينة أمّ القيوين بالبحرين

المُسْتَأْنَدُ

الَّتِي خَالَفَ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَهْلُ الْحَاظِلِيَّةِ

لِلْمَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

شَرَحَ

الْعَلَّامَةُ أَبِي الْعَالِي مُحَمَّدُ شَكْرِي الْأَوْسِيُّ

١٢٧٣ - ١٣٤٣ هـ

دَرَسَهُ وَحَقَّقَهُ

د. يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّعِيدِ

الْأَسْتَاذُ الْمُشَارِكُ بِقِسْمِ الْعَقِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْمَعاصرةِ
بِكَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ بِالرَّيْضِ

حُقُوقُ الطَّبْعِ وَالصُّوْرِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

حُقُوقُ الطَّبْعِ وَالصُّوْرِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :
فهذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب المبارك ، وقد حرصت على تنقيحها
وتلافي ما وقع في الطبعة الأولى من الأخطاء التي لم تكن مقصودة .

ومن الطرائف أن أحد العابثين بالكتب وهو المدعو علي مصطفى خلوفا
قام بالسطو على الكتاب في طبعته الأولى ، وزاد عليه أشياء يسيرة ، وحرف
في الكتاب ، ونقل الأخطاء كما هي ، ولم يتورع عن العبث به وإفساده .

وقد قام الأخ الشيخ عبد الرحمن العسكر بنقده في أحد أعداد جريدة
«الجزيرة» وهو العدد ذو الرقم ١٠٩٠٦ الصادر يوم الخميس ٢٩ / ٦ / ١٤٢٣
فلله الأمر من قبل ومن بعد .

والله المستعان ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

يوسف بن محمد السعيد

عصر الجمعة ٢٦ / ٤ / ١٤٢٤

الرياض - حرسها الله تعالى

مقدمة التحقيق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) .

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ^(٢) .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ^(٣) .
أَمَّا بَعْدُ ...

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ .

هذا ، وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَدْ مَقَّتَ - جَلَّ جَلَالُهُ -

(١) آل عمران: (١٠٢) .

(٢) النساء: (١) .

(٣) الأحزاب: (٧٠ - ٧١) .

أَهْلَ الْأَرْضِ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمِيًّا ، وَأَذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا ، فَحَصَلَ بِبِرْكَةِ نُبُوَّتِهِ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ .

وَكَانَ النَّاسُ إِذْ بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَادَوْا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَسَلَكُوا طُرُقَ الشَّيَاطِينِ ، فَكَثُرَ فِيهِمُ الْفَسَادُ وَالشَّرُّ ، فَكَانُوا أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى مَنْ يَدُلُّهُمْ إِلَى مَا أَضَلُّوا ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَوَحْيُهُ .

وَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ بِسَبَبِ بُعْدِهِمْ عَنْ مَنَهِجِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَشَرْعِهِ ، فَأَكْثَرُ مَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - قَدْ دُرِسَ ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ لَا يُعْلَمُ صَدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ ، إِذْ سَلَكَ فِيهِ الْمُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ - وَهُمْ الْأَحْبَارُ - مَسْلَكَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ ، فَاشْتَبَهَ حَقُّهُ بِبَاطِلِهِ .

وَلَمَّا بُعِثَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ كَانَ غَايَةً هَمَّهُ وَمُرَادِهِ الْعُودَةُ بِالنَّاسِ إِلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَنَبَذَ كُلَّ مَا يُعَارِضُ ذَلِكَ ، وَالْقَضَاءُ عَلَى مَآثِرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَدَّ ﷺ فِي ذَلِكَ وَاجْتَهَدَ حَتَّى تَرَكَ النَّاسَ عَلَى الْبَيضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ ، وَأَتَمَّ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِ النِّعْمَةَ ، وَأَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

وَقَدْ حَذَرَ ﷺ مِنْ إِحْيَاءِ سُنَنِ الْجَاهِلِيَّةِ ، أَوِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِهَا ، أَوْ مُوَافَقَتِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ هَذَا مَوْقَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمُفْضَلَةِ .

وَلَمَّا بَعُدَ النَّاسُ مِنْ نَوْرِ النُّبُوَّةِ ، اجْتَالَتَهُمُ الشَّيَاطِينُ ، فَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَدَبَّتْ إِلَيْهِمْ أَنْوَاعُ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ حَتَّى اسْتَمَرَّ أَكْثَرُ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، فَأَنْكَرُوا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ،

وحاربوه ، وَغَدَتْ بَيْنَهُمُ الْبِدْعُ سُنَنًا وَالسُّنَنُ بَدْعًا ، وَتَشَبَّهُوا بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُمِّيِّينَ وَالْكِتَابِيِّينَ ، وَوَقَعُوا فِيهَا حَذَرٌ مِنْهُ ﷺ .

وَلَمَّا رَأَى عُلَمَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتِمَةِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ ، تَجَرَّدُوا لِمُحَارَبَتِهِ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ ، فَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ ذَلِكَ تَأْلِيفُ الْكُتُبِ الْمَحْذَرَةِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي ذَلِكَ ، فَأَلَّفَتْ فِي ذَلِكَ مُؤَلِّفَاتٌ عِدَّةٌ ، مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِالْتَّحْذِيرِ مِنْ مُشَابَهَةِ الْكُفَّارِ .

وَمِنْ هَذِهِ الْمَوْثِقَاتِ كِتَابُ « الْمَسَائِلِ الَّتِي خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ » وَهُوَ كُتِبَ صَغِيرُ الْحَجْمِ عَظِيمُ النَّفْعِ ، جَمَعَ فِيهِ مُؤَلِّفُهُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَسَائِلَ كَثِيرَةً خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُمِّيِّينَ وَالْكِتَابِيِّينَ .

وَلِكُونَ هَذَا الْكِتَابُ ذَا أَهَمِّيَّةٍ كَبِيرَةٍ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ السَّلَفِيَّ أَبَا الْمَعَالِي مُحَمَّدَ شُكْرِي الْأَلُوسِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَدْ قَامَ بِشَرْحِهِ شَرْحاً مُوجِزاً ، اسْتَدَلَّ فِيهِ لِبَعْضِ مَسَائِلِهِ ، وَفَسَّرَ بَعْضَ أَدْلَتِهِ ، وَرَبَطَ بَعْضَ مَسَائِلِهِ بِوَاقِعِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ .

وَلَأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَصْلِهِ ، رَغِبْتُ فِي تَحْقِيقِهِ وَنَشْرِهِ ، لَعَلَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ دُخْرًا لِي يَوْمَ الْقَاهِ .

وَقَدْ قَسَّمْتُ الْعَمَلَ فِي هَذَا الْكِتَابِ قِسْمَيْنِ :

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : قِسْمُ الدِّرَاسَةِ ، وَفِيهِ فِصْلَانِ :

الْفِصْلُ الْأَوَّلُ : التَّعْرِيفُ بِمُؤَلَّفِي الْكِتَابَيْنِ وَكِتَابَيْهِمَا ، وَفِيهِ الْمَبَاحُثُ

الآتِيَةُ :

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : تَرْجُمَةُ مُوجِزَةٌ لِمُؤَلِّفِ الْأَصْلِ .

المبحث الثاني: تَرْجَمَةُ موجزُهُ للشارح.

المبحث الثالث: منهجه في الشرح ، ومصادره.

المبحث الرابع: طَبَعَاتُ الشَّرْح ، وَتَقْوِيمُهَا.

المبحث الخامس: التَّعْرِيفُ بِالنُّسخَةِ الخَطِيَّةِ لِلشَّرْح.

الفصل الثاني: في الجاهليَّة ، وفيه المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريفُ الجاهليَّة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أنواعُ الجاهليَّة.

المبحث الثالث: حُكْمُ مخالفةِ أهلِ الجاهليَّة.

القِسْمُ الثاني: قِسْمُ التَّحْقِيقِ ، وكانَ عَمَلِي فِيهِ عَلَى النَّحْوِ الآتِي :

١ - قَابَلْتُ بَيْنَ النُّسخَةِ الخَطِيَّةِ والمطبوعةِ ، واعتمدت طريقةَ (النَّصِّ الْمُخْتَارِ) ، لِكَوْنِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُكْمِلُ الأُخْرَى ، وَأَرَى أَنَّ القَارِئَ يَهْمُهُ سَلَامَةُ النَّصِّ ، وَخُرُوجُهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَرَادَهُ مُؤَلِّفُهُ ، وَإِبْقَاءُ الخَطَأِ فِي النَّصِّ مَعَ الإِشَارَةِ إِلَيْهِ فِي الحَاشِيَةِ - عَلَى نَحْوِ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ المُسْتَشْرِقِينَ وَبَعْضُ المُتَأَثِّرِينَ بِهِمْ - أَرَى أَنَّهُ مِمَّا يُشْتَتُّ ذَهْنَ القَارِئِ .

٢ - ضَبَطْتُ النَّصَّ بِالشَّكْلِ ، وَمَا كَانَ فِيهِ وَجْهَانِ أَوْضَحْتُهُمَا بِالشَّكْلِ ، وَكَذَا مَا كَانَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ .

٣ - عَزَوْتُ الآيَاتِ إِلَى مَوَاضِعِهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى - .

٤ - خَرَّجْتُ الأحاديثَ والآثارَ الواردةَ ، واجتهدتُ في نقلِ أحكامِ أئمةِ هذا الشَّانِ عَلَيْهَا ، خَاصَّةً المُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ ، وَلَمْ أَذْكَرْ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ سِوَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ شَاكِرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ الألباني .

٥ - خرجت الأبيات الشعريّة من الدّواوين وكُتِبَ التّخارج .

٦ - عرّفت بالفرق .

٧ - علّقت على بعض المواضع التي رأيت التعلّيق عليها .

٨ - وثّقت نقولات المؤلف من المصادر التي نقل عنها .

٩ - قُمتُ بوضع فهرس للكتاب ، هي : فهرسُ الآيات ، والأحاديث

والآثار ، والأبيات ، والأعلام ، والفرق والجماعات ، والكتب الواردة في المتن ، ومصادر التّحقيق ومراجعِهِ ، والموضوعات .

هَذَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الْكِتَابِ وَأَصْلِهِ مَنْ أَلْفَهُ ، وَحَقَّقَهُ ، وَسَعَى فِي نَشْرِهِ ، وَقَرَأَهُ .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي ۖ إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

* * *

القسم الأول

الدراسة

وفيه فصلان :

- التعريف بمؤلفي الكتابين وكتابهما .
- في الجاهلية .

الفصل الأول

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : ترجمة موجزة لمؤلف الأصل .

المبحث الثاني : ترجمة موجزة للشارح .

المبحث الثالث : منهجه في الشرح ومصادره .

المبحث الرابع : طبعات الشرح وتقويمها .

المبحث الخامس : التعريف بالنسخة الخطية للشرح .

المبحث الأول

ترجمة مؤلف الأصل

● هو الإمام العلامة المصلح شيخ الإسلام ، ومُحيي ما اندرسَ من معالمه ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد ابن أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن مُشَرَف التَّمِيمِي .

● وُلد - رحمه الله تعالى - في بَلَدَةِ الْعُيَيْنَةِ من بلادِ نَجْدٍ سنةَ خمسَ عشرةَ ومائةٍ وألفٍ من هجرةِ الْمُصْطَفَى ﷺ في بَيْتِ عِلْمٍ وَدِينٍ ، فقد كان والده الشَّيْخُ عَبْدُ الْوَهَّابِ (ت ١١٥٣) قَاضِي الْعُيَيْنَةِ ومُفْتِيهَا ، وكان جَدُّهُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ (ت ١٠٧٩) قَاضِي نَجْدٍ عَامَّةً ومُفْتِيهَا .

بَدَأ - رحمه الله تعالى - في طَلَبِ الْعِلْمِ مُبَكَّرًا ، فقد حَفِظَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَى وَالِدِهِ مَبَادِيءَ الْفِقْهِ الْحَنْبَلِيِّ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْحَجِّ ، فَحَجَّ ، ثُمَّ قَصَدَ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْعُيَيْنَةِ ، وَأَكْمَلَ الْقِرَاءَةَ عَلَى وَالِدِهِ ، ثُمَّ سَافَرَ بَعْدُ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَأَخَذَ يَتَرَدَّدُ عَلَى عُلَمَائِهِمَا ، فَكَانَ مِمَّنْ أَفَادَ مِنْهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ سَيْفٍ النَّجْدِيُّ الْحَنْبَلِيُّ نَزِيلُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَيَاةُ السَّنْدِيِّ (ت ١١٦٥) ، ثُمَّ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْعُيَيْنَةِ ، وَقَرَأَ فِيهَا عَلَى وَالِدِهِ ، وَبَدَأَ دَعْوَتَهُ ، حَيْثُ دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَحَذَرَ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي كَانَ سَائِدًا فِي أَعْظَمِ أَرْجَاءِ الْبَسِيطَةِ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى

العراق ، وكان يترددُ فيها بينَ البصرة والزُّبير ، وأخذَ هناك عن الشيخِ محمدِ المجموعي ، ثم لما أرادَ العودةَ إلى بلاده مرَّ بِبلدِ الأحساء ، ونزلَ هناك على الشيخِ عبدِ الله بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللطيفِ الأحسائي ، وأقامَ عندهُ يَتَلَقَّى عنه العِلْمَ ، ثُمَّ رَجَعَ إلى نجدٍ ، ونَشِطَ في دعوتهِ إلى الله - تعالى - أمراً بالمعروفِ ، ناهياً عن المنكرِ ، مُجاهداً في سبيلِ الله بِكُلِّ ما يملكُ ، فأحيا اللهُ على يَدَيْهِ سُنناً قد دُرِسَتْ ، وتركَ العَمَلَ بِها ، وعمَّ التَّوْحِيدَ أرجاءَ كثيرةً من العالمِ الإسلاميِّ .

● تَلَمَّذَ على يَدَيِ الشَّيْخِ طلبةٌ نُجباءُ ، أصبحوا بعدُ عُلَماءَ أَجَلَاءَ ، حَمَلُوا الدَّعوةَ بعدهُ ، نَهَجُوا نَهْجَهُ ، فَنَفَعَ اللهُ - تعالى - بِهِمْ ، ومن هؤلاء :
أبناؤهُ : الشَّيْخُ عبدُ اللهِ (ت ١٢٤٣) ، والشَّيْخُ حُسَيْنُ (ت ١٢٢٤) ،
والشَّيْخُ عليُّ (ت ١٢٤٥) ، وحفيذهُ الشَّيْخُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ حَسَنِ (ت ١٢٨٥) ،
والشَّيْخُ حمدُ بنُ ناصرِ بنِ مُعَمَّر (ت ١٢٢٥) ، والشَّيْخُ حُسَيْنُ بنُ غَنَامٍ (ت ١٢٢٥) ،
والشَّيْخُ عبدُ العزيزِ الحُصَيْنِ (ت ١٢٣٧) .

● أَلَفَ الإمامُ - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - كُتُباً ورسائلَ كثيرةً ، قامتْ جامعةُ الإمامِ محمدِ بنِ سعودِ الإسلاميَّةُ بجمعِ أَكثَرِها ، وطبعه على نَفَقَتِها ، وتوزيعه ، فكانتْ أَكثَرُ مِن عَشْرِ مُجلَّداتٍ .

ومن هذه الكتبِ :

* كتابُ التَّوْحِيدِ الَّذِي هو حَقُّ اللهِ على العبيدِ .

* مسائلُ الجاهليَّةِ .

* كشفُ الشُّبُهاتِ .

* الأصولُ الثلاثةُ .

* مُختصرُ زادِ المعادِ .

* مُختصرُ السِّيرةِ .

* مُختصرُ المُغني والشرح الكبير .

● أَلَمَ بِالشَّيْخِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - مَرَضٌ شَدِيدٌ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ شَوَّالِ عَامِ ١٢٠٦ ، وَاسْتَمَرَ مَعَهُ الْمَرَضُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ - تَعَالَى - فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ الْعَامِ نَفْسِهِ ، فَاللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ ، وَاجْعَلْهُ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

* * *

المبحث الثاني

ترجمة الشارح

هُوَ أَبُو الْمَعَالِي محمود شكري بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بهاءِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الثَّنَاءِ شِهَابِ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صلاحِ الدِّينِ بْنِ محمود الخطيب الألوسي .

● ولد - رحمه الله تعالى - في اليوم التاسعَ عَشَرَ من شَهْرِ رَمَضانَ عامَ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ وَأَلْفٍ من هجرةِ النَّبِيِّ ﷺ في بَغدادَ مِنْ بِلادِ العِراقِ .

● نَشَأَ - رحمه الله تعالى - في بَيْتِ عِلْمٍ وَدِينٍ ، فقد كان كثيرٌ من أَسرَتِهِ علماءً وأدباءً ، فأبوه عَبْدُ اللَّهِ (ت ١٢٩١ هـ) كان عالِماً ، له مَوْلاَتٌ ، وجَدُّه أَبُو الثَّنَاءِ محمودُ شِهَابُ الدِّينِ صاحبُ «روحِ المعاني» كان - أيضاً - عالِماً ، وإنْ كانَ عنده شيءٌ من البِدْعِ ، فاللهُ يُسامِحُهُ ، وَمِنْ أَوْلَاءِ عَمُّهُ نُعمانُ خَيْرُ الدِّينِ صاحبُ «جَلَاءِ العَيْنِينَ» ، فقد كان خيراً دَيِّناً عالِماً وقوراً .

● بَدَأَ أَبُو المَعَالِي - رحمه الله تعالى - في طلبِ العلمِ في سِنِّ مُبَكَّرَةٍ جَدّاً ، فأخَذَ عن أبيهِ مبادئِ العَرَبِيَّةِ وَالخَطِّ ، ثُمَّ بَعْدَ وَفاةِ أبيهِ كَفَلَهُ عَمُّهُ خَيْرُ الدِّينِ فأخَذَ عَنْهُ ، كما أَخَذَ عن مَشايخِ بَلَدِهِ ، ومنهم الشَّيْخُ إِسماعيلُ بْنُ مُصطفى .

● وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوَى على سَواقِهِ عَقَدَ حَلَقاً للعلمِ في دارِهِ ينهلُ مِنْها الطُّلابُ ، وَيُفِيدونَ مِنْها ، كما دَرَسَ في جامِعِ عادِلِ خاتونَ ، وَجامِعِ

الحيدرِيَّة ، وجامع السَّيِّدِ سُلْطَانِ عَلِي ، ومدرسة المرجان .

● أَلْفَ أَبُو المَعَالِي - رحمه الله تعالى - مؤلِّفَاتٍ كَثِيرَةٌ نَفَعَ اللهُ - تعالى - بها ، ومن هذه المؤلِّفَاتِ :

* - غَايَةُ الأَمَانِي فِي الرَّدِّ عَلَى النُّبْهَانِي .

* - فَتْحُ المَنَانِ ، وهو كتابٌ أتمَّ به مِنْهَاجُ التَّأْسِيسِ فِي الرَّدِّ عَلَى دَاوُدَ ابْنِ جَرَجِيسَ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللطِيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ - رحمهم الله - .

* - صَبُّ العَذَابِ عَلَى مَنْ سَبَّ الأَصْحَابَ .

* - بُلُوغُ الأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ العَرَبِ .

* - تَارِيخُ نَجْدٍ .

* شرحُ مَسَائِلِ الجَاهِلِيَّةِ ، وهو كتابُنا هذا .

* شرحُ منظومةِ عمودِ النَّسَبِ .

* - الضَّرَائِرُ الشُّعْرِيَّةُ .

● لقد كان الشَّيْخُ - رحمه الله تعالى - على عَقِيدَةِ السَّلَفِ أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ ، يظهرُ ذلكَ جلياً في مؤلِّفَاتِهِ ، وخاصَّةً في «بلوغ الأمانِي» و«شرح مسائل الجاهلية» و«فتح المنان» ، وكان - رحمه الله تعالى - شديداً على أَهْلِ البِدْعِ ، مُحَارِباً لَهُمْ ، مُتَأَثِّراً بدعوةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ .

● تُوفِّيَ أَبُو المَعَالِي - رحمه الله تعالى - في اليَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالِ عامَ (١٣٤٢ هـ) على أَثَرِ مَرَضٍ أَلَمَ بِهِ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ العامِ

نفسِهِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - لَهُ الرَّحْمَةَ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ، وَجْزَاهُ عَلَى مَا قَدَّمَ
لِلْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ^(١) .

* * *

(١) انظر ترجمته: «محمود شكري الألوسي - سيرته ودراساته اللغوية» لمحمد بهجة
الأثري ، «أعلام العراق» ، لمحمد بهجة الأثري (ص ٨٦ - ٢٤١) ، مقدمة
«المسك الأذفر» (ص ١٣ - ٤٥) مقدمة كتاب «صب العذاب على من سب
الأصحاب» للألوسي ، والمقدمة من وضع الشيخ عبد الله البخاري
(ص ٣٧ - ١٨٣) .

المبحث الثالث

منهج الشرح

لقد يَبَيِّنُ المؤلَّفُ - رحمه الله تعالى - منهجه في شرحه هذا الكتاب في مُقَدِّمَةِ كتابه حيث قال: «... ولاشتمالها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد من تَمَسَّكَ بها إلى منازل الرَّحمة ، أَحَبُّبْتُ أَنْ أُعَلِّقَ عَلَيْهَا شَرْحاً يُفَصِّلُ مُجْمَلَهَا ، وَيُكْشِفُ مُعْضِلَهَا ، مِنْ غَيْرِ إيجازٍ مُخِلٍّ ، وَلَا إطنابٍ مُمِلٍّ ، مُقْتَصِراً فِيهِ عَلَى أَوْضَحِ الْأَقَاوِيلِ ، وَمُبَيِّناً مَا أوردَهُ مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلِيلٍ» .

فهذا منهجه قد أبانه بهذه السُّطورِ .

وقد أخلَّ - رحمه الله تعالى - بما ذكره هنا في بعض المواضع ، فتجدُهُ تارةً يُطِيلُ في بعضها إطالةً غيرَ معتادةٍ ، بينما تجدُهُ تارةً أخرى يَذْكُرُ المسألةَ دونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فيها بشيءٍ .

والشارح - رحمه الله تعالى - لا يذكر في كثير من الأحيان المسألةَ بنصها ، وإنما يمزجها مع الشرح .

في تفسيره للآيات جل اعتماده على كتاب جده أبي الشَّاء «روح المعاني» .

وفي مسائل الاعتقاد يعتمد اعتماداً كبيراً على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم .

وهو تارة يصرح بالمصدر الذي نقل عنه ، وتارة لا يصرح .
كما أن الشارح - رحمه الله تعالى - عني كثيراً بربط هذه المسائل بما
يشاهده من أهل زمانه ، مما يجعل هذا الكتاب مصدراً معتبراً لمعرفة أحوال
الناس وقت الشارح .

* * *

المبحث الرابع طباعات الكتاب

لقد تمَّ طبعُ هذا الكتاب أوَّلَ مرَّةٍ عامَ ١٣٤٧ هـ بالمطبعةِ السَّلفِيَّةِ للسَّيِّدِ مُحَبِّ الدِّينِ الخطيبِ - رحمه الله تعالى - بمصرَ ، أي بعدَ وفاةِ المؤلِّفِ - رحمه الله تعالى - بأربعِ سنواتٍ ، واعتمدَ فيها على نسخةٍ أهداه إياها الأستاذُ محمد بهجة الأثريُّ أحدُ تلامذةِ المؤلِّفِ ، ثُمَّ صُوِّرَ عن هذه الطَّبعةِ مرارًا كثيرةً .

وقد حَرَصَ مُحَبُّ الدِّينِ - رحمه الله تعالى - على إخراجِها لِلنَّاسِ ، كي يُفيدوا منها ، فكانَ له ما أَرَادَ ، فأفادَ النَّاسُ من هذه الطَّبعةِ ، وانتشرتْ بَيْنَهُمْ ، فجزاهُ الله عنهم خيرَ الجزاءِ .

وفي عامَ ١٤١٢ هـ قامتْ دارُ المجدِ للنَّشرِ والتَّوزيعِ بالرياضِ بِصَفِّ حروفِ هذا الكتابِ صَفًّا جَدِيدًا ، معتمدةً على طبعَةِ الكتابِ السَّابِقَةِ ، بما فيها تعليقاتِ الناشرِ .

الملحوظاتُ على مطبوعةِ السَّلفِيَّةِ ومطبوعةِ دارِ المجدِ :

إِنَّ كُلَّ عَمَلٍ بَشَرِيٍّ لَا بُدَّ أَنْ يَلْحَقَهُ شَيْءٌ مِنَ النِّقْصِ ، وَإِنَّهُ مَعَ حَرَصِ السَّيِّدِ مُحَبِّ الدِّينِ عَلَى إِخْرَاجِ الْكِتَابِ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ ، لَمْ تَسْلَمْ هَذِهِ الطَّبعةُ مِنَ الْأَخْطَاءِ ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ :

١ - عدم وصف النسخة الخطية التي اعتمدها في إخراج الكتاب .

٢ - عدم تمييزه بين تعليقاته وتعليقات المؤلف ، فقد كان له - رحمه الله تعالى - تعليقات ، وللمؤلف تعليقات ، فلم يُمَيِّزَ بَيْنَهُمَا ، ولا يَعْرِفُ ذلك إِلَّا مَنْ وَقَفَ عَلَى المخطوط .

٣ - التَّدْخُلُ فِي نصِّ المؤلف ، فقد وُضِعَتْ عناوين للمسائل ليست في النسخة الخطية التي بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَإِنْ كَانَتْ موجودةً فِي النسخة الخطية التي اعتمدها ، فهذا مما يُدْلِلُ عَلَى أَهْمِيَّةِ وصفها ، وتصوير بعض أوراقها في أوَّل الكتاب ، وَإِنْ لم تكن موجودةً ، فهذا تَدْخُلُ فِي النصِّ لم يُشْرَإِله .

٤ - جاء عَلَى طَرَّةِ النسخة الخطية التي بَيْنَ أَيْدِينَا ما نصُّهُ : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَى حَضْرَةِ الإمام الهمام ، إمام الأئمة ، أعني به جناب الشيخ عبد الله بن خَلْفِ بْنِ دُحْيَانَ المحترَّم ، أَعْلَى اللَّهِ - تعالى - (١) آمين ، بَعْدَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى الدَّوَامِ ، أَقْدَمُ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَهُوَ شَرْحُ مَسَائِلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، هَدِيَّةٌ إِلَيْكَ ، فَالرَّجَاءُ قَبُولُهَا وَالتَّحَفُّظُ عَلَيْهَا ، لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَفندي نَجَلَ السَّيِّدِ ثَابِتِ الْأُلُوسِيِّ وَبَهْجَةِ الْأَثَرِيِّ أَرْسَلَهَا إِلَى مِصْرَ لِأَجْلِ الطَّبْعِ ، لَكِنْ بَعْدَ مَا غَيَّرَا فِيهَا وَبَدَّلَا ، وَهَذِهِ صُحِّحَتْ مَرَارًا وَكَرَارًا ؛ فَلِذَلِكَ أُوصِيكَ بِحِفْظِهَا وَالسَّلَامُ ، ٣ ذِي الْقَعْدَةِ ١٣٤٥ عَبْدُ الْكَرِيمِ السَّيِّدُ عَبَّاسٌ » .

وَبَعْدَ الْمَقَابَلَةِ لَمْ يَظْهَرْ لِي سِوَى مَا ذَكَرْتُهُ قَبْلُ ، فَلَعَلَّهُ يُشِيرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَيْهِ .

* * *

(١) هنا كلمة لم أستبناها .

المبحث الخامس

وصف النسخة الخطية

حصلت على هذه النسخة من صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ - وفقه الله تعالى - ، وهي مصورة عن مكتبة الموسوعة الفقهية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت .

وتتكون من خمس وأربعين لوحة ، في كل لوحة وجهان ، متوسط أسطر كل وجه عشرون سطراً ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر أربع عشرة كلمة .

وخطها جيد ، وهي مكتوبة بقلم عبد الكريم السيد عباس الشихلي ، عام ١٣٤٤ هـ .



الفصل الثاني

وفي ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الجاهلية لغةً واصطلاحاً .

المبحث الثاني : أنواع الجاهلية .

المبحث الثالث : حكم مخالفة أهل الجاهلية .

المبحث الأول تعريف الجاهلية

أولاً: التعريف اللغوي:

الجاهلية في اللغة: مصدر صناعي، مأخوذ من الجاهلي، نسبة إلى الجاهل المشتق من الجهل.

والجهل خلاف العلم ونقيضه.

يقال: جهل فلان جهلاً وجاهلةً، وجاهل عليه، وتجاهل، واستجهل.

والجمع منه: جهل، وجاهل، وجاهل، وجاهل، وجاهل.

قال - تعالى -: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ﴾^(١).

ومنه قولهم للمفازة التي لا علم بها: «مجهل».

ويطلق الجهل ويراد به الخفة التي هي خلاف الطمانينة، ويراد به الطيش، ومنه قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر «مجهل»^(٢)، ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

(١) البقرة: (٢٧٣).

(٢) انظر: معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس: «جهل» (٤٨٩/١)، «تهذيب اللغة» للأزهري: «جهل» (٥٦/٦ - ٥٧)، «المحكم» لابن سيده: «جهل» (١١٩/٤)، «الصاحح» للجوهري: «جهل» (١٦٦٣/٤ - ١٦٦٤)، «لسان العرب» لابن منظور: «جهل» (١٢٩/١١)، «تاج العروس» للزبيدي: «جهل» (٣٦٨/٧).

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(١)
والجهلُ ثلاثة أنواع :

أحدها : جهلٌ بسيطٌ ، وهو خُلُوُّ النَّفْسِ مِنَ الْعِلْمِ .
ثانيها : جهلٌ مُرَكَّبٌ ، وهو اعتقادُ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ .
ثالثها : فعلُ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا حَقُّهُ أَنْ يُفْعَلَ^(٢) .

التَّعْرِيفُ الاصْطِلَاحِيُّ :

اختلفت عباراتُ النَّاسِ في تعريفِ الجاهليَّةِ والمُرَادِ مِنْهَا ، وسأذكرُ هنا
بعضاً منها ، ثُمَّ أختُمُ ذلكَ بالمختار .
التَّعْرِيفُ الأوَّلُ :

قال الإمامُ النَّوَوِيُّ - رحمه الله تعالى - : «المُرَادُ بالجاهليَّةِ ما كان في
الفترةِ قَبْلَ الإسلامِ»^(٣) .

ويؤخَذُ على هذا التَّعْرِيفِ كونهُ غيرَ جامعٍ ، وذلك أنَّ الجاهليَّةَ جاءَ
إطلاقُها حتَّى بَعْدَ البِعْثَةِ ، كما قال ابنُ عَبَّاسٍ - رضي الله تعالى عنهما - :
«سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : اسْقِنَا كَأْساً دِهَاقاً»^(٤) ، وابنُ عَبَّاسٍ إِنَّمَا
وُلِدَ بَعْدَ البِعْثَةِ^(٥) .

(١) «ديوان عمرو بن كلثوم» (ص ٧٨) ، «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي
(ص ٣٠٠) ، «شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص ٢٨٨) ، «شرح القصائد
المشهورات» لابن النحاس (١٢٥/٢) .

(٢) انظر : «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص ١٠٢) ، «اقتضاء
الصبر المستقيم» (١/٢٢٤ - ٢٢٥) .

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٢/١١٠) .

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب مناقب الأنصار - باب أيام الجاهلية
(٢٣٦/٤) .

(٥) انظر : «طبقات ابن سعد» (٢/٣٦٥ - ٣٧٢) ، «تهذيب الكمال» للمزي
(١٥٤/١٥ - ١٦٢) ، «فتح الباري» لابن حجر (٧/١٨٣) .

التعريفُ الثاني :

قال ابن الأثير - وَتَبَعَهُ ابْنُ مَنْظُورٍ - : «هي - أي الجاهليَّةُ - الحالُ التي كانت عليها العربُ قَبْلَ الإسلامِ ، مِنْ الجَهْلِ بالله - سُبْحَانَهُ وتعالى - ورسوله ﷺ ، وشرائعِ الدِّينِ ، والمفاخرةِ بالأنسابِ ، والكِبَرِ ، والتَّجَبُّرِ ، وغيرِ ذَلِكَ»^(١).

ويؤخذُ على هذا التعريفِ :

أ - تخصيصُهُ العربَ بِذلك ، مَعَ أَنَّ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ يَشْرِكُهُمْ فِيهِ .
ب - أَنَّهُ جَعَلَ نِهَايَةَ هَذِهِ الْحَالِ بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ مَرَّ قَبْلَ قَلِيلٍ أَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ أَطْلِقَتْ حَتَّى بَعْدَ الْإِسْلَامِ .
التعريفُ الثالثُ :

وهو للأستاذِ مُحَمَّدٍ قُطْبٍ حَيْثُ قَالَ : «هي - أي الجاهليَّةُ - حالةٌ نفسِيَّةٌ ترفضُ الاهتداءَ بِهُدَى اللَّهِ ، وَوَضْعُ تَنْظِيمِيٍّ يرفضُ الْحُكْمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ»^(٢) .
ويؤخذُ على هذا التعريفِ كَوْنُهُ غَيْرَ جَامِعٍ ؛ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ الْحَالَ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَ مَجِيئِهَا هُدَى اللَّهِ .

وفيه قصر على الوضع التنظيمي الذي يرفض الحكم بما أنزل الله ، مع أن الأمر أعظم من ذلك ، فحكم الله ليس في الأمور التنظيمية فقط ، بل هو أعم من ذلك كله .

التعريفُ الرَّابِعُ :

وهو التعريفُ الَّذِي وَضَعَهُ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ : «الجاهليَّةُ :

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٢٣٢/١) ، «لسان العرب» «جهل» (١١/١٣٠) .

(٢) «جاهلية القرن العشرين» (ص ١١) .

هي الحالة التي تكون عليها الأمة قبل أن يجيئها الهدى والنُبوَّة»^(١) .
ويؤخذ على هذا التعريف ما أخذ على التعريف الأول .
التعريف الخامس :

«الجاهليَّة: هي الحالة التي تكون عليها أمة ما قبل مجيئها هدى الله ،
والحالَّة التي تمتنع فيها أمة ما أو بعض أمة من الاستجابة لهدى الله» .
وهذا التعريف هو المختارُ عندي ، والذي أراه مناسباً لهذا المقام ،
وذلك للآتي :

١ - كونُ هذا التعريفِ أَدْخَلَ أَهْلَ الْفَتَرَاتِ ، وأَدْخَلَ مَنْ أَمْتَنَعَ مِنْ اتِّبَاعِ
الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَهُ .

فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ فِي قَوْمٍ أَمَّيَّنَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْكِتَابِ ، فَهَؤُلَاءِ
يُنَاسِبُهُمُ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّعْرِيفِ ، كَمَا أَنَّ ﷺ لِعُمُومِ رِسَالَتِهِ بُعِثَ - أَيْضاً
لِقَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ ، وَهَؤُلَاءِ يَنَاسِبُهُمُ الْجُزْءُ الثَّانِي ، كَمَا أَنَّ فِي أُمَّتِهِ ﷺ مَنْ
يَمْتَنِعُ مِنَ الْإِهْتِدَاءِ بِهِدْيِهِ .

٢ - مُوَافَقَةُ هَذَا التَّعْرِيفِ لِمَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَقْسَامِ الْجَهْلِ .

* * *

(١) «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذي وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ٢٢٠) .

المبحث الثاني أنواع الجاهلية

تَنَوَّعُ الجَاهِلِيَّةُ أنواعاً بحسبِ اعتباراتٍ مختلفةٍ ، وإليك بعضَ أنواعِها :

أَوَّلًا - أنواعُها مِنْ حَيْثُ الإِطْلَاقُ والتَّقْيِيدُ :

تَنَوَّعُ الجَاهِلِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الإِطْلَاقُ والتَّقْيِيدُ نوعين :

النَّوعُ الْأَوَّلُ : جَاهِلِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ ، وهي الجَاهِلِيَّةُ الْعَامَّةُ ، وهذه كانت قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَمَّا بَعْدَ الْمَبْعَثِ فَلَا ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : « فَأَمَّا فِي زَمَانٍ مُطْلَقٍ ،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب المناقب - باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر - (١٨٧/٤) ، وفي كتاب التوحيد - باب قول الله - تعالى - : « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ » - (١٨٩/٨) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الإمارة - باب قوله ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ » - (١٥٢٤/٣) من حديث معاوية .

وأخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ » ، وهم أهل العلم - (١٤٩/٨) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الإمارة باب - قوله ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي . . . » - (١٤٢٥/٣) ح ١٩٢٣ من حديث المغيرة بن شعبة .

فلا جاهليَّةَ بَعْدَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ . . . »^(١) وذكر معنى الحديث السابق .

ومن هذا النوع قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾^(٢) .

وقول حذيفة - رضي الله عنه - : « إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَ اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ . . . »^(٣) .

وعلى هذا ؛ فلا يجوز إطلاق الجاهليَّة على قَرْنٍ مِنَ الْقُرُونِ مُنْذُ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ إلى يومنا هذا ، وما يقع فيه بعضُ الكُتَابِ مِنْ هذه الإطلاقاتِ يَنْبَغِي أَنْ يُتَفَادَى بِالتَّصْحِيحِ^(٤) .

النَّوعُ الثَّانِي : جَاهِلِيَّةٌ مُقَيَّدَةٌ ، وهي الجاهليَّةُ الَّتِي تَقُومُ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ ، أَوْ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ وَالْجَمَاعَاتِ .

وهذا النوعُ يَكُونُ حَتَّى بَعْدَ مَبْعَثِهِ ﷺ .

ومِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ : « إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ »^(٥) .

ثانياً - أنواعها مِنْ حَيْثُ الْفَتْرَةُ الزَّمَنِيَّةُ :

تَنَوَّعُ الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الْفَتْرَةُ الزَّمَنِيَّةُ نَوْعَيْنِ :

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » (١/٢٢٧) .

(٢) الأحزاب : (٣٣) .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام

(٤/١٧٦) ، ومسلم في « صحيحه » - كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة

المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة

الجماعة - (٣/١٤٧٤) ح ١٨٤٧ ضمن حديث طويل .

(٤) انظر : تعليق الدكتور ناصر العقل على « اقتضاء الصراط المستقيم » (١/٢٢٧) .

(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » - كتاب الإيمان - باب المعاصي من أمر الجاهلية ،

ومسلم في « صحيحه » - كتاب الإيمان - باب إطعام المملوك مما يأكل . . .

- (٣/١٢٨٢ - ١٢٨٣) ح ١٦٦١ .

التَّوَعُّ الْأَوَّلُ: جَاهِلِيَّةٌ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ.

وهذا التَّوَعُّ يُطْلَقُ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ «الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى».

قال قتادة في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: «هِيَ مَا قَبْلَ الْإِسْلَام»^(١).

التَّوَعُّ الثَّانِي: جَاهِلِيَّةٌ مَا بَعْدَ مَبْعَثِهِ ﷺ.

وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا بَعْضُهُمْ «الْجَاهِلِيَّةُ الْآخَرَى».

والمُرَادُ بِهَا: مَا شَابَهُ فِيهِ النَّاسُ بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ.

قال ابنُ جريرٍ - رحمه الله تعالى -: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوْفَى الْإِسْلَامِ جَاهِلِيَّةٌ حَتَّى يُقَالَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ الَّتِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ؟ قِيلَ: فِيهِ أَخْلَاقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢).

وقال الشُّوكَانِيُّ - رحمه الله تعالى -: «وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِالْجَاهِلِيَّةِ الْآخَرَى مَا يَقَعُ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ»^(٣).

ثَالِثًا - أَنْوَاعُهَا مِنْ حَيْثُ مُتَعَلِّقُهَا:

تَتَوَعُّ الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ حَيْثُ مُتَعَلِّقُهَا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً جِدًّا ، يَصْعَبُ حَصْرُهَا ، فَمِنْهَا جَاهِلِيَّةُ الْمُعْتَقَدِ ، وَمِنْهَا جَاهِلِيَّةُ الْأَخْلَاقِ ، وَمِنْهَا جَاهِلِيَّةُ الْاِقْتِسَادِ ، وَمِنْهَا جَاهِلِيَّةُ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ ، وَمِنْهَا جَاهِلِيَّةُ الْفَنِّ . . . إلخ^(٤).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٥٢٨/٤).

(٢) «تفسير ابن جرير» (٥٢٢/٤ - ٥).

(٣) «فتح القدير» (٢٧٨/٤).

(٤) انظر بتوسع في هذا: «جاهلية القرن العشرين» لمحمد قطب ، «مصطلحات إسلامية» لمحيي الدين القضايني (ص ٤٦ - ٥٢).

وبِالْجُمْلَةِ ، فَكُلُّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ خُولِفَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَهُوَ أَمْرٌ جَاهِلِيٌّ^(١) .

رابعاً - أنواعها من حيث الحكمُ:

تَتَنَوَّعُ الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الْحُكْمُ نَوَعَيْنِ:

النَّوعُ الْأَوَّلُ: جَاهِلِيَّةٌ كُفْرٌ.

وَمِنْ هَذَا النَّوعِ قَوْلُهُ - تعالى -: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾^(٢) ، وقوله - تعالى -: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾^(٣) .

النَّوعُ الثَّانِي: جَاهِلِيَّةٌ مَعْصِيَةٌ ، وَهِيَ مَا تَكُونُ بتركٍ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ دُونَ الْكُفْرِ^(٤) ، وَهَذِهِ لَا يَكْفُرُ صَاحِبُهَا^(٥) .

وَمِنْ هَذَا النَّوعِ قَوْلُهُ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ: «إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»^(٦) وَكَذَا الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ .
هَذِهِ أَهْمُ أَنْوَاعِ الْجَاهِلِيَّةِ حَسَبَ عِلْمِي ، وَاللَّهُ - تعالى - أَعْلَمُ .

* * *

(١) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص ٢٦١) .

(٢) آل عمران: (١٥٤) .

(٣) المائدة: (٥٠) .

(٤) انظر: «فتح الباري» (١/٨٥) .

(٥) انظر: «صحيح البخاري» - كتاب الإيمان - باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك .

(٦) سبق تخريجه (ص ٣٤) .

المبحث الثالث حكم مخالفة أهل الجاهلية

لَقَدْ تَظَاهَرَتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى وَجوبِ مُخَالَفَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَحْرِيمِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ ، سِوَاءَ كَانُوا فِي عِبَادَاتِهِمْ أَوْ عَادَاتِهِمْ ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى ذَلِكَ^(١) .

وَلِكثَرَةِ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا ، اجْتَهَدْتُ فِي حَضَرِ دِلَالَتِهَا ، مَعَ الْاِسْتِدْلَالِ لِكُلِّ دِلَالَةٍ بِنَصٍّ أَوْ أَكْثَرٍ ، فَكَانَتْ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي :

أولاً - الْأَمْرُ الصَّرِيحُ بِالمُخَالَفَةِ :

جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ صَرِيحَةً فِي الْأَمْرِ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، مِمَّا يَعْنِي وَجوبَ مَخَالَفَتِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ يَقْتَضِي الْوَجوبَ مَا لَمْ يَصْرِفْهُ صَارْفٌ^(٢) ، وَلَا صَارْفٌ هُنَا ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا يَأْتِي :

عَنْ ابْنِ عَمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ : أَحْفُوا الشَّوَارِبَ ، وَأَوْفُوا اللَّحَى »^(٣) .

(١) انظر : « اقتضاء الصراط المستقيم » (١/ ٨٢ و ٣٢٠) .

(٢) انظر : « العدة في أصول الفقه » لأبي يعلى (١/ ٢٢٤) ، « التمهيد » لأبي الخطاب الكلوزاني (١/ ١٤٥) ، « المحصول في علم الأصول » للرازي (٢/ ٦٦) ، « روضة الناظر » لابن قدامة (ص ١٩٣) ، وغيرها من كتب الأصول .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » - كتاب اللباس - باب تقليم الأظافر - (٧/ ٥٦) ، ومسلم في « صحيحه » - كتاب الطهارة - (١/ ١٢٢) ح ٢٥٩ ، واللفظ له .

وعن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، بِيضٍ لِحَاهُمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! حَمُّوْا ، وَصَفُّوْا ، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتِرُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَسَرَّوْا ، وَاتَّرِوْا ، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَخَفُّوْنَ ، وَلَا يَتَنَعِّلُونَ ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَتَخَفُّوْا ، وَاتَّنَعِّلُوا ، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقْصُونَ عَثَانِيْنَهُمْ^(١) ، وَيُوفِّرُونَ سِبَالَهُمْ^(٢) ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قُصُّوا سِبَالَكُمْ ، وَوَفِّرُوا عَثَانِيْنَكُمْ ، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»^(٣).

وقال ﷺ : «خَالِفُوا الْيَهُودَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ ، وَلَا خِفَافِهِمْ»^(٤).

-
- (١) العثانين : جمع عثنون ، وهو اللحية .
انظر : «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١٨٣/٣) .
- (٢) السبال : جمع سبلة بالتحريك ، وهي الشارب .
انظر «النهاية في غريب الحديث» (٣٣٩/٣) .
- (٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٤/٥) ، والطبراني في «الكبير» (٢٨٢/٨) ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣١/٥) : «رجال أحمد رجال الصحيح ، خلا القاسم ، وهو ثقة ، وفيه كلام لا يضر» ، وحسن إسناده أحمد ابن حجر في «فتح الباري» (٣٦٧/١٠) ، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٩/٣) .
- (٤) أخرجه أبو داود في «سننه» - كتاب الصلاة - باب الصلاة في النعل - (٤٢٧/١) ح ٦٥٢ ، وابن حبان كما في «الإحسان» - كتاب الصلاة - باب فرض متابعة الإمام (٣٠٦/٣) ح ٢١٨٣ ، والحاكم في «مستدرکه» - كتاب الصلاة - (٢٦٠/١) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» - كتاب الصلاة - باب سنة الصلاة في النعلين (٤٣٢/٢) ، والبيهقي في «شرح السنة» - كتاب الصلاة - باب الصلاة في النعال (٤٤٣/٢) ح ٥٣٤ .

ثانياً - النَّهْيُ عَنْ مِثَابَهَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي أَهْوَائِهِمْ بِصِيغَتِهِ :
 كَمَا جَاءَتِ الْأَدَلَّةُ صَرِيحَةً فِي الْأَمْرِ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَدْ جَاءَتْ
 - أَيْضاً - صَرِيحَةً فِي النَّهْيِ عَنْ مِثَابَهَتِهِمْ فِي أَهْوَائِهِمْ بِصِيغَةِ النَّهْيِ الْحَقِيقِيَّةِ
 « لَا تَفْعَلْ » ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَدَلَّةُ :

قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (١) .
 وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٢) .

وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٣) .
 وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
 الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ نَهْيٌ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
 لَا يَعْلَمُونَ ، « وَقَدْ دَخَلَ فِي الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُ .

وَأَهْوَاؤُهُمْ هُوَ مَا يَهُوونَهُ ، وَمَا عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ هُدْيِهِمُ الظَّاهِرِ ، الَّذِي
 هُوَ مِنْ مُّوجِبَاتِ دِينِهِمُ الْبَاطِلِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ ، فَهُمْ يَهُوونَهُ ، وَمُؤَافَقَتُهُمْ فِيهِ
 اتِّبَاعٌ لِّمَا يَهُوونَهُ » (٥) .

وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا
 وَاسْمَعُوا ﴾ (٦) .

(١) المائدة : (٤٨) .

(٢) المائدة : (٤٩) .

(٣) الشورى : (١٥) .

(٤) الجاثية : (١٨) .

(٥) « اقتضاء الصراط المستقيم » (١ / ٨٥) .

(٦) البقرة : (١٠٤) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : «نَهَى اللهُ - تعالى - عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ»^(١).

فهذه بعض الأدلة على النهي عن مشابهة أهل الجاهلية بصيغته .

ثالثاً - بيان سوء عاقبة من اتبع أهل الجاهلية :

لقد جاءت الأدلة صريحة في بيان العاقبة المخزية التي أعدّها الله - تعالى - لِمَنْ خَالَفَ أمرَهُ ، وَتَشَبَّهَ بِأَعْدَائِهِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِنَاعَةِ الْفِعْلِ وَقُبْحِهِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَدْلَةُ :

قَوْلُهُ - تعالى - : ﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَادِي وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْإِلَهِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^(٢).

وقوله - تعالى - : ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٣).

ففي هاتين الآيتين تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة ، والخطاب مع الرسول ﷺ ، والمراد أمته^(٤) ، ووصف - تعالى - التابعين بأنهم ظالمون ، ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «ومُتَابِعُهُمْ فِيمَا

(١) «تفسير ابن كثير» (١/١٤٨).

(٢) البقرة: (١٢٠).

(٣) البقرة: (١٤٥).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/١٦٣).

(٥) الإنسان: (٣١).

يَخْتَصُّونَ بِهِ مِنْ دِينِهِمْ وَتَوَابِعِ دِينِهِمْ ، اتَّبَاعٌ لِأَهْوَائِهِمْ ، بَلْ يَحْصُلُ اتِّبَاعُ أَهْوَائِهِمْ بِمَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ»^(١).

وقوله - تعالى - : ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «ثُمَّ قَوْلُهُ : فَاسْتَمْتَعْتُمْ وَخُضْتُمْ ، خَبَرٌ عَنْ وَقْعِ ذَلِكَ فِي الْمَاضِي ، وَهُوَ دَمٌ لِمَنْ يَفْعَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كَسَائِرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ عِنْدَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ فَإِنَّهُ دَمٌ لِمَنْ حَالُهُ كَحَالِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

رابعاً - نَعْتُ الْمُتَشَبِّهِينَ بِمَا يُفِيدُ شَنَاةَ فِعْلِهِمْ :

كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ : «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ : مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ ، وَمُتَّبِعٌ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ ، وَمُطَلِّبٌ دَمَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيَهْرِيْقَهُ»^(٤).

وقوله ﷺ : «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا ، وَذِرَاعًا ذِرَاعًا ،

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١ / ٨٥ - ٨٦).

(٢) التوبة : (٦٩).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١٠٤ - ١٠٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الديات - باب من يطلب دم امرئ بغير حق (٣٩ / ٨).

حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ ، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ»^(١).

قال ابنُ عبدِ البرِّ - رحمه الله تعالى - : «وكانَ ﷺ يُحِبُّ مُخَالَفَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ ، وَكَانَ يَخَافُ عَلَى أُمَّتِهِ اتِّبَاعَهُمْ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ ﷺ عَلَى جِهَةِ التَّعْيِيرِ وَالتَّوْبِيخِ : «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ . . .»»^(٢).

وَقَالَ الْمُنَاوِي: «وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْمَوَافَقَةِ لَهُمْ فِي الْمَخَالَفَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْكَفْرِ ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا لَفْظُ خَبَرٍ مَعْنَاهُ النَّهْيُ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ ، وَمَنْعُهُمْ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ لِغَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ»^(٣).

فَهَذِهِ بَعْضُ الْأَدَلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُوبِ مُخَالَفَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَحَرَمَةِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ ، وَبَقِيَ كَثِيرٌ تَرَكْتُهَا اختصاراً^(٤) ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - أَعْلَمُ.

* * *

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن النبي ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم» - (١٥١/٨) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب العلم - باب اتباع سنن اليهود والنصارى - (٢٠٥٤/٤) ح ٢٦٦٩ .

(٢) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٤٥/٥) .

(٣) «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» (٢٦١/٥) .

(٤) راجعها في مقدمة شرح المحقق لمسائل الجاهلية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اذ حفظت الايام الرهاص راكبا زائعا
 اعني به حباب الببحر عبد الله بن خلف بن
 وحبان المصنم اعلا الله تعالى اعلى السموات
 امين بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى
 وبركاته على الدوام اقلدكم كما جاهدت
 وبيدكم الا وهو شريح كسائر الجاهليين
 اللسان اليك فارجا قبيحا
 هدية اليك فان ارادهم
 والتحقظ عليها بنابت الالوك
 ارفق بخد البية بنابتها
 وبجبت الالوك
 الى مصر رجل الطبع
 كنت بعد ما جئت
 فيها ويداها وهدية
 صحت مرارا وكرارا
 فلتك اوصيت
 بحفظها واسلم
 ذر القعة ١٥٠٠
 الذي
 عبد الرحمن

وزارة الشؤون الاسلامية
 مكتبة الموسوعة الشريعة
 رقم التمثيل : _____
 رقم التسجيل : _____



صورة الغلاف

وهذا آخر ما ارادنا من هذا المسائل التي ابطالها الاسلام وغايتها ان لا يصل
 مباحث رومن مسائل في كتاب اقتضاها الرضا المستقيم ومن
 اراد التفصيل فاليرجع اليه ~~والله اعلم~~ وهذا آخر ما ارادنا شرحه
 من المسائل التي ابطالها الاسلام والحمد لله ولي الانعام والصلوة والسلام
 على خير الانام ومصباح الظلام وعلى آل وصحبه ومن تبعهم باحسان
 الى قيام الساعة وساعة القيام وكان ذلك في اليوم الخامس
 من ذي الحجة الحرام وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة خمس وعشرين
 وثلاثمائة والفر من هجرة النبي عليه افضل الصلوة والمكمل السلام

سنة
 ١٣٤٥
 ذو الحجة

وقد فرغت من كتابه صباح الجمعة في اليوم السابع والعشرين من شهر
 شعبان سنة اربع واربعين واثلاثمائة والفر من هجرة خير الانام عليه
 الصلوة والسلام في بغداد دار السلام في جامع الجيد رخاءنا وانا الفقير
 اليه عز شأنه عبد المرحوم بن ابي عبد الله الشيخ غفر الله لهما وجميع
 المسلمين

سنة
 ١٣٤٤
 شعبان
 ٤٧



القسم الثاني التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا الصُّرَاطُ المُسْتَقِيمَ بأوضح
البراهين ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، الذي أَنْقَذَ
بشريعته الغراء مِنْ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينَ ،
الذين جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَتَّى أَنَاهُمْ الْيَقِينَ .
أَمَّا بَعْدُ :

فيقول العبدُ الْمُفْتَقِرُ إِلَى عَفْوِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ : محمود سُكْرِي الْأَلُوسِيُّ
البغدادِيُّ - كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ وَأَحْسَنَ عَمَلَهُ ، وَأَنَالَهُ مِنَ الْخَيْرِ أَمَلَهُ^(١) : - إِنِّي
وَقَفْتُ عَلَى رِسَالَةٍ صَغِيرَةٍ الْحَجْمِ ، كَثِيرَةِ الْفَوَائِدِ ، تَشْتَمِلُ عَلَى نَحْوِ مِائَةِ
مَسْأَلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْأُمِّيِّينَ
وَالْكِتَابِيِّينَ ، وَهِيَ أُمُورٌ ابْتَدَعُوهَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلَا أُخِذَتْ
عَنْ نَبِيِّ مِنَ النَّبِيِّينَ ، أَلْفَهَا الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ ، وَالْقُدُوءَةُ الْفَهَامَةُ^(٢) ،
مُحْيِي السُّنَّةِ السَّيِّئَةِ^(٣) ، وَمُجَدِّدُ الشَّرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ ، مُحَدِّثُ عَصَرِهِ ،
وَحَافِظُ دَهْرِهِ ، تَذَكُّرُ السَّلَفِ ، وَعُمْدَةُ الْخَلْفِ^(٤) ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) «وأناله من الخير أمله» ليست في المطبوع .

(٢) «العالم . . . الفهامة» ليست في المطبوع .

(٣) «السنية» ليست في المطبوع .

(٤) «محدث . . . الخلف» ليست في المطبوع .

عبد الوهَّابِ النَّجْدِيُّ الحنبليُّ - تَعَمَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ ، وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّتِهِ^(١).

يَبْدَأُ أَنَّ مَسَائِلَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ^(٢) فِي غَايَةِ الْإِيجَازِ ، بَلْ كَادَتْ تُعَدُّ مِنْ قَبِيلِ الْأَلْغَازِ ، قَدْ عَبَّرَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا بِعِبَارَةٍ مُجْمَلَةٍ ، وَآتَى فِيهَا بَدَلَاتِلَ لَيْسَتْ مَشْرُوحَةً وَلَا مُفَصَّلَةً ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يَنْظُرُهَا يَظُنُّ أَنَّهَا فَهْرَسُ كِتَابٍ ، قَدْ عُدَّتْ فِيهِ الْمَسَائِلُ مِنْ غَيْرِ فُصُولٍ وَلَا أَبْوَابٍ ، وَلَا شَتْمَالِهَا عَلَى تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ ، الْآخِذَةِ بِيَدِ الْمُتَمَسِّكِ بِهَا إِلَى مَنَازِلِ الرَّحْمَةِ ، أَحَبَبْتُ أَنْ أُعَلِّقَ عَلَيْهَا شَرْحاً يُفَصِّلُ مُجْمَلَهَا ، وَيُكْشِفُ مُغْضَلَهَا ، مِنْ غَيْرِ إِيجَازٍ مُخِلٍّ ، وَلَا إِطْنَابٍ مُمِلٍّ ، مُقْتَصِراً فِيهِ عَلَى أَوْضَحِ الْأَقَاوِيلِ^(٣) ، وَمُبَيِّناً مَا أوردَهُ مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلِيلٍ ، عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَهْدِيَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ ، فَيَكُونَ سَبَباً لِلثَّوَابِ ، وَالْفَوْزِ يَوْمَ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ، وَالْأَمْنِ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

(١) «وأسكنه فسيح جنته» ليست في المطبوع .

(٢) في المطبوع «فرايتها» .

(٣) في المطبوع «الأقوال» .

قَالَ الْمُصَنَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (١) -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢)

هذه مَسَائِلُ خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ الْكِتَابِيِّينَ
وَالْأُمِّيِّينَ ، مِمَّا لَا غِنَاءَ لِمُسْلِمٍ عَنْ مَعْرِفَتِهَا .
وَالضُّدُّ (٣) يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ وَيُضِدُّهَا تَتَبَّيَّنُ الْأَشْيَاءُ (٤)

-
- (١) في المطبوع «رحمة الله - تعالى - عليه» .
(٢) في المطبوع قدمت البسملة على قوله : «قال المصنف . . .» .
(٣) في المطبوع «فالضد» .
(٤) هذا البيت مركب من شطرين ، فالشطر الأول منه عجز بيت في قصيدة طويلة ،
وصدره :

ضدان لما استجمعا حسنا

وقد اختلف في قائلها ، فقد نسبت إلى أكثر من أربعين شاعراً ، ف قيل : إنها لشاعر
جاهلي ، ولم يذكر من هو ، وقيل : إنها لذي الرُّمَّةِ ، وقيل : لدوقلة المنبجي ،
وقيل : لأبي نواس ، وقيل : لأبي الشيص الخزاعي ، وقيل : لعلي بن جبلة .
انظر : «التيبان في شرح الديوان» للعكبري (٢٢ / ١) ، «شرح الديوان» للواحي
(١٩٧ / ١) .

وأقرب هؤلاء للصحة اثنان هما : أبو الشيص الخزاعي ، وهو في ديوانه الذي جمعه
عبد الله الجبوري (ص ١١٧) وللجبوري بحث قيم في إثبات نسبة القصيدة
لأبي الشيص .

والثاني هو علي بن جبلة ، وهو في ديوانه الذي جمعه زكي ذاکر (٩٦ - ١٠٢) ،
وفي ديوانه الذي جمعه د . حسين عطوان (١١٥ - ١١٩) ، وفي ديوانه الذي جمعه
ضيف الجنابي (١٠٨ - ١١٤) .

وَأَهَمُّ مَا فِيهَا وَأَشَدُّهَ خَطَرًا ، عَدَمُ إِيمَانِ الْقَلْبِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ،
فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ اسْتِحْسَانُ دِينِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِيمَانُ بِهِ ، تَمَّتِ الْخَسَارَةُ
وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - تعالى - كما قال - عَزَّ ذِكْرُهُ - : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ
وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

* * *

= ولعل القصيدة له؛ لأنه كندي ، وقد جاء في القصيدة الافتخار بكندة حيث قال :
الجد كندة والبنون هُمُ فزكا البنون وأنجب الجد
وأما الشطر الثاني ، فهو للمتنبى في قصيدة له ، والبيت هو :
ونذيمهم وبه عرفنا فضلهم وبضدها تبيين الأشياء
«ديوان المتنبى» (ص ١٢٧).
(١) العنكبوت: (٥٢).

المسألة الأولى

أَنَّهُمْ يَتَعَبَّدُونَ بِإِشْرَاكِ الصَّالِحِينَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ^(١) - تَعَالَى - وَيَرَوْنَ ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِ الصَّالِحِينَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَيُرِيدُونَ - أَيْضاً^(٢) - بِذَلِكَ شَفَاعَتَهُمْ^(٣) ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ ذَلِكَ :

كَمَا قَالَ - تَعَالَى - فِي أَوَائِلِ «الزُّمَرِ» : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(٤) .

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥) .

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأتى بالإخلاص ، وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يُقبل من أحد سواه ،

(١) في المطبوع «في دعاء الله - تعالى - وعبادته» ، وهو موافق لبعض النسخ الخطية لمتن المسائل ، وما أثبتته موافق - أيضاً - لنسخ أخرى .

(٢) «أيضاً» ساقطة من المطبوع .

(٣) في المطبوع «شفاعتهم عند الله» .

(٤) الزمر : (٢ ، ٣) .

(٥) يونس : (١٨) .

وَأَنَّ^(١) مَنْ فَعَلَ مَا اسْتَحْسَنُوا^(٢) ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ .
وهذه المسألة هي الدين كله ، ولأجلها تَفَرَّقَ النَّاسُ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ ،
وعندها وَقَعَتِ الْعَدَاوَةُ ، ولأجلها شُرِعَ الْجِهَادُ ؛ كما قال - تعالى - في
«البقرة» : ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾^(٣) .

* * *

-
- (١) في المطبوع : «وأخبر أن» .
(٢) في المطبوع «ما يستحسنونه فقد» .
(٣) البقرة : (١٩٣) ، وفي المخطوط ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ، وهذه آية «الأنفال» وليست آية البقرة .

الثانية

أَنَّهُمْ مُتَفَرِّقُونَ ، وَيَرَوْنَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ مَهَانَةً وَرَذَالَةً ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ
بِالاجْتِمَاعِ ، وَنَهَاَهُمْ عَنِ التَّفَرُّقَةِ :

فَقَالَ - عَزَّ ذِكْرُهُ - : ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ (١٢٦) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ (١) .

يُقَالُ : أَرَادَ - سُبْحَانَهُ - بِمَا ذَكَرَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ (٢) وَالْخَزَرَجِ (٣) مِنَ
الْحُرُوبِ الَّتِي تَطَاوَلَتْ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، إِلَى أَنْ أَلَّفَ - سُبْحَانَهُ - بَيْنَهُمْ
بِالْإِسْلَامِ ، فَزَالَتِ الْأَحْقَادُ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ (٤) .

(١) آل عمران : (١٠٢ ، ١٠٣) .

(٢) هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا ، إحدى قبائل الأنصار ،
وكان لهم - مع الخزرج - ملك يثرب ، فلما جاء الإسلام ، كانوا لرسول الله ﷺ
أنصاراً .

انظر : «النسب» لأبي عبيد (ص ٢٧٠ - ٢٧٧) ، «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم
(ص ٢٣٢ - ٣٤٦) ، «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» (ص ٩٥) .

(٣) هم بنو الخزرج أخى الأوس بن حارثة ، وكانوا في يثرب كالأوس قبل الإسلام
وبعده .

انظر : «النسب» (ص ٢٧٧ - ٢٨٧) ، «جمهرة أنساب العرب» (ص ٣٤٦ - ٣٦٦) ،
«نهاية الأرب» (ص ٦٠) .

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٤/٣٣) .

وكان يومُ بُعث^(١) آخِرَ الحُرُوبِ التي جَرَتْ بينهم .
وقد فَضَّلَ ذلكَ في «الكامل»^(٢) .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: أراد ما كان بَيْنَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنَ التَّنَازُعِ الطَّوِيلِ
والقِتَالِ الْعَرِضِ ، ومنه حربُ الْبَسُوسِ^(٣) ، كما نُقِلَ عَنِ الْحَسَنِ^(٤) - رضي
الله تعالى عنه - .

وقال - تعالى - : ﴿ فَانْقُرُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ﴾^(٥)

إلى غير ذلك من الآياتِ النَّاصَةِ على النَّهْيِ عَنِ الْإِسْتِبْدَادِ وَالتَّفَرُّقِ وَعَدَمِ
الانقيادِ والطَّاعَةِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ .

* * *

-
- (١) يوم بعث من الأيام التي جرت بين الأوس والخزرج ، وكان في أوله للخزرج ، ثم ظفرت بهم الأوس ، فكادوا يبيدون خضراءهم .
انظر : «أيام العرب في الجاهلية» (ص ٧٣ - ٨٤) .
- (٢) انظر : «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٣١٢/١) وما بعدها .
- (٣) حرب البسوس من الحروب التي جرت بين بكر وتغلب ابني وائل ، وهي أطول حروب العرب ، حيث مكثت أربعين سنة ، وسببها بغى كليب بن ربيعة .
- انظر في شأنها : «أيام العرب قبل الإسلام» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ص ١٦٥ - ١٧٠) ، «الكامل في التاريخ» (٣١٢/١) ، «شرح المفضليات» لابن الأنباري (ص ٤٤١) ، «العقد الفريد» (٣١٣/٥) ، «مجمع الأمثال» للميداني (٣٧٧/١) ، «خزانة الأدب» للبغدادى (٣٠١/١) ، «أيام العرب في الجاهلية» (ص ١٤٣ - ١٦٨) .
- (٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤٣٣/١) .
- (٥) التغابن : (١٦) .

الثالثة

أَنَّ مُخَالَفَةَ وَلِيِّ الْأَمْرِ ، وَعَدَمَ الْإِنْقِيَادِ لَهُ - عِنْدَهُمْ - فَضِيلَةٌ ، وَبَعْضُهُمْ
يَجْعَلُهُ دِينًا ، فَخَالَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ ، وَأَمَرَهُمُ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْوُلَاةِ
وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ لَهُمْ ، وَغَلَّظَ فِي ذَلِكَ ، وَأَبْدَى وَأَعَادَ .

وهذه الثلاث هي التي وَرَدَ فِيهَا مَا فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ: «يرضى لكم
ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبلِ الله جميعاً ، وأن
تتاصحوا مَنْ وُلَّاهُ الله أَمْرُكُمْ»^(١) .

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ
شَيْئاً ، فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبراً ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٢) .

وَرَوَى - أَيْضاً - عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ
الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَقُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ
سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» - كتاب الأقضية - باب النهي عن كثرة المسائل من غير
حاجة... (١٣٤٠/٣) ح ١٧١٥ .

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الفتن - باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي
أموراً تنكرونها» (٨٧/٨) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الإمامة - باب وجوب
ملازمة جماعة المسلمين بعد ظهور الفتن وفي كل حال ، وتحريم الخروج على
الطاعة ومفارقة الجماعة - (١٤٧٧/٣) ح ١٨٤٩ .

قال: «دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا ، فكان^(١) فيما أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ؛ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ»^(٢).

والأحاديثُ الصَّحِيحَةُ في هذا البابِ كثيرةٌ ، ولم يقعْ خَلَلٌ في دينِ النَّاسِ أو دُنْيَاهُمْ إِلَّا من الإِخْلَالِ بهذهِ الوَصِيَّةِ.

* * *

(١) في المخطوط «فقال» .

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الفتن - باب قول النبي ﷺ: «إنكم سترون بعدي أموراً تنكرونها» - (٨٧/٨) ، ومسلم في «صحيحه» كتاب الإمامة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية - (٣/١٤٧٠) ح ١٧٠٩ .

الرابعة

أَنَّ دِينَهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصُولٍ: أَعْظَمُهَا التَّقْلِيدُ ، فَهُوَ الْقَاعِدَةُ الْكُبْرَى لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ :

كما قال - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ قُلْ أُولَئِكَ حُتِّمُوا بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١﴾ .

فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ - تعالى - بقوله : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِمْ ءَابَاءَنَا ﴾ ، قال : ﴿ أُولَئِكَ أَكِبَاءٌ وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

إلى غير ذلك مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا فِي رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ ، لَا يُحَكِّمُونَ لَهُمْ رَأْيًا ، وَلَا يُشْغِلُونَ فِكْرًا ؛ فَلِذَلِكَ تَاهُوا فِي أَوْدِيَةِ الْجَهَالَةِ . وهكذا كُلُّ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ فِي أَيِّ عَصْرِ كَانَ .

* * *

(١) الزخرف : (٢٣ - ٢٤) .

(٢) الأعراف : (٣) .

(٣) البقرة : (١٧٠) .

الخامسة

الافتداءُ بِفَسَقَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَجُهَاْلِهِمْ وَعُبَادِهِمْ :

فَحَذَّرَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١).

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٢).

إِلَى آيَاتٍ أُخَرِ تُنَادِي بِبُطْلَانِ الْاِفْتِدَاءِ بِالْفَسَاقِ وَأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْغَيِّ ، وَذَلِكَ مِنْ سَنَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَطَرَائِقِهِمُ الْمَعْوَجَّةِ .

* * *

(١) التوبة : (٣٤) .

(٢) المائدة : (٧٧) .

السادسة

الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة ، من غير تحكيم العقل ،
والأخذ بالدليل الصحيح .

وقد أبطل الله - تعالى - ذلك بقوله في « طه » : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾
قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا
عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ
فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا
أَنْعَامَكُمْ ﴿٥٤﴾ (١) . . . إلخ .

وقال - تعالى - في « القصص » : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا
مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّيَ
أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ (٢) .

وقال - عزَّ ذكره في سورة « المؤمنين » : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ
يَنْقَرُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا
فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ فَبَرِئُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ (٣) .

(١) طه : (٤٩ - ٥٤) .

(٢) القصص : (٣٦ - ٣٧) .

(٣) المؤمنون : (٢٣ - ٢٥) .

وقال - تعالى - في «ص»: ﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَّةِ الْآخِرَةِ إِن هَذَا إِلَّا أَخْلَاقٌ﴾ (١).

فَجَعَلُوا مَدَارَ احْتِجَاجِهِمْ عَلَى عَدَمِ قَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَسْلَافُهُمْ ، وَلَا عَرَفُوهُ مِنْهُمْ ، فَانْظُرْ إِلَى سُوءِ مَدَارِكِهِمْ ، وَجُمُودِ قَرَائِحِهِمْ ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَأَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، لَعَرَفُوا الْحَقَّ بِدَلِيلِهِ ، وَانْقَادُوا لِلْيَقِينِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيلِهِ ، وَهَكَذَا أَخْلَافُهُمْ وَوَرَائُهُمْ ، قَدْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ .

* * *

(١) ص: (٦ - ٧).

السابعة

الاعتماد على الكثرة ، والاحتجاج بالسواد الأعظم ، والاحتجاج على بطلان الشيء بقله أهله ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى - ضِدَّ ذَلِكَ وما يُبْطِلُهُ ، فقال في «الأنعام» : ﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (١) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١) .

فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لِمَنْ كَانَ لَهُ بصيرة وقلب ، فالحق أحق بالاتباع ، وإن قلَّ أنصاره ؛ كما قال - تعالى - : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالُ نَجْمِكَ إِلَى نَجَاحِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ (٢) ، فأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليل ، غير أن القلة لا تضرهم :

تُعِيرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ (٣)

(١) الأنعام : (١١٦ - ١١٧) .

(٢) ص : (٢٤) .

(٣) البيت للشاعر اليهودي السموءل بن غريض بن عادياء الأزدي ، كما في ديوانه (ص ١٣) ، وذكرها القالي في «أماليه» (١/ ٢٦٩) ، والعباسي في «معاهد التنصيص» (١/ ٣٨٣) .

فالمقصود أنَّ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ يَنْظُرُ إِلَى الدَّلِيلِ ، وَيَأْخُذُ مَا يَسْتَتِجُهُ
الْبُرْهَانُ ، وَإِنْ قَلَّ الْعَارِفُونَ بِهِ ، الْمُنْقَادُونَ لَهُ .
وَمَنْ أَخَذَ مَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ وَمَا أَلْفَتَهُ الْعَامَّةُ مِنْ غَيْرِ نَظَرِ الدَّلِيلِ فَهُوَ
مَخْطِئٌ ، سَالِكٌ سَبِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ ، مَقْدُوحٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصَائِرِ .

* * *

الثامنة

الاستدلالُ على بطلان الشيء بكونه غريباً ، فردَّ الله - تعالى - ذلك بقوله في «هود»: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَّهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾^(١).

ومعنى الآية: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ ﴾ تحضيضٌ فيه معنى التفجع ، أي: فهلا كان ﴿ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ ، أي: الأقوامِ المقتربة في زمان واحد ﴿ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ ﴾ ، أي: ذوو خصلةٍ باقية من الرأي والعقل ، أو ذوو فضلٍ ، على أن يكون البقية اسماً للفضل ، والهاءُ للنقل ، ومن هنا يقال: فلانٌ من بقية القوم ، أي: من خيارهم ، ومنه قولهم: «في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا» ، ﴿ يَتَّهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في قصصهم ، وفسر الفسادُ بالكفر وما اقترنَ به من المعاصي ، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ ، أي: وَلَكِنْ قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَاهُمْ؛ لِكُونِهِمْ كانوا يتهون^(٢).

* * *

(١) هود: (١١٦).

(٢) انظر: «روح المعاني» (١٢/١٦٠ - ١٦٢).

التاسعة

الاستدلال على المطلوب ، والاحتجاجُ يقومُ أعطوا من القوة في الفهم والإدراك ، وفي القدرة والملك ؛ ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال .

فَرَدَّ اللَّهُ - تعالى - ذلك عليهم بقوله - سبحانه - في «الأحقاف» : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١) .

وَمَعْنَى الْآيَةِ : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ ﴾ أي : قَوَّيْنَا (٢) عَادًا وَأَقْدَرْنَاهُمْ .

و«ما» في قوله - تعالى - : ﴿ فِيْمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ موصولة أو موصوفة ، و«إن» نافية ، أي : في الذي ، أو في شيء ما مَكَّنَّاكم فيه من السَّعَةِ والبَسْطَةِ وطُولِ الأعمارِ وسائرِ مَبَادِي التَّصَرُّفَاتِ ؛ كما في قوله - تعالى - : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُنْكِنْ لَكُمُ ﴾ (٤) ، ولم يكن النَّفْيُ بلفظِ «ما» كراهةً لِتَكْرِيرِ اللَّفْظِ ، وَإِن اِخْتَلَفَ الْمَعْنَى ، ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً ﴾ لِيَسْتَعْمِلُوهَا فِيْمَا خُلِقَتْ لَهُ ، وَيَعْرِفُوا

(١) الأحقاف : (٢٤ - ٢٦) .

(٢) في المخطوطة «قرونا» .

(٣) في المخطوطة «وكم» وهو خطأ .

(٤) الأنعام : (٦) .

يَكُلُّ^(١) مِنْهَا مَا نَبِطَتْ بِهِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ فُنُونِ النَّعْمِ ، وَيُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى شُؤْنِ مُنْعِمِهَا - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَيَدَاوِمُوا عَلَى شُكْرِهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - .

﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ﴾ حَيْثُ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فِي اسْتِمَاعِ الْوَحْيِ وَمَوَاعِظِ الرُّسُلِ ، ﴿ وَلَا أَبْصَرُهُمْ ﴾ حَيْثُ لَمْ يَجْتَلُوا بِهَا آيَاتِ الْكُونِيَّةِ الْمَرْسُومَةِ فِي صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ ، ﴿ وَلَا أَعَدُّهُمْ ﴾ حَيْثُ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أَيُّ: شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ^(٢) ، و«مِنْ» مَزِيدَةٌ لِلتَّوَكُّيدِ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِثَابِتِ اللَّهِ ﴾ تَعْلِيلٌ لِلنَّفْيِ .

﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَهُ بِطَرِيقِ الْاسْتَهْزَاءِ ، وَيَقُولُونَ: ﴿ فَأَيْنَا يَمَآ تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

فَهَذِهِ الْآيَةُ تُبْطِلُ الْاِحْتِجَاجَ بِقَوْمٍ أُعْطُوا مِنَ الْقُوَّةِ فِي الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ وَفِي الْقُدْرَةِ وَالْمَلِكِ؛ طَنَاءً أَنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الضَّلَالِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمَ عَادٍ - لَمَّا أَخْبَرَ عَنْهُمْ التَّنْزِيلُ - كَانُوا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْبَسْطَةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ وَالْإِدْرَاكِ وَسَعَةِ الْأَذْهَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ لِلْعَرَبِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْإِسْلَامَ ، وَمَعَ ذَلِكَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ بِالْأَبَاطِيلِ ، فَالتَّوَفَّقُوا لِلْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ ، وَسُلُوكِ سُبُلِهِ ، إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - لَا لِكَثْرَةِ مَالٍ وَلَا لِحُسْنِ حَالٍ ، وَمَنْ يُرَدِّ الْحَقَّ وَيُسْتَدِلُّ بِكَوْنِ مَنْ هُوَ أَحْسَنُ حَالاً مِنْهُ لَمْ يَقْبَلْهُ ، وَلَمْ يُحْكَمْ عَقْلُهُ ، وَيَتَّبِعْ مَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ الدَّلِيلُ ، فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَحَادَ عَنِ الْحُجَّةِ الْمَرْضِيَّةِ . وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(٣) .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «لِكُلِّ» .

(٢) فِي الْمَخْطُوطَةِ «الْأَعْيَاءُ» .

(٣) الْبَقَرَةُ: (٨٩) .

كَانَ الْيَهُودُ يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيُرْسِلُ نَبِيًّا كَرِيمًا مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِبِعْثِهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا أَرْسِلِ النَّبِيَّ الْمَوْعُودَ إِرْسَالَهُ ؛ حَتَّى نَنْتَصِرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، كَفَرُوا بِهِ ؛ حَسَدًا مِنْهُمْ أَنْ تَكُونَ النَّبِيُّ فِي الْعَرَبِ ، وَهُمْ - بِزَعْمِهِمْ - أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِثِيًّا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ النَّبِيَّةَ وَالْإِيمَانَ بِهَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

وَمِثْلُهَا - أَيْضًا - قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٤٦] الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١﴾ .

الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ ^(٢) عَائِدٌ عَلَى الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَنِ الظَّالِمِينَ ﴾ ، فِكْتِمَانُهُ الْحَقَّ ، وَعَدَمُ جَزَائِهِمْ عَلَى مُقْتَضَى عِلْمِهِمْ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْإِعْتِقَادِ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ لَا يَتَعَدَّاهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ .

وآيَةُ «الْأَنْعَامِ» مُوَافِقَةٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ لَفْظًا وَمَعْنَى ، وَهِيَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَیُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِئٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴾ [١٤٦] الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ .

* * *

(١) البقرة: (١٤٦ - ١٤٧) .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ «يَعْرِفُونَ» وَهُوَ خَطَأً .

(٣) الأنعام: (١٩ - ٢٠) .

العاشرة

الاستدلالُ بعباءِ الدنيا على مَحَبَّةِ الله - تعالى - .

قال - سبحانه - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِلَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١).

وقال في سورة «القصص» : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

(١) سبأ: (٣٤ - ٣٩).

(٢) القصص: (٤٦ - ٥٠).

وفي آياتٍ أُخرى في سورة «الْقَصَصِ» يَقُولُ اللهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ قُلُوفَهُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ وَعَائِنَهُ مِنْ الْكُوفِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُمْ لَنُحَوِّطُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

فَقَدْ كَفَانَا اللهُ - تعالى - إِبْطَالَ هَذِهِ الْخَصْلَةِ الْجَاهِلِيَّةِ بِقَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ، وَفِي الْآيَةِ الْآخِرَى بِقَوْلِهِ : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ... إِنْ لَمْ يَكُنْ ، فَعَلِمْنَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُحِبَّةَ اللهِ وَرَضَى اللهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِطَاعَتِهِ وَالانْقِيَادِ لِرِسَالِهِ ، وَالِإِذْعَانِ لِلْحَقِّ بِاتِّبَاعِ الْبُرْهَانِ .

وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَسَعَةُ الرِّزْقِ ، وَعَيْشُ الرِّخَاءِ ، فَلَا دَلِيلَ فِيهِ عَلَى نَجَاةِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا تُعَادِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مَنْ عَصَاهُ شَرْبَةً مَاءٍ .

قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (٢) .

وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ (٣) :

كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ أَغْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا

(١) القصص: (٧٦ - ٧٨) .

(٢) الزخرف: (٣٣) .

(٣) هو ابن الراوندي الملحد ، كما في «معاهد التنصيص» (١/١٤٧) رقم الشاهد (٢٦) ، وذكره ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» (٦/٢٠٧) .

ومما يُنسَبُ لبعضِ الأكابر^(١):

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ
فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ بَاقٍ لَا يَزَالُ
وَالشَّوَاهِدُ كَثِيرَةٌ.

والمقصودُ أنَّ ما كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كَوْنِ زَخَارِفِ الدُّنْيَا مِنَ
الْأَدَلَّةِ عَلَى قُرْبِ مَنْ حَازَهَا مِنَ اللَّهِ وَقَبُولِهِ عِنْدَهُ ، فَقَوْلُ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ ،
وَمَذْهَبُ بَاطِلٍ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ أَنْ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ.

* * *

(١) هذان البيتان لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي «دِيوانه»
(ص ٨٥) ، وَذَكَرَ ابْنُ قَتِيْبَةَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْهُمَا فِي «عَيُونِ الْأَخْبَارِ» (١/ ٣٥٣) وَنَسَبَهُ
إِلَى ابْنِ مَنَازِرٍ بَلَفْظًا:

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلثَقَفِيِّ مَالٌ
وَانْظُرْ: «الشعر والشعراء» (٢/ ٨٧١) ، «بهجة المجالس» (١/ ١٩٩).

الحادية عشرة

الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ الضعفاء به ، وضعف فهم من أخذ به ، على ما يدل عليه قول قوم نوح له كما حكاه عنهم الكتاب الكريم .

قال - تعالى - في سورة «الشعراء» : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُذُكُمْ مِنَ الْغَاسِقِينَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينًا ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ فَلَا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [١] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١١﴾ قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً ﴿١١٢﴾ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١١٣﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنْ حِسَابُنَا إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [٢] .

فانظر إلى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع الضعفاء له ، وذلك لكون مطمح أنظارهم الدنيا ، وإلا لو كانت الآخرة همهم ، لاتبعوا الحق أينما وجدوه ، ولكن لجاهليتهم أعرضوا عن الحق لاتباع شهواتهم .

وانظر إلى هرقل لما كان من العقل والبصيرة على جانب عظيم ، اعتقد اتباع الضعفاء دليلاً على الحق ، فقال في جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ : «وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَشْرَافِ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعُفَاؤُهُمْ ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ» [٣] .

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من المخطوط .

(٢) الشعراء : (١٠٥ - ١١٥) .

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» ضمن حديث طويل - كتاب بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ - (١ / ٥ - ٧) .

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ «هُودٍ»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ
 إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٢٦﴾﴾
 فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا
 الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ
 كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾^(١) الْآيَاتِ .

* * *

(١) هود: (٢٥-٢٧).

الثانية عشرة

من خصال أهل الجاهليّة رمي من اتّبع الحقّ بعدم الإخلاص ،
وطلب الدنيا ، فردّ الله عليهم بقول نبيّهم الذي حكاه الله عن نوح في الآية
الأولى المذكورة في المسألة الحادية عشرة ، بقوله : ﴿ قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ
وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴾ (١١١) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ١١٢ ﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ
تَشْعُرُونَ ﴿ ١١٣ ﴾ (١) .

ومقصودهم أنّ أتباعك فقراء ، آمنوا بك ؛ لينالوا مقصدهم من العيش ،
لا أنّ إيمانهم كان لدليل يقتضي صحّة ما جئت به ؛ فلهذا ردّ عليهم بما ردّ .

* * *

(١) الشعراء : (١١١ - ١١٣) .

الثالثة عشرة

من خِصالِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ: الإِعْراضُ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْحَقِّ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ الضَّعَفَاءُ؛ تَكَبُّراً وَأَنْفَةً.

فردَّ اللهُ - تعالى - عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ «الأنعام»: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(١).

ومِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ - تعالى -: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾^(٢).

وغير ذلك.

وحاصلُ الرَّدِّ: أَنَّ مَنْ آمَنَ مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّعَفَاءِ ، إِنَّمَا كَانَ إِيمَانُهُ عَنْ بُرْهَانٍ ، لَا كَمَا زَعَمَ خُصُومُهُمْ ، وَلَسْتَ أَنْتَ بِمَسْئُولٍ عَنْهُمْ ، وَلَا هُمْ مَسْئُولُونَ^(٣) عَنْ حِسَابِكَ ، فَطَرَدُهُمْ عَنْ بَابِ الْإِيمَانِ مِنَ الظُّلْمِ بِمَكَانٍ.

* * *

(١) الأنعام: (٥٢ - ٥٣).

(٢) عبس: (١ - ٢).

(٣) في المطبوع «بمسئولين».

الرابعة عشرة

الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً.

قال - تعالى - في سورة «الأحقاف»: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ فَدِيرٌ﴾^(١).

بعد قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

* * *

(١) الأحقاف: (١١).

(٢) الأحقاف: (١٠).

الخامسة عشرة

الاستِدلالُ بِالْقِياسِ الْفَاسِدِ ، وإنْكَارُ الْقِياسِ الصَّحِيحِ ، وَجَهْلُهُمْ
بِالْجَامِعِ وَالْفَارِقِ .

قال - تعالى - في سورة «المؤمنين» : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا
فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (١) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرِصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ (٢) .

وَمَعْنَى (٢) الْآيَةِ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ : شُرُوعٌ فِي بَيَانِ إِهْمَالِ
النَّاسِ ، وَتَرْكِهِمُ النَّظَرَ وَالْاعْتِبَارَ فِيمَا عَدَدَ - سُبْحَانَهُ - مِنَ النِّعَمِ قَبْلَ هَذِهِ
الْآيَةِ ، وَمَا حَاقَهُمْ (٣) مِنْ زَوَالِهَا ، وَفِي ذَلِكَ تَخْوِيفٌ لِقَرِيشٍ .

وَتَقْدِيمُ قِصَّةِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى سَائِرِ الْقَصَصِ مِمَّا لَا يَخْفَى
وَجْهُهُ ، فَقَالَ مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِمْ ، وَمُسْتَمِيلًا لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ : ﴿ يَقْوَرُوا عِبْدُوا
اللَّهَ ﴾ ، أَيِ : اعْبُدُوهُ وَحْدَهُ .

﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ : اسْتِثْنَاءٌ مَسْوقٌ لِتَعْلِيلِ الْعِبَادَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا .

﴿ أَفَلَا نُنْقِزُكُمْ ﴾ : الِهْمَزَةُ لِإِنْكَارِ الْوَاقِعِ وَاسْتِقْبَاحِهِ ، وَالْفَاءُ لِلْعَطْفِ عَلَى

(١) المؤمنون : (٢٤ - ٢٥) .

(٢) في المطبوع : «وقبل» .

(٣) في المخطوط والمطبوع «ومن خافهم» ، وما أثبتته من «روح المعاني» (٢٥/١٨) الذي نقل عنه المؤلف تفسير هذه الآيات .

مَقْدَرٍ يَفْتَضِيهِ الْمَقَامُ ، أَي : أَتَعْرِفُونَ ذَلِكَ ، أَي : مَضْمُونُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴾ ، فَلَا تَتَّقُونَ عَذَابَهُ - تَعَالَى - الَّذِي يَسْتَوْجِبُهُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ عِبَادَتِهِ - سُبْحَانَهُ - وَخُدَهُ ، وَإِشْرَاكِكُمْ بِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْعِبَادَةِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ الوجودَ لَوْلَا إِيجَادُ اللَّهِ إِيَّاهُ ، فَضْلاً عَنِ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ ، فَالْمُنْكَرُ عَدَمُ الْإِتْقَاءِ ، مَعَ تَحَقُّقِ مَا يَوْجِبُهُ .

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ ﴾ أَي : الْأَشْرَافُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ، وَصِفَ الْمَلَأُ بِالْكَفْرِ مَعَ اشْتِرَاكِ الْكُلِّ فِيهِ ؛ لِلإِذْنِ بِكَمَالِ عِرَاقَتِهِمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ فِيهِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا ذَمُّهُمْ ، دُونَ التَّمَيِّزِ عَنْ أَشْرَافِ آخَرِينَ آمَنُوا بِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَوْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، كَمَا يُفْصِحُ عَنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا زَيْنَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا ﴾ وَهَذَا الْقَوْلُ صَدَرَ مِنْهُمْ لِعَوَائِمِهِمْ .

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ أَي : فِي الْجِنْسِ وَالْوَصْفِ ، مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ .

وَصَفَوُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِذَلِكَ مَبَالِغَةً فِي وَضْعِ رُتْبَتِهِ الْعَالِيَةِ وَحَطِّهَا عَنْ مَنْصِبِ النُّبُوَّةِ ، وَوَصَفَوُهُ ^(١) بِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ : إِعْضَاباً لِلْمُخَاطَبِينَ عَلَيْهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَإِغْرَاءً لَهُمْ عَلَى مَعَادَاتِهِ .

وَالْتَفَضُّلُ : طَلَبُ الْفَضْلِ ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ السِّيَادَةِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : يُرِيدُ أَنْ يَسُودَكُمْ وَيَتَقَدَّمَكُمْ بِادِّعَاءِ الرِّسَالَةِ ، مَعَ كَوْنِهِ مِثْلَكُمْ .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ : بَيَانٌ لِعَدَمِ رِسَالَةِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ عَلَى زَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ ، بَعْدَ تَحْقِيقِ بَشَرِيَّتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

أَي : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ - تَعَالَى - إِسْرَالِ الرُّسُلِ ، لَأَرْسَلَ رُسُلًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ،

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «وَصَفَوُهُ» .

وَأَيْمًا قِيلَ: لَأَنْزَلَ؛ لَأَنْزَلَ إِزْسَالَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِطَرِيقِ الْإِنْزَالِ.

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ ، هذا إشارة إلى الكلام المُتَضَمِّن الأمرَ بعبادة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، خَاصَّةً وَالْكَلامُ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ ، أَيْ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا الْكَلَامِ فِي آبَائِنَا الْمَاضِينَ قَبْلَ بَعَثْتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وَقُدِّرَ الْمُضَافُ ؛ لَأَنَّ عَدَمَ السَّمَاعِ بِكَلَامِ ^(١) نُوحٍ الْمَذْكُورِ لَا يَصْلُحُ لِلرَّدِّ؛ فَإِنَّ السَّمَاعَ بِمِثْلِهِ ^(٢) كَافٍ ^(٣) فِي الْقَبُولِ.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ ﴾ ، أَيْ: مَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جُنُونٌ أَوْ جِنٌّ يَخْبُلُونَهُ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ مَا يَقُولُ.

﴿ فَتَرَى صُورَهُ فِي مَخْمُولٍ عَلَى مَرَامِي أُحْوَالِهِمْ فِي الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ . لَعَلَّهُ يَفِيقُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مَحْمُولٌ عَلَى مَرَامِي أُحْوَالِهِمْ فِي الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ .

وَإِضْرَابُهُمْ عَمَّا وَصَفُوهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِهِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ ، وَإِرَادَةِ التَّفَضُّلِ ، إِلَى وَصْفِهِ بِمَا تَرَى ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَرْزَنُهُمْ قَوْلًا ، وَهُوَ [عَلَى مَا تَقْدُمُ] ^(٥) مَحْمُولٌ عَلَى تَنَاقُضِ مَقَالَتِهِمُ الْفَاسِدَةِ - قَاتَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّى يُؤَفَّكَونَ ^(٦) - .

وَالْقِيَاسُ الْفَاسِدُ وَالصَّحِيحُ ، وَالْجَامِعُ وَالْفَارِقُ ، مُفَصَّلٌ فِي كِتَابِ الْأُصُولَيْنِ .

فَبَيَّنَ الرُّسُلَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَسَائِرَ النَّاسِ مُشَابَهَةً مِنْ جِهَةِ الْبَشَرِيَّةِ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «لِكَلَامِ» .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ «لِمِثْلِهِ» .

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ «كَانَ» .

(٤) «أَيْ»: سَاقِطَةٌ مِنَ الْمَطْبُوعِ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ «رُوحِ الْمَعَانِي» ، حَتَّى يَنْتَظِمَ بِهَا السِّيَاقُ .

(٦) «رُوحِ الْمَعَانِي» (١٨/ ٢٥ - ٢٦) .

ولوازمها الضرورية ، فيصح حينئذ قياس الرُّسل على غيرهم فيها ، وعليه قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾^(١).

وبين الرُّسل والأنبياء - عليهم السلام - وغيرهم من البشر فروق كثيرة :
منها : أن الله - تعالى - اصطفاهم على الناس برسالاته^(٢) وبكلامه ووحيه ، فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة ، كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضع ، فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفايد ، ولا عرفوا الجامع ولا الفارق ، كما سمعت من قياسهم الرُّسل على غيرهم ، وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم .

* * *

(١) الكهف : (١١٠) ، وفصلت : (٦) .

(٢) في المطبوع « برساته » .

السادسة عشرة

الْغُلُو فِي الصَّالِحِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ؛ كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ «التَّوْبَةِ»: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤْفَكُونَ ﴿٦٦﴾ اتَّخَذُوا أَجْنَابَهُمْ رُءُوسًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٨﴾﴾^(١).

فَاتَّخَذُوا أَجْنَابَ النَّاسِ أَرْبَابًا يُحْلِلُونَ وَيُحَرِّمُونَ ، وَيَتَصَرَّفُونَ فِي الْكُونَ ، وَيُنَادُونَ فِي دَفْعِ ضَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ مِنْ جَاهِلِيَّةِ الْكِتَابِيِّينَ ، ثُمَّ سَرَى إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ جَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ ، وَلَهُمْ الْيَوْمَ بَقَايَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، تَصَدِيقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...» الحديث^(٢) ، حَتَّى نَرَى غَالِبَ النَّاسِ الْيَوْمَ مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّهِ ، وَعَنِ دِينِهِ

(١) التوبة: (٣٠ - ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل - (١٤٤/٤) ، وفي كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» - باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (١٥١/٨) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب العلم - باب اتباع سنن اليهود والنصارى - (٢٠٥٤/٤) ح ٢٦٦٩.

الذي ارتضاه ، مُتَوَعِّلِينَ فِي الْبِدْعِ ، تَائِهِينَ فِي أَوْدِيَةِ الضَّلَالِ ، مُعَادِينَ
لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَنْ قَامَ بِهِمَا ، فَأَصْبَحَ الدِّينُ مِنْهُمْ فِي أَنْيْنٍ ، وَالْإِسْلَامُ فِي
بَلَاءٍ مُبِينٍ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

* * *

السابعة عشرة

اعْتَذَرُهم عَنِ اتِّبَاعِ الْوَحْيِ بِعَدَمِ الْفَهْمِ .

قال - تعالى - في سورة «البقرة»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾^(١).

وفي سورة «النساء»: ﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠٠﴾﴾^(٢).

الغُلْفُ: جمعُ أغْلَفَ ، كَأَحْمَرَ وَحُمْرٍ ، وهو الذي لا يفقه ، وأصله ذو القَلْفَةِ: الذي لم يُخْتَنَ ، أو جَمْعُ غِلَافٍ ، ويُجمعُ على غُلْفٍ بِضَمَّتَيْنِ - أيضاً - .

أرادوا على الأول: قلوبنا مُغْشَاةٌ بأغشية خَلْقِيَّةٍ مانعةٍ عن نُفُوذِ ما جِئَتْ بِهِ فِيهَا .

وهذا كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾^(٣) ، قَصَدُوا بِهِ إِفْنَاءَ النَّبِيِّ ﷺ عن الإجابة ، وَقَطَعَ طَمَعَهُ عَنْهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ .

(١) البقرة: (٨٧ - ٨٨) .

(٢) النساء: (١٥٥) .

(٣) فصلت: (٥) .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: معنى غُلْفٍ: مُغَشَّاةٌ بِعُلُومٍ مِنَ التَّوْرَةِ تحفظها أَنْ يَصَلَ إليها ما تأتي به ، أو بِسَلَامَةٍ مِنَ الْفِطْرَةِ كَذَلِكَ .

وعلى الثاني أَنَّهَا أَوْعِيَةُ الْعِلْمِ ، فَلَوْ كَانَ مَا تَقُولُهُ حَقًّا وَصِدْقًا لَوَعْتَهُ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(١) وَقَتَادَةُ وَالشَّيْخُ ^(٢) : أَوْ مَمْلُوءَةٌ عِلْمًا ، فَلَا تَسَعُ بَعْدُ شَيْئًا ، فَنَحْنُ مُسْتَغْنَوْنَ بِمَا عِنْدَنَا عَنْ غَيْرِهِ .

وَمِنْهُمْ ^(٣) مَنْ قَالَ: أَرَادُوا أَنَّهَا أَوْعِيَةُ الْعِلْمِ ؛ فَكَيْفَ يَحِلُّ لَنَا اتِّبَاعُ الْأُمِّيِّ . وَلَا يَخْفَى بَعْدُهُ ^(٤) .

وَقَالَ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ «هُودٍ»: ﴿وَيَقُولُ لَا يُجِزُّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ يَبْعِدُونَ ^(٥) وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ^(٦)﴾ قَالُوا يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ^(٧)﴾ .

وهذه الآية بمعنى الآية الأولى ، وقد كَذَّبَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي دَعْوَاهُمْ هَذِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ السَّبَبَ فِي عَدَمِ الْفَهْمِ إِنَّمَا هُوَ

(١) أخرجه - بنحوه - ابن جرير في «تفسيره» (٤٠٧/١) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٧٢/١) .

(٢) نسب هذا التفسير إليهما الألويسي في «روح المعاني» (٣١٩/١) ، ولم يذكر من أخرجه .

(٣) وهو عطية العوفي كما في «تفسير ابن جرير» (٤٠٧/١) ، وابن أبي حاتم (٢٧٢/١) .

(٤) «روح المعاني» (٣١٩/١) .

(٥) هود: (٨٩ - ٩١) .

الطَّيْعُ عَلَى الْقُلُوبِ بِكُفْرِهِمْ ، لَا الْقُصُورُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّفْهِيمِ .

وما أحسنَ قولَ القائل^(١) :

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ



(١) وهو أبو العلاء المعري كما في ديوانه «سقط الزند» (ص ٤٤).

الثامنة عشرة

من خصال الجاهليّة أنّهم لا يقبلون من الحقّ إلّا ما تقول به طائفتهم .
قال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ عَلَيْنَا سِوَا كُفْرٍ ۚ وَمَا وَرَاءُ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَيْبَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

ومعنى ﴿ تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا ﴾ ؛ أي : نستمرّ على الإيمان بالتّوراة وما في حكمها ممّا أنزل في تقرير حكمها .

ومرادهم بضمير المتكلم إمّا أنبياء بني إسرائيل - وهو الظاهر فيه - إيماء إلى أنّ عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم ، وإمّا أنفسهم .

ومعنى الإنزال عليهم : تكليفهم بما في المنزل من الأحكام .

ودُثِّمُوا على هذه المقالة ؛ لما فيها من التعريض بشأن القرآن - ودسائس اليهود مشهورة - أو لأنهم تأوّلوا الأمر المطلق العام ، ونزّلوه على خاص ، هو الإيمان بما أنزل عليهم ، كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه .

(١) البقرة : (٩١) .

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ ، أي: هُمُ مَقَارِنُونَ لِحَقِّيتِهِ ^(١) ،
أي: عَالِمُونَ بِهَا .

﴿ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ لَأَنَّ كُتُبَ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَالتَّصْدِيقُ لَازِمٌ
لَا يَنْتَقِلُ ، وَقَدْ قَرَّرْتُ مَضْمُونَ الْحَبِيرِ ^(٢) ؛ لِأَنَّهَا كَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا
تَضَمَّنَتْ رَدَّ قَوْلِهِمْ : ﴿ تَوَّابُونَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ حَيْثُ إِنَّ مَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِمَا وَافَقَ
التَّوْرَةَ ، لَمْ يُصَدِّقْ بِهَا .

﴿ قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُنَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أَمْرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ
يَقُولَ ذَلِكَ تَبْكِيتًا لَهُمْ ، حَيْثُ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ مَعَ ادِّعَاءِ الْإِيمَانِ بِالتَّوْرَةِ ، وَهِيَ
لَا تُسَوِّغُهُ ^(٣) .

* * *

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «لِحَقِّيتِهِ» ، وَمَا أَثْبَتَهُ هُوَ الْمَوَافِقُ لِمَا فِي «رُوحِ الْمَعَانِي» الَّذِي نَقَلَ
الْمُؤَلِّفُ الْكَلَامَ مِنْهُ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ «الْخَيْرِ» .

(٣) انْظُرْ: «رُوحِ الْمَعَانِي» (١/ ٣٢١ - ٣٢٢) .

التاسعة عشرة

من خِصَالِهِمْ: الاعتياضُ عن كتابِ الله - تعالى - بكتبِ السَّحْرِ:

كَمَا قَالَ - تعالى - في سورة «البقرة»: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ (٢) مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

والكلامُ على هذه الآية في التَّفاسيرِ مشهورٌ.

وهذه الخصلةُ الجاهليَّةُ موجودةٌ اليومَ في كثيرٍ مِنَ النَّاسِ ، لا سِوَا مَنْ انتسبَ إلى الصَّالِحِينَ وهو عنهم بِمَرَا حِلٍّ ، فَيَتَعَاطَى الْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةَ مِنْ إِمْسَاكِ الْحَيَّاتِ ، وَضَرْبِ السَّلَاحِ ، وَالذُّخُولِ فِي النَّيرانِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ

(١) في المخطوط «فيتعلمون» ، وهو خطأ.

(٢) البقرة: (١٠١ - ١٠٢).

مِمَّا^(١) وَرَدَتْ الشَّرِيعَةُ بِإِبْطَالِهِ ، فَأَعْرَضُوا ، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَاتَّبَعُوا مَا أُلْقَاهُ إِلَيْهِمْ شَيَاطِينُهُمْ ، وَادَّعَوْا أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكَرَامَاتِ ، مَعَ أَنَّ الْكَرَامَةَ لَا تَصْدُرُ عَنْ فَاسِقٍ ، وَمَنْ يَتَعَاطَى تِلْكَ الْأَعْمَالَ فَسَقُهُمْ ظَاهِرٌ لِلْعَيَانِ ، وَلِذَا اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ، وَفِي مِثْلِهِمْ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾^(٢) .



(١) في المخطوط «من وردت» .

(٢) الكهف : (١٠٤) .

العشرون

تَنَاقَضُھُمْ فِي الْاَنْتِسَابِ ، فَيَتَّسِبُونَ اِلَى اِبْرَاهِيْمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - وَاِلَى
الْاِسْلَامِ ، مَعَ اِظْھَارِھِمُ تَرْكَ ذَلِكَ ، وَالْاَنْتِسَابَ اِلَى غَیْرِہ .

* * *

الحادية والعشرون

تَحْرِيفُ كَلَامِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .
وَلَكُمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَنْ هُوَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ ، تَرَاهُ يَصْرِفُ النُّصُوصَ ،
وَيُؤَوِّلُهَا إِلَى مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الْأَهْوَاءِ .

* * *

الثانية والعشرون

تَحْرِيفُ الْعُلَمَاءِ لِكُتُبِ الدِّينِ .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُسُونَ ﴿ (١) .

وَمَنْ نَظَرَ إِلَى قُضَاةِ هَذَا الزَّمَانِ وَمَا تَلَاعَبُوا بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَصَرَفِ النُّصُوصِ إِلَى مَا تَهَوَّاهُ أَنْفُسُهُمْ ، وَتَبْدِيلِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِهِ ، بِمَا يَنَالُونَهُ مِنَ الرِّشَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ، تَبَيَّنَ لَهُ (٢) مِنْ ذَلِكَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ . وَهَكَذَا بَعْضُ الْمُتَبَدِّعَةِ وَغَلَاةِ الْقُبُورِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ حَالَهُمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ .

* * *

(١) البقرة : (٧٨ - ٧٩) .

(٢) في المخطوط «لهم» .

الثالثة والعشرون

وهي من أعجب المسائل والخصال: مُعادَةُ الدِّينِ الذي انتَسَبوا إليه
أشدَّ العداوةِ ، ومُوالاةُهم لِمَذْهَبِ الكُفَّارِ الذين فارقُوهم أَكْمَلَ المِوالاةِ .
كما فَعَلُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَتَاهُمْ بِدِينِ موسى ، وَاتَّبَعُوا كُتُبَ السَّحْرِ ،
وَهُوَ مِنْ دِينِ آلِ فرعونَ .
وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَثِيرٌ ، هَجَرُوا السُّنَّةَ ، وَعَادَوْهَا ،
وَنَصَرُوا أَقْوَالَ الْفَلَاسِفَةِ وَأَحْكَامَهُمْ .

* * *

الرابعة والعشرون

أَنَّهُمْ لَمَّا افْتَرَقُوا - وَكُلُّ طَائِفَةٍ لَا تَقْبَلُ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا قَالَتْهُ طَائِفَتُهُمْ ، وَكَفَرُوا بِمَا مَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْحَقِّ - .

قال - تعالى - في سورة «البقرة»: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَنُصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَنُصْرَى الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ [يَوْمَ الْقِيَمَةِ] ^(١) فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ^(٢) .

ولا شك أن هذا ^(٣) من الخصال الجاهليّة ، وعليه اليوم كثير من الناس ، لا يعتدّ الحقّ إلّا معه ، لا سيّما أرباب المذاهب ، يرى كلُّ أهلٍ مذهبٍ أن الذين معه لا يعدّونه إلى غيره ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون .
وكلُّ يدّعي وصلاً لليلي وليلي لا تقرُّ لهم بذاك ^(٤)

والحزم أن ينظر إلى الدليل ، فما قام عليه الدليل ، فهو الحقّ الحريّ أن يتلقّى بالقبول ، وما ليس عليه برهان ولا حجة يُنبذ وراء الظهور . وكلُّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويردّ إلّا من اصطفاه الله لرسالته .

* * *

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من المخطوط .

(٢) البقرة: (١١٣) .

(٣) في المطبوع: «هذه» .

(٤) نسبه شيخ الإسلام إلى مجنون بني عامر ، انظر: «مجموع الفتاوى» (٧١/٤) .

الخامسة والعشرون

أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ ﷺ فِي حَدِيثِ الْاِفْتِرَاقِ: «وَسَتَفْتَرُقُ أُمَّتِي إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» ؛ ادَّعَى كُلُّ فِرْقَةٍ أَنَّهَا هِيَ النَّاجِيَّةُ .

كما حَكَى اللَّهُ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾^(١) .

مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَّ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ الْمُرَادَ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَّةِ ، فَقَالَ: «وَهُمْ مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٢) أَوْ كَمَا قَالَ .

(١) البقرة: (١١٣) .

(٢) أخرجه بلفظ: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» الترمذي في «جامعه» - كتاب الإيمان - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة - (٢٦/٥) ح ٢٦٤١ ، وقال: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه» ، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٨٥) ، والآجري في «الشرعية» (ص ١٦) ، وفي كتاب «الأربعين» (ص ٥٣ - ٥٤) ، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/٢٦٢) ، وابن نصر المروزي في «السنة» (ص ٢٣) ح ٥٩ ، والحاكم في «المستدرک» - كتاب العلم - (١/١٢٨ - ١٢٩) وسكت عنه ، وسكت عنه الذهبي من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/١٧٨) ، وفي «المعجم الصغير» (١/٢٥٦) ، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٦٢) ، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص ١٩٦) عن أنس ، وفي إسناده عبد الله بن سفيان ، وهو ضعيف . =

وَرَدَّ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ .

والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدَّعوى ، بَلِ الدَّلِيلُ على خلاف ذلك .

وَأبو العَبَّاسِ تَقِيُّ الدِّينِ تَكَلَّمَ على حَدِيثِ الْفِرَقِ فِي كِتَابِهِ « مِنْهَاجِ السُّنَّةِ » بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، حَيْثُ اسْتَدَلَّ بِهِ الرَّافِضِيُّ على حَقِيقَةِ مَذْهَبِهِ وَبُطْلَانِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، فَرَاغَهُ إِنْ أَرَدْتَهُ (٢) .

* * *

= وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧٨/٨) عن أبي الدرداء ووائل بن الأسقع وأبي أمامة قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «وفيه كثير بن مروان ، وهو ضعيف جداً» .

(١) البقرة: (١١١ - ١١٢) .

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٣/٤٤٣ - ٥٠٦) .

السادسة والعشرون

أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا مَا أَقْرَأُوا أَنَّهُ مِنْ دِينِهِمْ ، كَمَا فَعَلُوا فِي حَجِّ الْبَيْتِ ، فَتَعَبَّدُوا بِإِنْكَارِهِ وَالْبِرَاءَةِ مِنْهُ مَعَ ذَلِكَ الْإِقْرَارِ .

كَمَا قَالَ - تعالى - فِي سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ^(١) .

إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَرْعَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(١٢) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١٣) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٢) .

يُقَالُ : إِنَّ سَبَبَ نَزُولِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يَرْعَبْ ... ﴾ إلخ مَا رُوي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامَ دَعَا ابْنِي أَخِيهِ : سَلَمَةَ وَمُهَاجِرًا ^(٣) إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ :

قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ اللَّهَ - تعالى - قَالَ فِي التَّوْرَةِ : إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ

(١) البقرة: (١٢٥) .

(٢) البقرة: (١٣٠ - ١٣٢) .

(٣) فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ «مُهَاجِر» .

نَبِيًّا اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ ، فَقَدْ اهْتَدَى وَرَشَدَ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ
بِهِ ، فَهُوَ مَلْعُونٌ . فَأَسْلَمَ سَلَمَةً ، وَأَبَى ^(١) مُهَاجِرٌ ، فَانْزَلَتْ ^(٢) .
انتهى .



(١) في المطبوع «أبو» .

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/١٤٧) ونسبه لمقاتل .

السابعة والعشرون

التَّعَبُّدُ^(١) يَكْشِفُ الْعَوْرَاتِ .

قال - تعالى - في سورة «الأعراف»: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ .

قال بعضُ المُفسِّرينَ: الفاحِشَةُ هُنا: الفَعْلَةُ القَبِيحَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي القُبْحِ ، والتَّاءُ إمَّا لِأَنَّهَا مُجْرَاءٌ عَلَى المَوْصُوفِ المؤنَّثِ ؛ أي: فَعْلَةٌ فاحِشَةٌ ، وإمَّا لِلنَّقْلِ مِنَ الوَصْفِيَّةِ إِلَى الاسْمِيَّةِ ، والمُرَادُ بِهَا هُنا: عِبَادَةُ الأصْنَامِ ، وكَشَفُ العَوْرَةِ فِي الطَّوَافِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَعَنِ الْفَرَّاءِ تَخْصِيصُهَا بِكَشْفِ الْعَوْرَةِ .

وَفِي الْآيَةِ حَذْفٌ ، أَي: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، فَفُهِمُوا عَنْهَا قَالُوا: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ، مُحْتَجِّينَ بِأَمْرَيْنِ: بِتَقْلِيدِ الْآبَاءِ ، وَالْاِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ^(٣) .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «الْمَجَاهِرَةُ» .

(٢) الْأَعْرَافُ: (٢٨ - ٢٩) .

(٣) نَقَلَ الْمُؤَلِّفُ هَذَا التَّفْسِيرَ مِنْ «رُوحِ الْمَعَانِي» (١٠٦/٨) بِشَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفِ .

وكان من سنة الخمس^(١) أنهم لا يخرجون أيام المواسم إلى عرافات ، إنما يقفون بالمزدلفة ، وكانوا لا يسألون ، ولا ياقطون ، ولا يرتبطون عنزاً ولا بقرة ، ولا يغزلون صوفاً ولا وبراً ، ولا يدخلون بيتاً من الشعر والمدبر ، وإنما يكتنون بالقباب الحمر في الأشهر الحرم ، ثم قرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحِلِّ إذا دخلوا الحرم ، وأن يتركوا ثياب الحِلِّ ، ويستبدلوا بثياب الحرم : إما اشتراء وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها وإلا طافوا بالبيت عرايا .

وقرضوا على نساء العرب مثل ذلك ، غير أن المرأة كانت تطوف في درج مُفرج القوائم والمواخير .

قالت امرأة^(٢) وهي تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بغيضه أو كُله وما بدا منه فلا أحله
أختم مثل القعب بادٍ ظلُّه كأن حُمى خبير تملُّه

وكلّفوا العرب أن يفيضوا من مُزدلفة ، وقد كانوا يفيضون من عرفة ، إلى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وشرعوها^(٣) ، مما لم يأذن به الله .

(١) الحمس : قريش وما ولدت ، ومن كان يأخذ مأخذها من القبائل كالأوس والخزرج وخزاعة وثقيف وغزوان وبني عامر وبني صعصعة وجديلة قيس وبني كنانة إلا بني بكر ، سمو بذلك لأنهم تحمسوا - أي : تشددوا - في دينهم ، فكانوا يرون التزهد ، وقيل : بل سمو بالكعبة ؛ لأنها حمساء : حجرها أبيض يميل إلى السواد ، والأول أشهر .

انظر : «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٥٨/٢) ، «الروض الأنف» (٢٢٩/١) ، «فتح الباري» (٦٠٣/٣) .

(٢) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة ، كما في «الروض الأنف» (١٣٤/١) .

(٣) في المطبوع «وتشرعوها» .

وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِجَاهِلِيَّتِهِمْ .

وْغَالِبُ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ ابْتَدَعُوا فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ
اللَّهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ اتَّخَذَ ضَرْبَ الْمَعَازِفِ وَآلَاتِ اللّٰهُ عِبَادَةً يَتَعَبَّدُونَ بِهَا فِي
بُيُوتِ اللَّهِ وَمَسَاجِدِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ اتَّخَذَ الطَّوَافَ عَلَى الْقُبُورِ وَالسَّفَرَ ^(١) إِلَيْهَا وَالتُّدُورَ أَخْلَصَ
عِبَادَتِهِ وَأَفْضَلَ قُرْبَاتِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ ابْتَدَعَ الرَّهْبَانِيَّةَ وَالْحِيلَ الشَّيْطَانِيَّةَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ سَلَكَ سَبِيلَ
الزُّهَادِ وَطَرِيقَ الْعِبَادِ ، وَمَقْصِدُهُ الْأَعْلَى نَيْلُ شَهَوَاتِهِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَالْفَوْزُ بِهَذِهِ
الدُّنْيَا الدُّنْيَا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَاذَا يَقُولُ .
إِلَى دَيَّانٍ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ ^(٢)

* * *

(١) فِي الْمَخْطُوطِ «وَالْقَصْد» ، وَقَدْ أَثْبَتَ مَا فِي الْمَخْطُوطِ ؛ لِأَنَّهُ أَلِيقٌ ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ
قَصْدٍ لِلْقُبُورِ مِنْهَا عَنهُ ، بِخِلَافِ السَّفَرِ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ كَمَا فِي «دِيَوَانِهِ» (ص ٣٠٩) .

الثامنة والعشرون

التَّعَبُّدُ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ .

فَرَدَّ اللَّهُ - تعالى - ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ «الأعراف»: ﴿يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (١).

وَمَعْنَى الْآيَاتِ: ﴿يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ، أَي: ثِيَابَكُمْ لِمَوَارَاةِ عَوْرَاتِكُمْ عِنْدَ طَوَافٍ أَوْ صَلَاةٍ .

وَسَبَبُ التُّزْوِلِ: أَنَّهُ كَانَ أَنْاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاءَ ، حَتَّى إِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ لَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ ، فَتَعَلَّقَ عَلَى سُفْلِهَا سُيُورًا مِثْلَ هَذِهِ السُّيُورِ الَّتِي تَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْحُمْرِ مِنَ الدُّبَابِ ، وَهِيَ تَقُولُ: الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى - هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مِمَّا طَابَ لَكُمْ (٢).

قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قَوْتًا ، وَلَا يَأْكُلُونَ دَسْمًا فِي أَيَّامِ حَجِّهِمْ ، يُعَظِّمُونَ بِذَلِكَ حَجَّهِمْ ، فَقَالَ

(١) الأعراف: (٣١ - ٣٣).

(٢) «مما طاب لكم» ساقط من المطبوع.

المُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْآيَةَ (١) .
وَفِيهِ يَظْهَرُ وَجْهُ ذِكْرِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ (٢) هُنَا .

﴿ وَلَا تُشْرِكُوا ﴾ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ ، كَمَا هُوَ الْمُنَاسِبُ لِسَبَبِ التَّزْوِيلِ .
﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ بَلْ يُبْغِضُهُمْ ، وَلَا يَرْضَى أفعالَهُمْ .
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ مِنَ الثِّيَابِ وَكُلِّ مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ ،
وَخَلَقَهَا لِنَفْعِهِمْ مِنَ الثِّيَابِ كَالْقُطُنِ وَالْكَثَّانِ وَالْحَيَوَانِ كَالْحَرِيرِ وَالصُّوفِ .
﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ أَيِ: الْمُسْتَلَذَّاتِ ، وَقِيلَ: الْمُحْدَلَّاتِ مِنَ الْمَأْكَلِ
وَالْمَشَارِبِ كُلِّهِنَّ الشَّاةِ وَشَحْمِهَا وَلَبَنُهَا .

﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، أَيِ: هِيَ لَهُمْ بِالْأَصَالَةِ؛ لِمَزِيدِ
كَرَمِهِمْ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَالْكَفَرَةِ ، وَإِنْ شَارَكُوهُمْ فِيهَا ، فَيَالْتَبِعْ ، فَلَا
إِشْكَالَ فِي الْاِخْتِصَاصِ .

﴿ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ ، أَيِ: لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ .
﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ، أَيِ: مِثْلَ تَفْصِيلِنَا هَذَا الْحُكْمَ ،
نُفَصِّلُ سَائِرَ الْأَحْكَامِ لِمَنْ يَعْلَمُ مَا فِي تَضَامِينِهَا مِنَ الْمَعَانِي الرَّائِقَةِ .
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾ ، أَيِ: مَا تَزَايَدَ قُبْحُهُ مِنَ الْمَعَاصِي ، وَمِنْهُ
مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفُرُوجِ .

﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾: بَدَلٌ مِنَ الْفَوَاحِشِ ، أَيِ: جَهْرُهَا وَسِرُّهَا .
وَعَنِ الْبَعْضِ: ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ الزُّنَى عَلَانِيَةً ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزُّنَى سِرًّا (٣) ،

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (١٥٧/٢) .

(٢) في المطبوع «الشراب» .

(٣) وهذا أحد أقوال ابن عباس في الآية ، وبه قال سعيد بن جبير ، كما في «زاد
المسير» (٣٤/٣) .

وكانوا يكرهون الأول ، ويفعلون الثاني ، فنهوا عن ذلك مطلقاً .

وعن مجاهد: ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ التَّعَرِّي فِي الطَّوَافِ ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزَّنى ^(١) .

والبعض يقول: الأول: طَوَافُ الرِّجَالِ بالنَّهَارِ ، والثاني: طَوَافُ النِّسَاءِ بالليل عاريات ^(٢) .

﴿ وَالْإِثْمَ ﴾ ، أي: ما يُوجِبُ الإِثْمَ ، وأصله الذَّمُّ ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَا يُوجِبُهُ مِنْ مُطْلَقِ الذَّنْبِ ، وَذُكِرَ لِلتَّعْمِيمِ بَعْدَ التَّخْصِصِ بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَعْنَى الْفَوَاحِشِ .

ومِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الإِثْمَ هُوَ الْخَمْرُ ، وَعَلَيْهِ أَهْلُ اللَّغَةِ ^(٣) ، وَأَنْشَدُوا لَهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَقْرَبَ الزَّنى

وَأَنْ نَشْرَبَ الإِثْمَ الَّذِي يُوْجِبُ الْوِزْرَا ^(٤)

وقول الآخر:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ ^(٥)

* * *

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٤) .

(٢) وهذا اختيار البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٥٧) .

(٣) أنكر بعض أهل اللغة أن يكون الإِثْمُ من أسماء الخمر ، انظر: «اللسان»: «أثم» ، «تاج العروس»: «أثم» .

(٤) أنشد هذا البيت أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٩٢) ولم يذكر قائله .

(٥) ذكر هذا البيت الأزهري في «تهذيب اللغة»: «أثم» ، وابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» (١/ ٦١) ، وابن سيده في «المحکم» (١٠/ ١٨٧) ، والجوهري في «الصحاح»: «أثم» ، وأبو هلال العسكري في «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» (٢/ ٥٠٢) ، وابن منظور في «اللسان»: «أثم» ، والزبيدي في «التاج»: «أثم» ، وأنشده ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٧٨٤) والقرطبي في «تفسيره» .

التاسعة والعشرون

الإلحاد في أسمائه وصفاته .

قال - سبحانه - في سورة «الأعراف» : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) .

تفسير هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ : تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره - تعالى - ، وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه - سبحانه - ، وعمّا يليق بشأنه ، إثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة .

﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ : إمّا من الدعوة بمعنى التسمية ، كقولهم : دعوته زيداً ، أو يزيد^(٢) ، أي : سمّيته ، أو الدعاء بمعنى النداء ، كقولهم : دعوت زيداً ، أي : ناديته .

﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ . أي : يميلون وينحرفون فيها عن الحق إلى الباطل ، يقال : ألحد ، إذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه : لحد القبر ؛ لكونه في جانبه بخلاف الصريح ، فإنه في وسطه .

والإلحاد في أسمائه - سبحانه - أن يُسمّى بلا توقيف فيه ، أو بما يؤهم معنى فاسداً ، كما في قول أهل البدو : يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه ،

(١) الأعراف : (١٨٠) .

(٢) في المطبوع «يزيد» .

يا سَخِيٍّ ، ونحو ذلك ، فالْمُرَادُ بِتَرْكِ الْمَأْمُورِ بِهِ: الاجْتِنَابُ عَنْ ذَلِكَ ، وبأَسْمَائِهِ مَا أَطْلَقُوهُ عَلَيْهِ - تَعَالَى - وَسَمَّوْهُ بِهِ عَلَى زَعْمِهِمْ ، لَا أَسْمَاؤُهُ - تَعَالَى - حَقِيقَةً ، وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ تَرْكُ الْإِضْمَارِ ، بَأَن يُقَالَ: يُلْحِدُونَ بِهَا^(١).

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴾^(٢).

وهذه الآية في سورة «الرَّعْدِ».

عَنْ قَتَادَةَ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَمُقَاتِلٍ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ لَمَّا رَأَوْا كِتَابَ الصُّلْحِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَقَدْ كَتَبَ فِيهِ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: مَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا مُسَيِّلِمَةً^(٣).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: سَمِعَ أَبُو جَهْلٍ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ» ، فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَنْهَانَا عَنْ عِبَادَةِ آلِهَةٍ وَهُوَ يَدْعُوا إِلَهَيْنِ ، فَتَزَلَّتْ^(٤).

وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ: ﴿ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ﴾ ، قَالُوا: ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ ؟ فَتَزَلَّتْ ﴾^(٥).

(١) «روح المعاني» (٩/ ١٢١).

(٢) الرعد: (٣٠).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٢٧٣) ، وابن الجوزي في «زاد المسر» (٣٢٩/ ٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٥١٥/ ٢).

(٤) ذكر هذا الأثر البغوي في «تفسيره» (١٩/ ٣) ، وابن الجوزي في «تفسيره» (٣٢٩/ ٤).

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (١٩/ ٣) ، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٢٧٣) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٢٩/ ٤) ، ونسبوه لابن عباس.

وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ.

وَقَالَ - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخُسْرَيْنِ ﴿١﴾﴾.

وهذه الآية إخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون في صفاته ، كما كانوا يلحدون في أسمائه - تعالى - .

أَخْرَجَ أَحْمَدُ^(٢) وَابْنُ خَالٍ^(٣) وَمُسْلِمٌ^(٤) وَالتِّرْمِذِيُّ^(٥) وَالنَّسَائِيُّ^(٦) وَجَمَاعَةٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : «كُنْتُ مُسْتَرِأً^(٧) بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، فَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ : قُرْشِيُّ وَثَقَفِيَّانِ ، أَوْ ثَقَفِيٌّ وَقُرْشِيَّانِ ، كَثِيرٌ لَحْمٌ بَطُونِهِمْ ، قَلِيلٌ فِقْهُ^(٨) قُلُوبِهِمْ ، فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعْهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا هَذَا؟ فَقَالَ الْآخَرُ : إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا يَسْمَعُهُ ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْ لَمْ

(١) فصلت : (٢١ - ٢٣).

(٢) في «مسنده» (١/ ٣٨١ ، ٤٠٨ ، ٤٢٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣).

(٣) في «صحيحه» - كتاب التفسير - باب ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ - (٣٦/٦) ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ - (٢٠٧/٨).

(٤) في «صحيحه» - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - (٥٠/٤) ح ٢٧٧٥ .

(٥) في «جامعه» - كتاب التفسير - باب ومن سورة حم السجدة - (٣٧٥/٥) ح ٣٢٤٨ ، ٣٢٤٩ .

(٦) في «السنن الكبرى» - كتاب التفسير - قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ (٤٥١/٦) ح ١١٤٦٨ .

(٧) في المطبوع «مستنداً» .

(٨) في المطبوع «عفة» .

يَسْمَعُ ، فقال الآخرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئاً سَمِعَهُ كُلُّهُ . قال : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ . . . ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

فهذا هو الإلحادُ في الصِّفاتِ .

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَوْقَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَسَمَّوْا اللَّهَ بِأَسْمَاءٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ صِفَاتٌ قَامَتْ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: صِفَاتُهُ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتِهِ وَلَا غَيْرُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ صِفَاتِهِ غَيْرُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا ، وَأُثْبِتُوا لَهُ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ ، وَأَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْ رُسُلِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِلْحَادِ الَّذِي حَشَوْا بِهِ كُتُبَهُمْ ، وَمَلَأُوهَا مِنَ الْهَذْيَانِ ، وَظَنُّوا أَنَّ الْآيَةَ مُخْتَصَّةٌ بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَا دَرَوْا أَنَّهُمْ الْفَرْدُ الْكَامِلُ لِعُمُومِهَا .

وَمَنْ بَصَّرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - وَنَوَّرَ قَلْبَهُ ، أَعْرَضَ عَنِ أَخْذِ عَقَائِدِهِ مِنْ كُتُبِ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ ، وَتَلَقَّى مَعْرِفَةَ إِلَهِهِ مِنْ كُتُبِ السَّلَفِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

* * *

الثلاثون

نِسْبَةُ النَّفَائِصِ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - كَالْوَلَدِ وَالْحَاجَةِ ، فَإِنَّ النَّصَارَى قَالُوا : ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾^(١) ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ قَالُوا : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ ، وَقَوْمٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ قَالُوا بِتَوَلِيدِ الْعُقُولِ ، وَقَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : الْعَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَقَدْ نَزَّ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ وَنَفَاهُ :

بِقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ لَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾^(٢) .

وَبِقَوْلِهِ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٣) .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْلِلُ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴾^(٤) .

وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تُذَكَّرُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ بَعْضِ الْأُمَمِ ، كَمَا أَنَّ مَا نَفَاهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ يَعُمُّ - أَيْضاً - جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْإِتِّخَاذَاتِ ، لَا اصْطِفَاؤُهُ .

(١) التوبة : (٣٠) .

(٢) الإخلاص : (١ - ٤) .

(٣) الصفات : (١٥١ - ١٥٢) .

(٤) الأنعام : (١٠٠ - ١٠١) .

كما قال - تعالى - : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

قال السُّدِّيُّ : قالوا : إِنَّ اللَّهَ - تعالى - أَوْحَى إِلَى إِسْرَائِيلَ : إِنَّ وَلَدَكَ يَكْرِي مِنَ الْوَلَدِ ، فَأَدْخِلْهُمْ النَّارَ ، فَيَكُونُونَ فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى تُطَهَّرَهُمْ وتأكل خطاياهم ، ثم ينادي منادٍ : أَخْرِجُوا كُلَّ مَخْتُونٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢) .

وقد قال الله - تعالى - : ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ ﴾ (٤) .

وقال - تعالى - : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥) الَّذِي لَمْ يُلْمْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْحِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ نَقْدِيرًا ﴾ (٥) .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ

(١) المائدة : (١٨) .

(٢) أخرجه ابن جرير بنحوه في «تفسيره» (٦٤/٦) ، وذكره ابن كثير في «تفسيره»

(٣٥/٢) وزاد نسبه لابن أبي حاتم ، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير»

(٣١٨/٢) ، والقرطبي في «تفسيره» (١٢٠/٦) .

(٣) المؤمنون : (٩١) .

(٤) الإسراء : (١١١) .

(٥) الفرقان : (١ - ٢) .

(٦) في المخطوط «يعلمون» وهو خطأ .

فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ^(١).

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّهِ بَحِينَ أَيْنَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ^(٥١) وَلَمْ^(٢) مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا^(٣) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ^(٦) .

وقال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا^(٦١) أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا^(٤) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا^(٥) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَنَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا^(٧) .

وقال : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ^(١٤) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ^(١٥) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ^(١٥) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ^(١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ^(١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^(١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ^(١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ^(١٥٨) سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ^(١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^(١٦٠) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ^(١٦١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ^(١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ^(٨) .

وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلَتْ وَالْعُرَى^(١٩) وَمَنُوءَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى^(٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ

(١) الأنبياء : (٢٦ - ٢٩) .

(٢) الواو ساقطة من المخطوط ، وهو خطأ .

(٣) النحل : (٥١ - ٥٢) .

(٤) في المطبوع «وتجعلون» وهو خطأ .

(٥) النحل : (٥٦) .

(٦) النحل : (٥٧) .

(٧) الإسراء : (٣٩ - ٤٣) .

(٨) الصافات : (١٤٩ - ١٦٣) .

الْأُنثَى ﴿٦﴾ تِلْكَ إِذَا قُسِمَتْ ضِرَازٌ ﴿٧﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُهَا اسْمَ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٨﴾ (١).
إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الْمَلَكَةَ تَسْمِيَةَ الْإُنْثَى﴾ (٢).

وقال - تعالى -: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ (٣).

قال بعض المفسرين: ﴿جُزْءًا﴾ ، أي: نصيباً وبعضاً (٤).

وقال بعضهم: جعلوا لله نصيباً من الولد (٥).

وعن قتادة (٦) ومقاتل: عدلاً.

وكلا القولين صحيح ، فإنهم يجعلون له ولداً ، والولد يُشبه أباه.

ولهذا قال: ﴿وَلِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ (٧) أي: البتات.

كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى﴾ (٨).

فَقَدْ جَعَلُوا لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ، وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ، فَإِنَّ الْوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ ، قَالَ ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي» (٩).

(١) النجم: (١٩ - ٢٣).

(٢) النجم: (٢٧).

(٣) الزخرف: (١٥).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢١٩/٥) ، و«تفسير البغوي» (١٣٥/٤).

(٥) انظر: «زاد المسير» (٣٠٥/٧).

(٦) أخرجه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٥/٢) ، وابن جرير في «تفسيره» ، وذكره

السيوطي في «الدر المنثور» (١٥/٦) ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) الزخرف: (١٧).

(٨) النحل: (٥٨) ، وقد ذكر في المطبوع تمام الآية.

(٩) جاء هذا اللفظ في عدة أحاديث ، منها ما أخرجه مسلم في «صحيحه» - كتاب

فضائل الصحابة - باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ - (١٩٠٣/٤) ح ٢٤٤٩.

وقوله في «الأنعام»: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١).

قال الكلبي: «نزلت في الزنادقة، قالوا: إن الله وإبليس شريكان، فالله خالق الثور والناس والدواب والأنعام»^(٢)، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب»^(٣).

وأما قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾:

ف قيل: هو قولهم: الملائكة بنات الله، وسُمي الملائكة جنًا؛ لاختفائهم عن الأبصار، وهو قول مجاهد وقتادة^(٤).

وقيل: قالوا لحي من الملائكة يقال لهم: الجن، ومنهم إبليس: هم^(٥) بنات الله^(٦).

وقال الكلبي: قالوا - لعنهم الله - بل بُدورٌ يخرج منها الملائكة.

وقوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾:

قال بعض المفسرين: هم كفار العرب، قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، واليهود قالوا: عزيز ابن الله^(٧).

والذين كانوا يقولون من العرب: إن الملائكة بنات الله، وما نُقل عنهم

(١) الأنعام: (١٠٠).

(٢) «والأنعام» ساقطة من المطبوع.

(٣) ذكر هذا الأثر البغوي في «تفسيره» (١١٩/٢)، والواحي في «أسباب النزول» (ص ٢٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٩٦/٣).

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤٤/٤).

(٥) في المخطوط «وهم».

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤٤/٤) ونسبه لابن عباس.

(٧) وهذا قول السدي كما في «الدر المنثور» (٣٧/٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

مِنْ أَنَّهُ صَاهَرِ الْجِنَّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَقَدْ نَفَاهُ عَنْهُ بِامْتِنَاعِ الصَّاحِبَةِ ،
وَبِامْتِنَاعِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ جُزْءٌ ، فَإِنَّهُ صَمَدٌ .

وقوله: ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾ ، وَهَذَا لِأَنَّ الْوِلَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ
أَصْلَيْنِ ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ تَوَلَّدَ الْأَعْيَانُ - وَتُسَمَّى الْجَوَاهِرَ - وَتَوَلَّدَ الْأَعْرَاضُ
وَالصِّفَاتُ ، بَلْ وَلَا يَكُونُ تَوَلَّدَ الْأَعْيَانُ إِلَّا بِانْفِصَالِ جُزْءٍ مِنَ الْوَالِدِ^(١) ، فَإِذَا
امْتَنَعَ أَنْ تَكُونَ لَهُ صَاحِبَةً ، امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، وَقَدْ عَلِمُوا كُلُّهُمْ أَنَّ
لَا صَاحِبَةَ لَهُ ، لَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَا مِنَ الْجِنَّ ، وَلَا مِنَ الْإِنْسِ ، فَلَمْ يَقُلْ
أَحَدٌ مِنْهُمْ: إِنَّ لَهُ صَاحِبَةً؛ فَلِهَذَا اخْتَجَّ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ
كُفَّارِ الْعَرَبِ أَنَّهُ صَاهَرِ الْجِنَّ ، فِهَذَا فِيهِ نَظَرٌ ، وَذَلِكَ إِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ ، فَهُوَ
مِمَّا يُعْلَمُ انْتِفَاؤُهُ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ ، وَكَذَلِكَ مَا قَالَتْهُ النَّصَارَى مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ
ابْنُ اللَّهِ ، وَمَا قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّ الْعَزِيزَ ابْنَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ نَفَاهُ
- سُبْحَانَهُ - بِهَذَا وَهَذَا^(٢) .

وَتَمَامُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ فِي كِتَابِ «الْجَوَابِ الصَّحِيحِ لِمَنْ بَدَّلَ دِينَ
الْمَسِيحِ»^(٣) ، وَ«تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ»^(٤) وَغَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ
تَقِيِّ الدِّينِ - قُدْسَ اللَّهُ رُوحَهُ - .

* * *

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «الْوَلَدُ» ، وَمَا ذَكَرْتُهُ مُوَافِقَ لِمَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «تَفْسِيرِ سُورَةِ
الْإِخْلَاصِ» (١٧/٢٧٢) .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ «بِهَذَا» .

(٣) (٣/٢٠٢ - ٢١٢) .

(٤) «مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ» (١٧/٢٦٨ - ٢٧٦) .

الحادية والثلاثون

تَنْزِيَهُ الْمَخْلُوقِ عَمَّا نَسَبُوهُ لِلخَالِقِ ، مِثْلُ: تَنْزِيهِ أَحْبَارِهِمْ عَنِ الْوَلَدِ
وَالْحَاجَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي اسْتِحْصَالِ الْكَمَالَاتِ كَالرُّهْبَانِ
وَأَضْرَابِهِمْ يَتَرَفَّعونَ عَنْ أَنْ يَتَدَنَّسُوا بِدَنَاءَةِ التَّمَتُّعِ بِالنِّسَاءِ ، اقْتِدَاءً بِالْمَسِيحِ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

فَانْظُرْ إِلَى سَخَافَةِ الْعُقُولِ وَمَا قَادَهُمْ إِلَيْهِ ضَلَالُهُمْ حَتَّى اعْتَرَضُوا عَلَى
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي زَوَاجِهِ .

وما أَحْسَنَ مَا قَالَه الْفَارُوقِيُّ رَدًّا عَلَى بَعْضِ أَحْبَارِ النَّصَارَى :
قُلْ لِلْفَرَسَنْلِ قُدُوةَ الرُّهْبَانِ الْجَائِلِيْقِ^(١) الْبُشْرِكَ الرَّبَّانِي
أَنْتَ الَّذِي زَعَمَ الزَّوْاجَ نَقِيصَةً مِمَّنْ حَمَاهُ اللَّهُ عَنْ نُقْصَانِ
وَنَسِيَتْ تَزْوِيجَ الْإِلَهِ بِمَرْيَمَ فِي زَعْمٍ كُلِّ مُثَلَّثٍ نَصْرَانِي^(٢)

(١) الجائليق - بفتح الثاء المثناة -: رئاسة دينية للنصارى في بلاد المسلمين .

انظر: «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» مصطفى الخطيب (ص ١١٧) .

(٢) ذكر هذه الأبيات نعمان الألوسي في «الجواب الفسح لما لُفَّقه عبد المسيح»

(٥١٢/١) ونسبها للفاروقي .

والفرسنل الذي ذكره الفاروقي كان من مشهوري مدرسي النصارى ، ورد بغداد عام

١٢٦٩ هـ ، وأورد على محمد الألوسي والد نعمان أسئلة كان من ضمنها سؤاله عن

زواج النبي ﷺ ، وزعمه أن ذلك ينافي الكمال ، فأجابه الألوسي بأجوبة مسكتة .

انظر: «الجواب الفسح» (٥١١/١ - ٥١٢) .

وَمَنْ جَعَلَ مِنَ الْعَرَبِ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ ، كَانَ يَأْتِفُ مِنْهُنَّ ، وَسَنَ
وَأُذْهَنَ وَقَتْلَهُنَّ ، وَنَسَبُوا اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ .

والمقصود أنَّ هذه المَقَالَاتِ وأشباهها منشؤها الجهلُ بما جاءت به
الرُّسُلُ ، وَعَدَمُ تَحْكِيمِ الْعَقْلِ ، وَإِلَّا فَأَهْلُ الْبَصَائِرِ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمْ هَذَا
الْخَلَلُ ، وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ .

* * *

الثانية والثلاثون

القولُ بِالتَّعْطِيلِ ، كما كانَ يَقُولُهُ آلُ فِرْعَوْنَ .
والتَّعْطِيلُ : إنكارُ أن يكونَ لِلْعَالَمِ صانعٌ^(١) ، كما قال فرعونُ لِقومِهِ :
﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾^(٢) ، ونحو ذلك .
ولم يَخْلُ الْعَالَمُ عن مثلِ هذهِ الجَهالاتِ في كُلِّ عَصْرِ مِنَ الْعُصُورِ .
وأبناءُ هذا الزَّمانِ - إِلَّا النَّادِرَ - على هذهِ العَقيدةِ الباطِلَةِ . ولو نَظَرُوا بعينِ
الإنصافِ والتَّدبُّرِ ، لَعَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَوْجودٍ في الْعَالَمِ يَدُلُّ على خالِقِهِ وبارئِهِ :
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ على أَنَّهُ واحِدٌ^(٣)
وَمِنْ أَيْنَ لِلطَّبِيعَةِ إيجادُ مثلِ هذهِ الدَّقائِقِ التي نَجِدُها في الآفاقِ
والأنفُسِ ، وهي عَدِيمَةُ الشُّعُورِ لا عِلْمَ لَهَا ولا فَهْمَ ؟! تعالى اللهُ عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

* * *

(١) انظر في التعطيل وأنواعه : «الجواب الكافي» لابن القيم (ص ١٥٣) .

(٢) القصص : (٣٨) .

(٣) هذا البيت لأبي العتاهية كما في ديوانه (ص ٦٢) .

الثالثة والثلاثون

الشَّرَكَةُ فِي الْمُلْكِ ، كما تقولُهُ الْمَجُوسُ .

والمجوسُ أُمَّةٌ تُعَظَّمُ الْأَنْوَارَ وَالنَّيِّرَانَ وَالْمَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَيُقَرُّونَ بِنُبُوَّةِ
زَرَادِشْتَ ، وَلَهُمْ شَرَائِعُ يَصِيرُونَ إِلَيْهَا .

وَهُمْ فَرَّقُوا شَتَّى :

مِنْهُمْ الْمَزْدَكِّيَّةُ أَصْحَابُ مَزْدَكَ الْمُؤَبَّدِ^(١) . وَالْمُؤَبَّدُ - عِنْدَهُمْ - : الْعَالِمُ
الْقُدُوءُ . وَهَؤُلَاءِ يَرُونَ الْإِشْتِرَاكَ فِي النِّسَاءِ وَالْمَكَاسِبِ كَمَا يُشْتَرَكُ فِي
الْهَوَاءِ وَالطَّرِيقِ وَغَيْرِهَا .

وَمِنْهُمْ الْخُرَمِيَّةُ : أَصْحَابُ بَابِكَ الْخُرَمِيِّ^(٢) ، وَهُمْ شَرُّ طَوَائِفِهِمْ ،

(١) وهو رجل إباحي ، ظهر زمن قباد ، وادعى النبوة ، ثم دعا الناس إلى الاشتراكية
في كل شيء ، وإلى الإباحية ؛ لأنه زعم أن أكثر ما يقع بين الناس من البغضاء
والمخالفة إنما سببه النساء والأموال ؛ لذا أحلها ، وجعل الناس فيها شركاء ،
فأجابه قباد ، ثم قتله أنوشروان .

انظر : «تاريخ اليعقوبي» (١/١٦٤) ، «تاريخ ابن جرير» (٢/٩٢ - ٩٣) ،
«الفهرست» للنديم (ص ٤٠٦) ، «الفصل» (٢/٢٧٤) ، «الملل والنحل»
(١/٢٤٩) ، «البدء والتاريخ» (٣/١٦٧ - ١٦٨) ، «تلبيس إبليس» (٨٨) ،
«الكامل في التاريخ» (١/٢٤١ - ٢٤٢) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»
(ص ٨٩) ، «المختصر في أخبار البشر» (١/٥١) ، «تاريخ ابن خلدون»
(٢/١٧٦) ، «أخبار الدول وآثار الأول» للقرماني (٣/١٥٢) .

(٢) بابك الخرمي : من مجوس فارس ، ادعى الإسلام ، وتسمى بالحسن أو الحسين ، =

لَا يُقَرُّونَ بِصَانِعٍ وَلَا مَعَادٍ وَلَا نُبُوَّةٍ وَلَا حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ.

وعلى مذهبيهم طوائفُ القرامطة^(١) والإسماعيلية^(٢) والنصيرية^(٣)

= وخرج في بعض الجبال بناحية أذربيجان أيام المعتصم العباسي ، وتآمر معه أحد أبناء ملته وهو الإفشين قائد جند المعتصم ، وخافه الناس ، واشتدت وطأته على المسلمين ، وطالت أيامه ، حتى تمكن المعتصم من أسره ، ثم صلبه .

(١) القرامطة: إحدى الطوائف الباطنية ، وتنسب إلى رجل اسمه «حمدان قرمط» ، وقيل: بل تنسب إلى رئيس لهم يلقب «قرمطويه» ، لهم بدع كثيرة منها: القول بنبوة عبد الله بن الحارث الكندي وعبادته ، والقول بتناسخ الأرواح ، كان لهم دولة في الأحساء .

انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٠٠) ، «التنبيه والرد» للملطي (ص ٢٠) ، «فرق الشيعة» للنوبختي (ص ٧٢) ، «التبصير في الدين» للإسفرائيني (ص ١٤١) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين» (ص ٧٩) ، «البرهان» للسكسكي (ص ٨٠) ، «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ١٨) .

(٢) الإسماعيلية: إحدى فرق الباطنية ، تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، الذي مات في حياة والده ، لهم بدع كثيرة ، منها تأليه أئمتهم ، والقول بالتناسخ ، والحلول ، وهي من الفرق الباطنية التي لا تزال موجودة . انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٠٠) ، «التنبيه والرد» (ص ١٤١) ، «فرق الشيعة» (ص ٦٨) .

«الفرق بين الفرق» (١/ ١٩٢) ، «الاعتقادات» (ص ٥٤) ، «البرهان» (ص ٨١) ، «مذاهب الفرق» لليافعي .

(٣) النصيرية: إحدى فرق الباطنية ، تنسب إلى نصير مولى علي بن أبي طالب ، وقيل: إلى ابن نصير ، وقيل: إلى أبي شعيب محمد بن نصير مولى الحسن العسكري ، لهم بدع كثيرة منها: القول بالباطن ، والقول بحلول الإله في علي وبنيه ، وهي من الطوائف التي لا تزال موجودة .

انظر في شأنها: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٥٠) ، «الملل والنحل» (١/ ١٨٨) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين» (ص ٦١) ، «البرهان» (ص ٦٧) ، «مذاهب الفرق الثنتين والسبعين فرقة» (ص ١٢٢) ، «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ١٥) .

والكَيْسَانِيَّةُ^(١) والزَّرَارِيَّةُ^(٢) والْحَاكِمِيَّةُ^(٣) وسائر العُبَيْدِيَّةِ الذين يُسَمُّونَ
أَنْفُسَهُم «الْفَاطِمِيَّةَ» ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُهُم هَذَا الْمَذْهَبُ ، وَيَتَفَاوَتُونَ فِي
التَّفْصِيلِ .

فَالْمَجُوسُ شُبُوحُ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ وَأُثْمَتُهُمْ وَقُدُوتُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ الْمَجُوسُ
قَدْ يَتَقَيَّدُونَ بِأَصْلِ دِينِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَتَقَيَّدُونَ بِدِينٍ مِنْ دِيَانَاتِ
العَالَمِ وَلَا بِشَرِيعَةٍ مِنْ شَرَائِعِهِ .

* * *

(١) الكيسانية: إحدى طوائف الرافضة الضالة ، تنسب إلى كيسان ، وقد اختلف في
كيسان من يكون؟ فقيل: إنه مولى لأمر المؤمنين علي ، وقيل: هو لقب
للمختار بن أبي عبيد الثقفي ، وقيل: لقب لمحمد بن الحنفية ، لهم بدع كثيرة ،
منها الغلو في محمد بن الحنفية ، وتأليهه ، ومنها القول بالتناسخ ، والحلول ،
والرجعة - قبل القيامة - بعد الموت ، وتأويل الشريعة .

انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/٩١) ، «الفرق بين الفرق» (ص ٣٨) ،
«التبصير في الدين» (ص ٣٠) ، «الملل والنحل» (١/١٤٧) ، «البرهان» (ص ٧٠) ،
«مذاهب الفرق» (ص ١١٩) ، «خبيئة الأكوان» لصديق حسن خان (ص ٣٠) .

(٢) الزرارية: إحدى طوائف الروافض ، ويدعون «التيمية» ، وهم أتباع زرار بن
أعين ، لهم بدع كثيرة ، منها: الغلو في الأئمة وتأليههم ، والقول بحدوث صفات
الله ، وأنها كصفات الأجسام .

انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/١٠٢) ، «الفرق بين الفرق» (ص ٧٠) ،
«التبصير في الدين» (ص ٤٠ ، ١٢١) ، «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ١٧) .

(٣) في المطبوعة «الحكمية» .

والحاكمية: هي طائفة الدروز ، وهي من الطوائف الباطنية ، وتنسب إلى الحاكم
العبيدي المتسمي «الحاكم بأمر الله» ، لهم بدع كثيرة ، منها: القول بتأليه الحاكم ، وأن
للشريعة باطناً وظاهراً ، والأخذ بدِينِ المَجُوسِ . وهي من الطوائف التي لا تزال موجودة .
انظر في شأنها: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٤/١٦١ - ١٦٢) ،
«تاريخ المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة (١/٥٧) ، «أضواء على العقيدة الدرزية»
لأحمد الفوزان ، «عقيدة الدروز» د. محمد الخطيب .

الرابعة والثلاثون

إنكارُ النُّبُوتِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ (٢) كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أُنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٣).

تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ شُرُوعٌ فِي تَقْرِيرِ أَمْرِ النُّبُوتِ ، بَعْدَ مَا حَكَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ ذَكَرَ دَلِيلَ التَّوْحِيدِ وَإِبْطَالِ الشِّرْكِ ، وَقَرَّرَ - سُبْحَانَهُ - ذَلِكَ بِأَوْضَحِ الدَّلِيلِ (٤) وَبِأَوْضَحِ وَجْهِ.

﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ، أَي: حَقَّ مَعْرِفَتِهِ (٥).

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: مَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ (٦) ، إِذْ قَالُوا مُنْكَرِينَ لِبَعْثِهِ

(١) قوله - تعالى -: ﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ﴾ كَذَا فِي الْمَخْطُوطِ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

انظر: «الميسوط في القراءات العشر» لابن مهران (ص ١٧٢).

(٢) الأنعام: (٩٠ - ٩١).

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ «بِأَفْضَحِ الدَّلِيلِ».

(٤) وَهَذَا قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُنْثَنِيِّ كَمَا فِي: «مَجَازِ الْقُرْآنِ» (١/ ٢٠٠) ، وَانْظُرْ:

«النَّكَتُ وَالْعَيُونُ» (٢/ ١٤١) ، وَ«زَادَ الْمَسِيرُ» (٣/ ٨٣).

(٥) وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا فِي «زَادَ الْمَسِيرُ» (٣/ ٨٣) ، وَأَبِي مَالِكٍ أَخْرَجَهُ عَنْهُ =

الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ ، كَافِرَيْنِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ فِيهِمَا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، أَي : شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ .

وَاخْتَلَفَ فِي قَائِلِي ذَلِكَ الْقَوْلِ الشَّنِيعِ : فَعَن مُجَاهِدٍ أَنَّهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ^(١) ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُمْ الْيَهُودُ ^(٢) ، وَمُرَادُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الطَّعْنُ فِي رَسُولَاتِهِ ﷺ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ .

فَقِيلَ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْزَامِ : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ - تَعَالَى - قَدْ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى إنْكَارِ ذَلِكَ ، فَلِمَ لَا تُجَوِّزُونَ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ؟

وَالْكَلَامُ فِي إِبْطَاتِ النَّبُوءَةِ مُفَصَّلٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ إِنْكَارَهَا مِنْ سَنَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَعَارِفِهِمْ ^(٣) . وَفِي النَّاسِ الْيَوْمَ ^(٤) كَثِيرٌ مِمَّنْ هُوَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ وَمُعَوَّجٌ طَرِيقَتِهِمْ ^(٥) .

* * *

= أَبُو حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٣٤١/٤) رَقْم (٧٥٩٠) مِنْ طَرِيقِ السَّدِيِّ ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ كَمَا فِي «النَّكَتِ وَالْعَيُونِ» (١٤١/٢) ، وَ«زَادَ الْمَسِيرَ» (٨٣/٣) ، وَالْفَرَاءُ «فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ» (٣٤٣/١) ، وَالزَّجَاجُ فِي «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ» (٢٧١/٢) .
(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٣٤١/٤) ، وَأَبُو الشَّيْخِ كَمَا فِي «الدَّرِّ الْمَنْثُورِ» (٣٩/٣) .

(٢) انْظُرْ : «تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ» (١١٥/١) .

(٣) «وَمَعَارِفُهُمْ» سَاقَطَ مِنَ الْمَطْبُوعِ .

(٤) «الْيَوْمَ» سَاقَطَ مِنَ الْمَخْطُوطِ .

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ «طَرِيقَتِهِمْ» .

الخامسة والثلاثون

جحد^(١) القَدَر ، والاحتجاجُ بِهِ على الله - تعالى - ومُعَارَضَةُ شَرعِ الله بِقَدَرِ الله .

وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين ، والوقوفُ على سِرِّها عسيرٌ إلا على من وفقه الله - تعالى - .

ولابن القيم كتابٌ جليلٌ في هذا الباب سَمَّاه «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» .

وقد أبطلَ الله - سبحانه - هذه العقيدة الجاهليَّة بقوله - تعالى - : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ^(٢) شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾ .

تفسيرُ هذه الآية : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ : حِكَايَةُ لَفْنٍ آخَرَ مِنْ أَبَاطِيلِهِمْ .

(١) في المخطوط «حجة» ، والتصويب من النسخ الخطية لمسائل الجاهلية .

(٢) في المخطوط «ولو» ، وهو خطأ .

(٣) الأنعام : (١٤٨ - ١٤٩) .

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ : لَمْ يُرِيدُوا بِهَذَا الْكَلَامِ الْإِعْتَادَ عَنْ ارْتِكَابِ الْقَبِيحِ ؛ إِذْ لَمْ يَعْتَقِدُوا قُبْحَ أَفْعَالِهِمْ ، بَلْ هُمْ - كَمَا نَطَقَتْ بِهِ الْآيَاتُ - يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، وَأَنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، فَمَا مَرَادُهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا الْإِحْتِجَاجُ عَلَى أَنَّ مَا ارْتَكَبُوهُ حَقٌّ وَمَشْرُوعٌ وَمَرْضِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى أَنَّ الْمَشِئَةَ وَالْإِرَادَةَ تُسَاوِي الْأَمْرَ ، وَتَسْتَلْزِمُ الرِّضَى ^(١) ، كَمَا زَعَمَتِ الْمُعْتَزَلَةُ ^(٢) ، فَيَكُونُ حَاصِلُ كَلَامِهِمْ : أَنَّ مَا تَرَكَبُوهُ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّحْرِيمِ وَغَيْرِهِمَا تَعَلَّقَتْ بِهِ مَشِئَتُهُ - سُبْحَانَهُ - وَإِرَادَتُهُ ، فَهُوَ مَشْرُوعٌ وَمَرْضِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - .

وَبَعْدَ أَنْ حَكَى - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ذَلِكَ عَنْهُمْ ، رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :- ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، وَهُمْ أَسْلَفُهُمُ الْمُشْرِكُونَ .

وَحَاصِلُهُ : أَنَّ كَلَامَهُمْ يَتَضَمَّنُ تَكْذِيبَ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - .

وَقَدْ دَلَّتِ الْمُعْجِزَةُ عَلَى صِدْقِهِمْ .

(١) انظر: «المغني في أبواب العدل والتوحيد» للقاضي عبد الجبار (٦/ القسم الثاني/ ص ٥١ ، ٥٤) .

(٢) المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني ، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية ، لهم بدع كثيرة ، منها ما ابتدعوه من أصولهم الخمسة: وهي التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهم فرق شتى .

انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٣٥) ، «التنبيه والرد» (ص ٣٥) ، «الفرق بين الفرق» (ص ١١٤) ، «الملل والنحل» للبغدادى (ص ١٨٣) ، «الفصل» (٥/ ٥٧) ، «التبصير في الدين» (ص ٦٣) ، «الملل والنحل» (١/ ٤٣) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص ٣٨) ، «البرهان» (ص ٤٩) ، «مذاهب الفرق» (ص ٤٩) ، «خبيثة الأكوان» (ص ١٥) .

أَوْ نَقُولُ: حَاصِلُهُ: أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ يَجِبُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ يَمْتَنِعُ، وَكُلُّ مَا هَذَا شَأْنُهُ فَلَا تَكْلِيفَ بِهِ؛ لِكُونِهِ مَشْرُوطاً بِالِاسْتِطَاعَةِ، فَيَتَّسِعُ: أَنَّ مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الشَّرِّ وَغَيْرِهِ، لَمْ يُكَلَّفْ يَتْرَكِهِ، وَلَمْ يُبْعَثْ لَهُ نَبِيٌّ، فَرَدَّ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ كَلِمَةُ صِدْقٍ أُريدَ بِهَا بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَا أَنَّ الرُّسُلَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فِي دَعْوَاهُمُ الْبِعْثَةَ وَالتَّكْلِيفَ كَاذِبُونَ، وَقَدْ ثَبَتَ صِدْقُهُم بِالْأَدْلَالِ الْقَطْعِيَّةِ، وَلِكُونَ^(١) ذَلِكَ صِدْقاً أُريدَ بِهِ بَاطِلٌ، ذَمُّهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالتَّكْذِيبِ.

وَوَجُوبُ وَقُوعِ مُتَعَلِّقِ الْمَشِئَةِ لَا يُنَافِي صِدْقَ دَعْوَى الْبِعْثَةِ وَالتَّكْلِيفِ؛ لِأَنَّهُمَا لِإِظْهَارِ الْمَحْجَّةِ وَإِبْلَاجِ الْحُجَّةِ.

﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ، أَي: نَالُوا عَذَابَنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ ، وَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ لَهُمْ عَذَاباً مُدْخِراً عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى -؛ لِأَنَّ الدَّوْقَ أَوَّلُ إِدْرَاكِ الشَّيْءِ.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ ، أَي: هَلْ لَكُمْ مِنْ عِلْمٍ بِأَنَّ^(٢) الْإِشْرَاقَ وَسَائِرَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مَرْضِيٌّ لِلَّهِ - فَتُظْهِرُوهُ لَنَا بِالْبُرْهَانِ؟

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أُمَّمٌ اسْتَوْجَبُوا التَّوْبِيخَ عَلَى قَوْلِهِمْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَهْزُؤُونَ بِالَّذِينَ ، وَيَنْبَغُونَ رَدَّ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - حَيْثُ قَرَعَ مَسَامِعَهُمْ مِنْ شَرَائِعِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - تَفْوِيضُ الْأُمُورِ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، فَحِينَ طَالَبُوهُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَالتَّزَامِ الْأَحْكَامِ ، اخْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِمَا أَخَذُوهُ مِنْ كَلَامِهِمْ مُسْتَهْزِئِينَ بِهِمْ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ، وَلَمْ يَكُنْ غَرَضُهُمْ ذِكْرَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ عِقْدُهُمْ ، كَيْفَ لَا وَالْإِيْمَانُ بِصِفَاتِ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: «وَلَكُونَهُ».

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ: أَي.

الله - تعالى - فَرَّغُ الْإِيمَانِ بِهِ - عَزَّ شَأْنُهُ - وَهُوَ عَنْهُمْ مَنَاطُ الْعَيْقِ (١) .

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ، أَي: تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ - تعالى .

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْكَلِيفَةُ﴾ ، أَي: الْبَيِّنَةُ الْوَاضِحَةُ الَّتِي بَلَغَتْ غَايَةَ الْمَتَانَةِ وَالْقُوَّةَ عَلَى الْإِثْبَاتِ . وَالْمُرَادُ بِهَا فِي الْمَشْهُورِ: الْكِتَابُ وَالرَّسُولُ وَالْبَيَانُ .

﴿فَلَوْ (٢) شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ : بِالتَّوْفِيقِ لَهَا ، وَالْحَمْلُ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ شَاءَ هِدَايَةَ الْبَعْضِ الصَّارِفِينَ اخْتِيَارَهُمْ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ ، وَضَلَالِ آخَرِينَ صَرَفُوهُ إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ ذَكَرَ وَجْهًا آخَرَ فِي تَوْجِيهِ مَا فِي الْآيَةِ ، وَهُوَ أَنَّ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا كَانَ لَا عِتْقَادِيهِمْ أَنَّهُمْ مُسَلِّمُونَ اخْتِيَارَهُمْ وَقُدَرَتَهُمْ ، وَأَنَّ إِشْرَاكَهُمْ إِنَّمَا صَدَرَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْاضْطِرَارِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يُقِيمُونَ الْحُجَّةَ عَلَى اللَّهِ - تعالى - وَرَسُولِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِذَلِكَ ، فَقَرَّدَ اللَّهُ - تعالى - قَوْلَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ عَدَمَ الْاخْتِيَارِ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَشَبَّهَهُمْ بِمَنْ اغْتَرَّ قَبْلَهُمْ بِهَذَا الْخِيَالِ ، فَكَذَّبَ الرُّسُلَ ، وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَاعْتَمَدَ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَشِئَةِ اللَّهِ - تعالى - وَرَامَ إِفْحَامَ الرُّسُلِ بِهَذِهِ الشُّبْهَةِ .

ثُمَّ بَيَّنَّ - سُبْحَانَهُ - أَنَّهُمْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَأَنَّ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ لَهُ - تعالى - لَا لَهُمْ ، ثُمَّ أَوْضَحَ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ كُلَّ وَاقِعٍ وَاقِعٌ بِمَشِئَتِهِ ، وَأَنَّهُ

(١) الْعَيْقُ: كَوْكَبٌ أَحْمَرٌ مُضِيءٌ، بِحِيَالِ الشَّرِيَا مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ ، وَيَطْلُعُ قَبْلَ الْجُوزَاءِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعُوقُ الدَّبْرَانَ عَنْ لِقَاءِ الشَّرِيَا .

«لسان العرب» «عيق» .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ: «وَلَوْ» وَهُوَ خَطَأً .

لَمْ يَشَأْ مِنْهُمْ إِلَّا مَا صَدَرَ عَنْهُمْ ، وَأَنَّهُ - تَعَالَى - لَوْ شَاءَ مِنْهُمْ الْهَدَايَةَ لَهْتَدَوْا أَجْمَعُونَ^(١) .

والمقصودُ أَنْ يَتَمَخَّضَ وَجْهُ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، وَتَتَخَلَّصَ عَقِيدَةُ نُفُوزِ الْمَشِيئَةِ^(٢) وَغُمُومِ تَعَلُّقِهَا^(٣) بِكُلِّ كَائِنٍ عَنِ الرَّدِّ ، وَيَنْصَرِفَ الرَّدُّ إِلَى دَعْوَاهُمْ سَلْبَ الْاِخْتِيَارِ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّ إِقَامَتَهُمُ الْحُجَّةَ بِذَلِكَ خَاصَّةً .

وَإِذَا تَدَبَّرْتَ الْآيَةَ وَجَدْتَ صَدْرَهَا دَافِعاً لِصُدُورِ الْجَبَرِيَّةِ ، وَعَجْزَهَا مُعْجِزاً لِلْمُعْتَزِلَةِ ، إِذِ الْأَوَّلُ مُثَبِّتٌ أَنَّ لِلْعَبْدِ اخْتِيَاراً وَقُدْرَةً عَلَى وَجْهِ يَقْطَعُ حُجَّتَهُ وَعُذْرَهُ فِي الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ ، وَالثَّانِي مُثَبِّتٌ نُفُوزَ مَشِيئَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي الْعَبْدِ ، وَأَنَّ جَمِيعَ أَفْعَالِهِ عَلَى وَفْقِ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَبِذَلِكَ تَقُومُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ^(٤) لِأَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ وَجَّهَ الْآيَةَ بِأَنَّ مَرَادَهُمْ رَدُّ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - عَلَى مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - شَاءَ شِرْكَنَا ، وَأَرَادَهُ مِنَّا ، وَأَنْتُمْ تُخَالِفُونَ إِرَادَتَهُ ، حَيْثُ تَدْعُونَا إِلَى الْإِيمَانِ ، فَوَبَّخَهُمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِوُجُوهِ عِدَّةٍ^(٥) :

مِنْهَا : قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ ، فَإِنَّهُ بِتَقْدِيرِ الشَّرْطِ ، أَيْ : إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ .

(١) فِي الْمَخْطُوطِ « أَجْمَعُونَ » .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ « السُّنَّةُ » ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « رُوحِ الْمَعَانِي » الَّذِي نَقَلَ الْمُؤَلِّفُ عَنْهُ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَاتِ .

(٣) فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ « تَغْلَغَلَهَا » ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « رُوحِ الْمَعَانِي » .

(٤) « الْبَالِغَةُ » لَيْسَتْ فِي الْمَطْبُوعِ .

(٥) فِي « الْمَخْطُوطِ » « عَدَّ » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا فِي الْمَطْبُوعِ .

وقوله - سبحانه - : ﴿ فَلَوْ ^(١) شَاءَ ﴾ بَدَلُ ^(٢) منه على سَبِيلِ الْبَيَانِ ، أَيْ : لَوْ شَاءَ لَدَلَّ كُلُّكُمْ مِنْكُمْ وَمِنْ مَخَالِفِكُمْ عَلَى دِينِهِ ، لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ ، لَكَانَ الْإِسْلَامُ - أَيْضاً - بِالْمَشِئَةِ ، فَيَجِبُ أَنْ لَا تَمْنَعُوا ^(٣) الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْإِسْلَامِ ، كَمَا وَجَبَ بِزَعْمِكُمْ أَلَّا يَمْنَعُكُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَنِ الشَّرِكِ ، فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُخَالَفَةٌ وَمُعَادَاةٌ ، بَلْ مُوَافَقَةٌ وَمَوَالَاةٌ .

وحاصله : أَنَّ مَا خَالَفَ مَذْهَبَكُمْ مِنَ النَّحْلِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ حَقًّا ؛ لِأَنَّهُ بِمَشِئَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَيَلْزَمُ تَصْحِيحُ الْأَدْيَانِ الْمُتَنَاقِضَةِ .

وفي سورة النحل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ^(٤) .

الكلامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ كَالْكَلَامِ عَلَى الْآيَةِ السَّابِقَةِ ، وَلَا تَرَاهُمْ يَتَشَبَّثُونَ بِالْمَشِئَةِ إِلَّا عِنْدَ انْخِرَالِ الْحُجَّةِ ، أَلَّا تَرَى كَيْفَ خَتَمَ بَنَحْوِ آخِرِ مُجَادَلَاتِهِمْ فِي سُورَةِ «الْأَنْعَامِ» فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ، وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ «الرُّخْرِفِ» ، وَهُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَلَيْسَ لَكُمْ كِتَابٌ مِّنْ قَبْلِهِ فَمُتَّبِعُهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ^(٥) .

(١) في المخطوط «ولو» وهو خطأ .

(٢) في المطبوع «بدلاً» .

(٣) في المخطوط «يمنعوا» ولعل الأقرب ما أثبتته ؛ وهو الموافق لما في «روح المعاني» الذي نقل عنه المؤلف .

(٤) النحل : (٣٥) .

(٥) الزخرف : (١٩ - ٢٢) .

وَيَكْفِي فِي الْإِنْقِلَابِ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾ ، وَالْمُرَادُ بِمَا حَرَّمُوهُ: السَّوَائِبُ وَالْبَحَائِرُ وَغَيْرُهَا.

وَفِي تَخْصِيصِ الْأَشْتِرَاكِ وَالتَّحْرِيمِ بِالنَّفْيِ ؛ لِأَنَّهُمَا أَعْظَمُ وَأَشْهَرُ مَا هُمَ عَلَيْهِ ، وَغَرَضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَالطَّعْنُ فِي الرِّسَالَةِ رَأْسًا ؛ فَإِنَّ حَاصِلَهُ: أَيْ مَا شَاءَ اللَّهُ يَجِبُ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ يَمْتَنَعُ ، فَلَوْ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - شَاءَ أَنْ نُوحِّدَهُ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَنُحْلِلَ مَا أَحَلَّهُ ، وَلَا نُحَرِّمَ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمْنَا - كَمَا تَقُولُ الرُّسُلُ وَيَنْقُلُونَهُ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى - لَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا شَاءَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الْإِشْرَاكِ ، وَتَحْلِيلِ مَا أَحَلَّهُ ، وَعَدَمِ تَحْرِيمِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَحَيْثُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يَشَأْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ شَاءَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ مَا يَقُولُهُ الرُّسُلُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ.

فَرَدَّ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ الْأُمَمِ ، أَيْ: أَشْرَكُوا بِاللَّهِ - تَعَالَى - ، وَحَرَّمُوا مِنْ دُونِهِ مَا حَرَّمُوا ، وَجَادَلُوا رَسُولَهُمْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ.

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ، أَيْ: لَيْسَتْ وَظِيفَتُهُمْ إِلَّا الْبَلَاغُ لِلرِّسَالَةِ ، الْمَوْضَحُ طَرِيقَ الْحَقِّ ، وَالْمُظْهَرُ أَحْكَامُ الْوَحْيِ الَّتِي مِنْهَا تَحْتَمُّ تَعَلُّقُ مَشِيتَتِهِ - تَعَالَى - بِاهْتِدَاءِ مَنْ صَرَفَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ إِلَى تَخْصِيلِ الْحَقِّ ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ^(١).

وَأَمَّا إِنْجَاؤُهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَنْفِيزُ قَوْلِهِمْ عَلَيْهِ شَاؤُوا أَوْ أَبَوْا - كَمَا هُوَ مُقْتَضَى اسْتِدْلَالِهِمْ - فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ وَظِيفَتِهِمْ ، وَلَا مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ

(١) العنكبوت: (٦٩).

عليها التَّكْلِيفُ ، حَتَّى يُسْتَدَلَّ بِعَدَمِ ظُهُورِ آثَارِهِ عَلَى عَدَمِ حَقِّيَّةِ^(١) الرِّسَالِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْ عَلَى عَدَمِ تَعَلُّقِ مَشِيئَتِهِ - تَعَالَى - بِذَلِكَ ، فَإِنَّ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ مِنَ الْأَفْعَالِ لَا بُدَّ فِي تَعَلُّقِ مَشِيئَتِهِ - تَعَالَى - بِوُقُوعِهِ مِنْ مُبَاشَرَتِهِمُ الْاِخْتِيَارِيَّةِ ، وَصَرَفِ اخْتِيَارِهِمُ الْجُزْئِيِّ إِلَى تَخْصِيلِهِ ، وَإِلَّا لَكَانَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ اضْطِرَارِيَيْنِ .

والكلامُ على هذه الآية ونحوها مُسْتَوْفَى فِي تَفْسِيرِ «رُوحِ الْمَعَانِي»^(٢) وَغَيْرِهِ .

فَجُحُودُ الْقَدَرِ ، وَالِاحْتِجَاجُ بِهِ عَلَى اللَّهِ ، وَمُعَارَضَةُ شَرَعِ اللَّهِ بِقَدَرِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ ضَلَالَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا جَبَرَ وَلَا تَفْوِضَ ، وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، فَمَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنْ هَذِهِ الْجَادَّةِ كَانَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي رَدَّ عَلَيْهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - وَرَسُولُهُ ﷺ .

* * *

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «حَقِيقَةُ» .

(٢) (٨ / ٥١ - ٥٣) .

السادسة والثلاثون

مَسَّبَهُ الدَّهْرُ ، كَقَوْلِهِمْ فِي سُورَةِ «الْجَاثِيَةِ»^(١) : ﴿وَمَا يُهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(٢) .

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَرَادَ بَيَانَ أَحْكَامِ ضَلَالِهِمْ ، وَالْحَتْمِ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ ، وَجَعَلَ غِشَاوَةً عَلَى أَبْصَارِهِمْ ، فَحَكَى عَنْهُمْ مَا صَدَرَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - :

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ التي نَحْنُ فِيهَا .

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ ، أَيْ : تَمُوتُ طَائِفَةٌ ، وَتَحْيَا طَائِفَةٌ ، وَلَا حَشْرَ أَصْلًا .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِنَّ كَثِيرًا مِنْ عِبَادِ الْأَصْنَامِ كَانَ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ^(٣) ، وَعَلَيْهِ ؛ فَالْمُرَادُ بِالْحَيَاةِ : إِعَادَةُ الرُّوحِ لِبَدَنِ آخَرَ .

﴿وَمَا يُهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ، أَيْ : طَوْلُ الزَّمَانِ .

وإِسْنَادُهُمْ الْإِهْلَاكَ إِلَى الدَّهْرِ إِنْكَارٌ مِنْهُمْ لِمَلَكِ الْمَوْتِ وَقَبْضِهِ الْأَرْوَاحَ

(١) فِي الْمَخْطُوطِ «الْأَحْقَافُ» ، وَهُوَ خَطَأً .

(٢) الْجَاثِيَةُ : (٢٤) .

(٣) عَرَفَ الْجَرَجَانِيُّ التَّنَاسُخَ بِقَوْلِهِ فِي «التَّعْرِيفَاتِ» (ص ٧٢) : «هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَعْلُقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ بَعْدَ الْمَفَارَقَةِ مِنْ بَدَنِ آخَرَ ، مِنْ غَيْرِ تَخْلُلِ زَمَانٍ بَيْنَ التَّعْلُقَيْنِ لِلتَّعَشُّقِ الذَّاتِيِّ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» .

وَانْظُرْ فِيمَا يَنْقُلُ عَنِ الْقَوْلِ بِالتَّنَاسُخِ لَدَى الْعَرَبِ : «الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ» (٢/ ٢٧٣) ، «فِي الْفِكْرِ الدِّينِيِّ الْجَاهِلِيِّ قَبْلَ الْإِسْلَامِ» د . مُحَمَّدُ الْفَيُومِيُّ (٢٤١ - ٢٤٢) .

بِأَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَكَانُوا يُسْنِدُونَ الْحَوَادِثَ مُطْلَقًا إِلَيْهِ؛ لِجَهْلِهِمْ أَنَّهَا مُقَدَّرَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَأَشْعَارُهُمْ لِذَلِكَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ شَكْوَى الدَّهْرِ ،
مثل قولهم :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرَّ الْغَادَاةَ وَمَرَّ الْعَشَى ^(١)
ومثل قول الآخر :

مَنَعَ الْبَقَاءَ تَقْلَبَ الشَّمْسُ وَطَلَّوْعَهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَمْسِي ^(٢)
وقول الآخر :

رَمَانِي الدَّهْرَ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَّادِي فِي غَشَاءٍ مِنْ نِبَالِي
وَكُنْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتْ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ ^(٣)
والشعر في ذلك قديماً وحديثاً كثير .

وهؤلاء مُعْتَرِفُونَ بِوُجُودِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، فَهُمْ غَيْرُ الدُّهْرِيَّةِ ، فَإِنَّهُمْ - مَعَ
إِسْنَادِهِمُ الْحَوَادِثَ إِلَى الدَّهْرِ - لَا يَقُولُونَ بِوُجُودِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

وَالْكُلُّ يَقُولُ بِاسْتِقْلَالِ الدَّهْرِ بِالتَّأْثِيرِ .

(١) هذا البيت مع أبيات أخرى ذكرها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (٥٠٢/١) ،
وأبو تمام في «الحماسة» (١١١/٣) مع شرح التبريزي ، والمبرد في «الكامل»
(١٥٦/٢) ، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» (١٨٨/٣) ، والعباسي في «معاهد
التنصيص» (٧٣/١) ، والبغدادى في «خزانة الأدب» (١٦٠/٢) ونسبها إلى
الصلتان العبدى . وذكرها الجاحظ في «الحيوان» (٤٧٧/٣) ونسبها إلى الصلتان
السعدى وقال : هو غير الصلتان العبدى .

(٢) ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/١١) ، والزمخشري في «ربيع الأبرار»
(١٢٧/١) ، ونسبها إلى تبع ، وذكره أبو هلال العسكري في «الصناعتين»
(ص ٢٢٢) ونسبها إلى بعض ملوك اليمن .

(٣) هذان البيتان للمتنبي وهما في «ديوانه» (ص ٢٦٥) .

وَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ .

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ^(١) : « لَا يَسُبُّ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

وفي رواية لأبي داود^(٢) والحاكم^(٣) : « قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ : يَا خَبِيَّةَ الدَّهْرِ ، فَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ يَا خَبِيَّةَ الدَّهْرِ ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ » .

وَرَوَى الْحَاكِمُ^(٤) - أَيْضاً - : « يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ - : اسْتَفْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُفْرِضْنِي ، وَشَتَمَنِي عَبْدِي وَهُوَ لَا يَذِرِي ، يَقُولُ : وَاذْهَرَاهُ ! وَأَنَا الدَّهْرُ » .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ^(٥) : « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَنَا الْإِيَّامُ وَاللَّيَالِي ، أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيهَا ، وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ » .

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ الْآتِي بِالْحَوَادِثِ ، فَإِذَا سَبَبْتُمُ الدَّهْرَ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ ، وَقَعَ السَّبُّ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

(١) في «صحيحه» - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - باب كراهية تسمية العنب كرمًا - (١٧٦٣/٤) ح ٢٢٤٧ .

(٢) في «سننه» - كتاب الأدب - باب في الرجل يسب الدهر - (٤٢٣/٥) ح ٥٢٧٤ ، ولفظه عنده : «يقول الله - عز وجل - : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار» .

(٣) في «مستدرکه» - كتاب التفسير - باب تفسير سورة حم الجاثية - (٥٤٣/٢) ، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا» .

(٤) في «مستدرکه» - كتاب التفسير - باب تفسير سورة حم الجاثية - (٤٥٣/٢) ، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة» .

(٥) في «السنن الكبرى» (٣٦٥/٣) ، وفي «شعب الإيمان» (٣١٦/٣) ح (٣١٦/٤) ح ، وأحمد في مسنده (٤٩٦/٢) ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧١/٨) : «رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح» ، وصحح الحافظ ابن حجر إسناده في «فتح الباري» (٥٦٥/١٠) .

﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ، أي: لَيْسَ لَهُمْ بِمَا ذُكِرَ مِنْ قَصْرِ الْحَيَاةِ عَلَى مَا فِي الدُّنْيَا وَنَسَبَةِ الْإِهْلَاكِ إِلَى الدَّهْرِ عِلْمٌ مُسْتَنَدٌ إِلَى عَقْلِ أَوْ نَقْلِ .

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ، أي: مَا هُمْ إِلَّا قَوْمٌ قُصَارَى أَمْرِهِمُ الظَّنُّ وَالتَّقْلِيدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَصِحُّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهِ فِي الْجُمْلَةِ .

وَقَدْ ذَكَّرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدَّهْرِينِ .

والمقصودُ أَنَّ مَنْ يَقُولُ بِإِسْنَادِ الْحَوَادِثِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - كَالدَّهْرِ ، فَلَيْسَ لَهُ مُسْتَنَدٌ عَقْلِيٌّ وَلَا نَقْلِيٌّ ، بَلْ هُوَ مَخْضُ جَهْلٍ ، وَقَائِلُهُ جَاهِلٌ فِي أَيِّ عَصْرِ كَانَ .

وَلَأَهْلِ زَمَانِنَا حِظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا الْاِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

* * *

السابعة والثلاثون

إضافة نِعَمِ اللَّهِ إلى غيرِهِ .

قال الله - تعالى - في سورة «النحل» : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١).

وقد عَدَدَ الله - تعالى - نِعَمَهُ على عِبَادِهِ في هذه السُّورَةِ ، إلى أن قال :
﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ
وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾^(٢)
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٣).

فَقَوْلُهُ : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ... ﴾ إلخ ، اسْتِثْنَاءٌ لِّبَيَانِ أَنَّ تَوَلَّى
الْمُشْرِكِينَ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، لَيْسَ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ نِعْمَةَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - أَصْلًا ، فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - ، ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
بِأَفْعَالِهِمْ ، حَيْثُ لَمْ يُفَرِّدُوا مُنْعِمَهَا بِالْعِبَادَةِ ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - أَصْلًا ، وَذَلِكَ كَفْرَانٌ مُّنْزَلٌ مُّنْزَلَةُ الْإِنْكَارِ .

(١) النحل : (٨٣) .

(٢) النحل : (٨١ - ٨٣) .

وأخرج ابن جرير وغيره عن مُجاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: «إِنْكَارُهُمْ إِيَّاهَا قَوْلُهُمْ: وَرِثْنَاهَا مِنْ آبَائِنَا»^(١).

وأخرج هو وغيره - أيضاً - عن عون بن عبد الله أَنَّهُ قَالَ: «إِنْكَارُهُمْ إِيَّاهَا أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: لَوْلَا فَلَانٌ أَصَابَنِي كَذَا وَكَذَا ، وَلَوْلَا فَلَانٌ لَمْ أُصَبْ كَذَا وَكَذَا»^(٢).

وفي لفظ «إِنْكَارُهَا: إِضَافَتُهَا إِلَى الْأَسْبَابِ».

وبعضُهُمْ يَقُولُ: إِنْكَارُهُمْ: قَوْلُهُمْ: هِيَ بِشَفَاعَةِ آلِهَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ - تعالى -^(٣).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: النِّعْمَةُ - هُنَا - مُحَمَّدٌ ﷺ^(٤) ، أَيْ: يَعْرِفُونَ أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - نَبِيُّ بِالْمُعْجَزَاتِ ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ ، وَيَجْحَدُونَهُ عِنَادًا.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، أَيْ: الْمُنْكِرُونَ بِقُلُوبِهِمْ ، غَيْرُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَا ذُكِرَ ، وَالتَّعْبِيرُ بِالْأَكْثَرِ إِمَّا لِأَنَّ بَعْضَهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ؛ لِنَقْصَانِ عَقْلِهِ ، وَعَدَمِ اهْتِدَائِهِ إِلَيْهِ ، أَوْ لِعَدَمِ نَظَرِهِ فِي الْأَدَلَّةِ نَظَرًا يُوَدِّي إِلَى

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» بنحوه (١٥٨/١٤) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٢٦/٤) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥٨/١٤) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٢٧/٤).

(٣) هذا قول الكلبي ، كما ذكر ذلك البغوي في «معالم التنزيل» (٨٠/٣) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤٧٩/٤) ، وقول الفراء كما في «معاني القرآن» (١١٢/٢) ، وابن قتيبة كما في «زاد المسير» (٤٧٩/٤).

(٤) وهذا قول الفراء كما في «معاني القرآن» له (١١٢/٢) ، وقول ابن قتيبة كما في «زاد المسير» (٤٧٩/٤) ، وعزه ابن جرير في «تفسيره» (١٥٧/١٤) إلى السدي ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٢٧/٤) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

المَطْلُوبِ ، أو لَأَنَّهُ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ ؛ لِكَوْنِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى حَدِّ الْمُكَلَّفِينَ لِصَغَرِ وَنَحْوِهِ ، وَإِنَّمَا لَأَنَّهُ يُقَامُ مَقَامَ الْكُلِّ ، فإِسْنَادُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِنْكَارِ الْمَتَفَرِّعِ عَلَيْهَا إِلَى ضَمِيرِ الْمَشْرُوكِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ بَابِ إِسْنَادِ حَالِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ.

وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ «الْوَاقِعَةِ»: ﴿ أَفَهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ^(١) ، أَيْ: تَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا.

رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: «مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ فَلَآ أَفْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ . . . ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ^(٢) .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَذْهَبَ الْعَرَبِ فِي الْأَنْوَاءِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ^(٣) ، وَفَصَّلْنَا تَفْصِيلاً ، وَذَكَرْنَا شِعْرَهُمُ الدَّالَّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ هَذَا ، وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ ^(٤) .

* * *

(١) الواقعة (٨١ - ٨٢).

(٢) الواقعة: (٧٥ - ٨٢).

(٣) وذلك في كتابه «بلوغ الأرب».

(٤) وانظر أيضاً كتاب «القول في النجوم» للخطيب البغدادي ، وكتاب «الأنواء ومواسم العرب» لابن قتيبة.

الثامنة والثلاثون

الكفر بآيات الله .

والتَّصَوُّصُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ :

مِنْهَا قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي «الْكَهْفِ» : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ
فَحَبَّطَتْ أَعْمَالَهُمْ فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرِثَاً﴾ (١) ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي
وَرُسُلِي هُزُوًا (٢) بَعْدَ قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ - : ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ (٣) بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (٤) الَّذِينَ ضَلَّ
سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (٥) أُولَئِكَ . . . (٦) إلخ .

فَقَوْلُهُ : ﴿أُولَئِكَ﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مِنْهُ مَسْوقٌ لِتَكْمِيلِ تَعْرِيفِ الْأَخْسَرِينَ ،
وَتَبْيِينِ خُسْرَانِهِمْ وَضَلَالِ سَعْيِهِمْ وَتَغْيِينِهِمْ ، بِحَيْثُ يَنْطَبِقُ التَّعْرِيفُ عَلَى
الْمُخَاطَبِينَ ، أَيِ : أُولَئِكَ الْمَنْعُوتُونَ (٧) بِمَا ذُكِرَ مِنْ ضَلَالِ السَّعْيِ وَالْحُسْبَانِ
الْمَذْكُورِ .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ : بِدَلَالِهِ - سُبْحَانَهُ - الدَّاعِيَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ ،
الشَّامِلَةِ لِلسَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ .

(١) الكهف : (١٠٥ - ١٠٦) .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ «أُنَبِّئُكُمْ» ، وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) الكهف : (١٠٣ - ١٠٤) .

(٤) فِي الْمَخْطُوطِ «الْمَبْعُوثُونَ» .

﴿وَلَقَائِهِ﴾: هو كِنَايَةٌ عَنِ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ
الْآخِرَةِ ، أَي: لَمْ يُؤْمِنُوا بِذَلِكَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ .

﴿ فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ ، أَي: فَتَزْدَرِي بِهِمْ ،
وَنَحْتَقِرُهُمْ .

وَمِنَ النَّصُوصِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ بَعْضَ الْآيَاتِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ مُعْرِضًا عَنْهَا وَهَاجِرًا لَهَا .

وَلَا يَخْشَاكَ^(١) أَنَّ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ مَنْ هُوَ أَذْهَى وَأَمْرٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ
الْجَاهِلِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ .

* * *

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: «وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ» .

القاسعة والثلاثون

اشْتَرَاءُ كُتُبِ الْبَاطِلِ ، واختيارها عليها ، أي : على الآيات .

قَالَ - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (٩٩) أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ... ﴾ (١).

إلى قوله : ﴿ وَيَنعَلُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

ومعنى قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ ، أي : استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله .

﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، أي : نصيب .

﴿ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ ﴾ ، أي : والله ليس شيئاً شَرَوْا به

(١) البقرة : (٩٩ - ١٠٢) .

(٢) البقرة : (١٠٢ - ١٠٣) .

حُطِّوْظَ أَنْفُسِهِمْ ، أَي: باعوها أو شَرَوْها في زَعْمِهِمْ ذَلِكَ الشَّرَاءَ .
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ ، أَي: بِالرَّسُولِ ، أَوْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ ، أَوْ
بِالتَّوْرَةِ .

﴿ وَاتَّقُوا ﴾ ، أَي: الْمَعَاصِيَ الَّتِي حُكِّيتْ عَنْهُمْ .
﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ، أَي: أَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ
- تَعَالَى - خَيْرٌ لَهُمْ .

وَبِمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ
إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا
مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا
يَكْسِبُونَ ﴿ (١) .

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَحْبَارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ خَافُوا أَنْ تَذْهَبَ رِثَاسَتُهُمْ بِإِبْقَاءِ
صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حَالِهَا ، فَغَيَّرُوهَا .

* * *

(١) البقرة: (٧٨ - ٧٩) .

الأربعون

الْقَدْحُ فِي حِكْمَتِهِ - تَعَالَى - .

أقولُ: مِنْ خِصَالِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ: الْقَدْحُ فِي حِكْمَتِهِ - تَعَالَى - ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِحَكِيمٍ فِي خَلْقِهِ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يَخْلُقُ مَا لَا حِكْمَةَ لَهُ فِيهِ ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى بِمَا لَا حِكْمَةَ فِيهِ .

وقد حكى الله - تَعَالَى - ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ «ص» : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (١) .

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ - فِي سُورَةِ «المؤمنين» : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ (٢) .

وفي سُورَةِ «الدُّخَانِ» : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْتٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وفي سُورَةِ «الأنبياء» : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلَاءَ تَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ ﴾ (٤) .

(١) ص: (٢٧) .

(٢) المؤمنون: (١١٥ - ١١٦) .

(٣) الدخان: (٣٨ - ٣٩) .

(٤) الأنبياء: (١٦ - ١٧) .

وفي سورة «الحجر»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةً ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(١).

إلى غير ذلك من الآيات النَّاصَةِ على أَنَّ الله - تعالى - لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً مِنْ غيرِ حِكْمَةٍ وَلَا عِلَّةٍ ، على خِلَافِ مَا يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ ، وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّنْ نَفَى الْحِكْمَةَ عَنْ أَفْعَالِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

وهذه مَسْأَلَةٌ طَوِيلَةٌ الذَّيْلُ ، قَدْ كَثُرَ فِيهَا الْخِصَامُ بَيْنَ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْحَقُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ مِنْ إِثْبَاتِ الْحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ .

وقَدْ أَطْنَبَ الْكَلَامَ عَلَيْهَا الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ «شِفَاءُ الْعَلِيلِ فِي مَسَائِلِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ» ، وَعَقَدَ بَاباً مُفَصَّلاً فِي طُرُقِ إِثْبَاتِ حِكْمَةِ الرَّبِّ - تَعَالَى - فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ ، وَإِثْبَاتِ الْغَايَاتِ الْمَطْلُوبَةِ وَالْعَوَاقِبِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي فَعَلَ وَأَمَرَ لِأَجْلِهَا .

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا قَالَ فِي هَذَا الْبَابِ : «إِنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْكَرَ^(٢) عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ لِغَايَةٍ وَلَا بِحِكْمَةٍ ، كَقَوْلِهِ : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ ، وَقَوْلِهِ : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ، وَقَوْلِهِ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَإِعبَةٍ﴾ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَالْحَقُّ : هُوَ الْحِكْمُ وَالْغَايَاتُ الْمَحْمُودَةُ ، الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ ذَلِكَ كُلُّهُ ، وَهُوَ أَنْوَعُ كَثِيرَةٌ :

منها : أَنْ يُعْرِفَ اللهُ بِأَسْمَائِهِ ، وَصِفَاتِهِ ، وَأَفْعَالِهِ ، وَآيَاتِهِ .

وَمِنْهَا : أَنْ يُحَبِّ ، وَيُعْبَدَ ، وَيُشْكَرَ ، وَيُذَكَّرَ ، وَيُطَاعَ .

(١) الحجر : (٨٥) .

(٢) فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» : «إِنْكَارُهُ - سُبْحَانَهُ - .»

ومنها: أن يأمر ، وينهى ، ويُشرع الشرائع.

ومنها: أن يُدبر الأمر ، ويبرم القضاء ، ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات.

ومنها: أن يُثيب ويُعاقب ، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، فيكون^(١) أثر عدله وفضله موجوداً مشاهداً ، فيحمد على ذلك ويشكر.

ومنها: أن يعلم خلقه أنه لا إله غيره ولا رب سواه.

ومنها: أن يصدق الصادق فيكرمه ، ويكذب الكاذب فيهينه.

ومنها: ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الدهني والخارجي ، فيعلم عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع.

ومنها: شهادة مخلوقاته كلها بأنه وحده ربها وفاطرها ومليكمها ، وأنه وحده إلهها ومعبودها.

ومنها: ظهور آثار كماله المقدس ، فإن الخلق والصنع لازم كماله ، فإنه حي قدير ، ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً.

ومنها: أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به ، ومجيئه على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه ، فتشهد حكمته الباهرة.

ومنها: أنه - سبحانه - يحب أن يجود ويُنعم ، ويعفو ويغفر ويسامح ، ولا بُد من لوازم ذلك خلقاً وشرعاً.

ومنها: أنه يحب أن يُثنى عليه ، ويُمدح ويُمجّد ، ويسبح ويعظم.

(١) في «شفاء العليل»: «فيوجد».

ومنها: كثرة شواهد ربوبيته ووَخْدَانِيَّتِهِ وَالْهَيْتَةِ... إلى غير ذلك. من الحكم التي تَصَمَّنَهَا الْخَلْقُ ، فَخَلَقَ مَخْلُوقَاتِهِ بِسَبَبِ الْحَقِّ ، ولأجلِ الْحَقِّ ، وَخَلَقَهَا مُلْتَبِسٌ بِالْحَقِّ ، وهو في نَفْسِهِ حَقٌّ ، فَمَضَدُّهُ حَقٌّ ، وَغَايَتُهُ حَقٌّ ، وهو يَتَضَمَّنُ الْحَقَّ .

وقَدْ أَتَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ نَزَّهَهُ عَنْ إِيْجَادِ الْخَلْقِ ، لَا لِشَيْءٍ وَلَا لِغَايَةٍ ، فَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ]﴾^(١) وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ ﴿٢﴾^(٢) .

وَأُخْبِرَ أَنَّ هَذَا ظَنُّ أَعْدَائِهِ ، لَا ظَنُّ أَوْلِيَائِهِ ، فَقَالَ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

وَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ عَرَفَهُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ لِحِكْمَةٍ مَطْلُوبَةٍ لَهُ ، وَلَا أَمَرَ لِحِكْمَةٍ ، وَلَا نَهَى لِحِكْمَةٍ ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ عَنْ مَشِيئَةٍ وَقُدْرَةٍ مَخْضَةٍ ، لَا لِحِكْمَةٍ وَلَا لِغَايَةٍ مَقْصُودَةٍ؟!

وهل هذا إلا إنكارٌ لحقيقة حمده؟!

بَلِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ إِنَّمَا قَامَ بِالْحِكْمِ وَالْغَايَاتِ ، فَهُمَا مَظْهَرَانِ لِحَمْدِهِ^(٣) وَحِكْمَتِهِ .

فإنكارُ الحكمة إنكارٌ لحقيقة خلقه وأمره؛ فإنَّ الذي أثبتَّ المُكْرُونَ مِنْ ذَلِكَ يُنَزِّهُ عَنْهُ الرَّبَّ وَيَتَعَالَى عَنْ نَسَبَتِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُمْ أَثْبَتُوا خَلْقًا وَأَمْرًا لَا رَحْمَةً فِيهِ وَلَا مَصْلَحَةً وَلَا حِكْمَةً ، بَلْ يَجُوزُ عِنْدَهُمْ - أَوْ يَقَعُ - أَنْ يَأْمُرَ

(١) ما بين المعكوفتين ليس في «شفاء العليل» .

(٢) آل عمران : (١٩٠ - ١٩١) .

(٣) في «شفاء العليل» : «بحمده» .

بما لا مصلحة للمُكَلَّفِ فيه ألبتَّة ، وَيُنْهَى عَمَّا فِيهِ مَصْلَحَةٌ ، والجميعُ بالنسبةِ إليه سواءٌ .

وَيَجُوزُ - عِنْدَهُمْ - أَنْ يَأْمُرَ بِكُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ ، وَيُنْهَى عَنْ جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا إِلَّا بِمُجَرَّدِ ^(١) الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

وَيَجُوزُ - عِنْدَهُمْ - أَنْ يُعَذِّبَ مَنْ لَمْ يَعْصِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، [بَلْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ] ^(٢) ، وَيُثِيبَ مَنْ عَصَاهُ ^(٣) بَلْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي الْكُفْرِ بِهِ وَالشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ يُعْرِفَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا بِخَبَرِ الرَّسُولِ ، وَإِلَّا فَهُوَ جَائِزٌ عَلَيْهِ .

وهذا مِنْ أَقْبَحِ الظَّنِّ وَأَسْوَأِهِ بِالرَّبِّ - سُبْحَانَهُ - ، وَتَنْزِيهُهُ عَنْهُ كَتَنْزِيهِهِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، بَلْ هَذَا هُوَ عَيْنُ الظُّلْمِ الَّذِي يَتَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ .

وَالْعَجَبُ الْعَجَابُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الْمَذْهَبِ يُنْزِهُونَهُ عَمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الْجَلَالِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِثْبَاتَهَا تَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهٌُ ، وَلَا يُنْزِهُونَهُ عَنْ هَذَا الظُّلْمِ ، وَالْجَوْرِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ ، وَأَنَّ التَّوْحِيدَ - عِنْدَهُمْ - لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ ، كَمَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِانْكَارِ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، وَعُلُوِّهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ ، وَتَكَلُّمِهِ وَتَكْلِيمِهِ ، وَصِفَاتِ كَمَالِهِ ! فَلَا يَتِمُّ التَّوْحِيدُ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ إِلَّا بِهَذَا النَّفْيِ وَذَلِكَ الْإِثْبَاتِ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ^(٤) .

انتهى المقصودُ مِنْ نَقْلِهِ ، وَتَمَامُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، وَإِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - الْمَأْبُ .

* * *

(١) فِي «شِفَاء الْعَلِيلِ» : «لِمَجْرَدِ» .

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْكَوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ «شِفَاء الْعَلِيلِ» .

(٣) فِي «شِفَاء الْعَلِيلِ» : «وَيَنْعَمُ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْصِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ» .

(٤) «شِفَاء الْعَلِيلِ» (١٩٨ - ١٩٩) .

الحادية والأربعون

الْكُفْرُ بِالمَلَائِكَةِ والرُّسُلِ والتَّفْرِيقُ بَيْنَهُمْ .

قال - تعالى :- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ
وَوَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ
اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْيَا
أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءً وَبِعْضٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفِنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا
وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَاءَهُمْ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ .

إلى أن قال : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٤﴾ .

(١) البقرة : (٨٧ - ٩١) .

(٢) البقرة : (٩٧ - ٩٩) .

فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ بَعْضَ الْكِتَابِيِّينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِالْمَلَائِكَةِ
وَالرُّسُلِ ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ ، أَيْ : يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، وَهُمْ
طَائِفَةٌ مِنْ جَاهِلِيَّةِ الْيَهُودِ ، وَلِهَذَا أَمَرَنَا اللَّهُ - تَعَالَى - بِالْإِيمَانِ بِهِمْ وَعَدَمَ
التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاْمَنَ
بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

* * *

(١) البقرة: (٢٨٥) .

الثانية والأربعون

الْغُلُوُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَام - ..

قَالَ - تعالى - فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ»: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾^(١).

وَالْغُلُوُّ فِي الْمَخْلُوقِ أَعْظَمُ سَبَبٍ لِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالصَّالِحِينَ ، كَمَا كَانَ فِي قَوْمِ نُوحٍ مِنْ عِبَادَةِ نَسْرِ وَشُوعٍ وَيَغُوثَ وَنَحْوِهِمْ ، وَكَمَا كَانَ مِنْ عِبَادَةِ النَّصَارَى لِلْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَام - ..

وَمِثْلُ ذَلِكَ: الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

* * *

(١) النِّسَاءُ: (١٧١).

الثالثة والأربعون

الجدالُ بغيرِ العلمِ ، كما ترى كثيراً مِنْ أهلِ الجَهْلِ يَجَادِلُونَ أهلَ العلمِ
عِنْدَ نَهْيِهِمْ عَمَّا أَلْفَوْهُ مِنَ الْبِدْعِ والضَّلالاتِ ، وهي صِفَةُ جاهِلِيَّةٌ ، نَهانا اللهُ
- تعالى - عَنِ التَّخَلُّقِ بِهَا .

قالَ - تعالى - في سورةِ «آل عمران» : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ^(١)
فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ
حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا -
قالَ : «اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَتَنَازَعُوا
عِنْدَهُ ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ : مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا ، وَقَالَتِ النَّصَارَى :
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ»^(٣) الْمُنَادِيَّةُ عَلَى
جَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ رَاجَعَ التَّفْسِيرَ .

* * *

(١) في المخطوط «تجادلون» وهو خطأ .

(٢) آل عمران : (٦٥ - ٦٦) .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة «سيرة ابن هشام» (٥٥٣/٢) ، وابن جرير في
«تفسيره» (٣٠٥/٣) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» - باب وفد نجران - (٣٨٤/٥) .

الرابعة والأربعون

قَالَ الشَّيْخُ: الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْكَلَامُ فِي الدِّينِ بِلا عِلْمٍ.
أَقُولُ: أَجْمَلَ الشَّيْخِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - الْكَلَامَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كُلِّ
الْإِجْمَالِ ، كَمَا فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ ، وَمَا أَحَقَّهَا بِالتَّفْصِيلِ .
وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكِتَابِيِّينَ شَرَعُوا فِي
الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ :

أَمَّا الْعَرَبُ فَقَدْ كَانَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ - إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِيهِمُ الْخَزَاعِيُّ^(١) - وَهُوَ عَمْرُو بْنُ لَحِي وَكَانَ
الْحِجَازِيُّونَ يَتَخَذُونَهُ رَبًّا فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالانْتِهَاءَ عَمَّا نَهَى - ،
فَغَيَّرَ وَبَدَّلَ ، وَابْتَدَعَ بِدْعًا كَثِيرَةً ، وَأَغْرَى الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ،
وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ ، وَحَمَى الْحَامَ ، وَاسْتَقْسَمَ بِالْأَزْلَامِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا
فَضَّلْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ جَهْلَ الْعَرَبِ وَمَا ابْتَدَعُوهُ فَاقْرَأْ سُورَةَ «الْأَنْعَامِ» ،
فَإِنَّ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ ضَلَالَاتِهِمْ وَمُبْتَدَعَاتِهِمْ^(٢) .

(١) هو عمرو بن عامر الخزاعي ، ولحي نعت لعامر ، رآه النبي ﷺ يجر قصبه في النار .
انظر: «صحيح البخاري» - كتاب التفسير - باب ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِغَةٍ وَلَا
وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ - (١٩١/٥) ، «الأصنام» للكلبي (ص ٨) ، «الاشتقاق» لابن دريد
(ص ٤٦٨) .

(٢) يعني فإن فيها ذكراً لكثير من ضلالاتهم ومبتدعاتهم .

وَأَمَّا الْجَاهِلِيُّونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَقَدْ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ ابْتَدَعُوا لَهُمْ فِي الدِّينِ بَدْعاً ، وَحَلَّلُوا وَحَرَّمُوا مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ عَلَيْهِ ، مَعَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَشْرِيعِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا يَكُونُ بَأَرَاءِ الرِّجَالِ وَيَحْسَبُ أَهْوَائِهِمْ ، فَكُلُّ مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ .

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - تعالى - الْيَهُودَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ - عَزَّ اسْمُهُ - فِي سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١) .

فَمَنْ أَوَّلَ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالشُّنَّةِ عَلَى حَسَبِ شَهَوَاتِهِ وَبِمُقْتَضَى هَوَاهُ فَهُوَ - أَيْضاً - مِنْ قَبِيلِ الَّذِينَ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ .

وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا اشْتَمَلَتْ^(٢) عَلَيْهِ - الْيَوْمَ - كَثِيرٌ مِنْ كُتُبِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْآرَاءِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ مِنْ دَلَائِلِ الشَّرِيعَةِ ، فَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى مِنْ صَوْلَةِ الْبَاطِلِ وَخُمُولِ الْحَقِّ .

* * *

(١) آل عمران : (٧٨) .

(٢) في المطبوع : «ما اشتمل» .

الخامسة والأربعون

الكُفْرُ باليومِ الآخرِ ، والتَّكْذِيبُ بِلِقَاءِ اللَّهِ ، وَبَعْثِ الْأَرْوَاحِ ، وَبِبَعْضِ ما ذَكَرْتُهُ الرُّسُلُ مِنْ صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

قَالَ - تعالى - في سورة «الكهف» : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ ﴿١٩﴾ الآية ^(١) ، وقد مرَّ الكلامُ عليها قريباً .

وَقَالَ - تعالى - في سورة «النحل» : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٢٩﴾ .

إلى غيرِ ذَلِكَ مِنْ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَلِقَوْمٍ عَصَرْنَا مِنْ هَذَا الْاِعْتِقَادِ الْجَاهِلِيِّ حَظًّا وافرًا وَنَصِيبًا كامِلًا ، وَمَنْ يُضِلِّلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ، نَسْأَلُهُ - تعالى - التَّوْفِيقَ لِلْهُدَايَةِ .

* * *

(١) الكهف: (١٠٣ - ١٠٥) .

(٢) النحل: (٣٨ - ٣٩) .

السادسة والأربعون

التَّكْذِيبُ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١) ، وَهُوَ الْيَوْمُ
الَّذِي يَدِينُ اللَّهُ - تَعَالَى - الْعِبَادَ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى الْخَيْرَاتِ ،
وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ .
والتَّكْذِيبُ بِهَذَا الْيَوْمِ مَتَّفَعٌ عَلَى إنْكَارِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

* * *

(١) الفاتحة: (٤) .

السابعة والأربعون

التَّكْذِيبُ بِقَوْلِهِ - تعالى -: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾^(١) مِنْ قَوْلِهِ
- سُبْحَانَهُ -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ
وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

وَالْخُلَّةُ: الْمَوَدَّةُ وَالصَّدَاقَةُ .

وَمَعْنَى ﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾ ، أي: لا أَحَدَ يَشْفَعُ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ
الرَّحْمَنُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى .
وَأَرَادَ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَالْمُرَادُ مِنْ وَصْفِهِ بِمَا ذَكَرَ: الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ فِيهِ عَلَى
تَحْصِيلِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ؛ لِأَنَّ مَنْ فِي ذِمَّتِهِ حَقٌّ - مَثَلًا - إِمَّا أَنْ
يَأْخُذَ بِالْبَيْعِ مَا يُؤَدِّيهِ بِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يُعِينَهُ أَصْدَقَاؤُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُلْتَجِيَءَ إِلَى مَنْ
يَشْفَعُ لَهُ فِي حَظِّهِ ، وَالْكُلُّ مُنْتَفٍ ، وَلَا مُسْتَعَانَ إِلَّا بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

* * *

(١) البقرة: (٢٥٤) .

الثامنة والأربعون

التَّكْذِيبُ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ «الزُّحُرْفِ»: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ^(١) مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ^(٣)﴾ ، أَي: وَلَا يَمْلِكُ آلِهَتُهُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ، كَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ شُفَعَاؤُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ الَّذِي هُوَ التَّوْحِيدُ.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ، أَي: يَعْلَمُونَهُ ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ: الْمَلَائِكَةُ وَعِيسَى وَعُزَيْرٌ وَأَصْرَابُهُمْ.

وَأَنْتَ تَرَى النَّاسَ الْيَوْمَ عَاكِفِينَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَعُذْرُهُمْ عِنْدَ تَوْبِيخِهِمْ: أَنَّ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُهُمْ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ -.

* * *

(١) فِي الْمَخْطُوطِ «تَدْعُونَ».

(٢) الزُّحُرْف: (٨٦).

(٣) فِي الْمَخْطُوطِ «تَدْعُونَ».

التاسعة والأربعون

قَتْلُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَقَتْلُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ .

قَالَ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» : ﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسَكَنَةَ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^(١) ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ^(٢) .

وَقَالَ فِي سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) . .

إِلَى آيَاتٍ أُخْرَى فِي هَذَا الْمَعْنَى صَرَّحَتْ بِمَا لاقاهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَتْبَاعُهُمُ الْمُخْلِصُونَ وَدُعَاةُ الْحَقِّ ^(٤) ، وَبِمَا كَابَدُوهُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَالْجَهْلَةِ الطُّغَاةِ ، مِمَّا تَنْهَدُ لَهُ الصِّيَاصِي ، وَتَبَيَّضُ مِنْهُ النَّوَاصِي .

هُؤَلَاءِ أَكَابِرُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَعُلَمَاؤُهَا الْأَعْلَامُ ، قَدْ صَادَفُوا عِنْدَ

(١) فِي الْمَخْطُوطِ «بَغِيرِ حَقٍّ» وَهُوَ خَطَأً .

(٢) الْبَقَرَةُ : (٦١) .

(٣) آلِ عِمْرَانَ : (١٨٣) .

(٤) جَاءَ فِي حَاشِيَةِ الْمَخْطُوطِ : «مَنْ ذَلِكَ أَنْ الشَّيْخَ الْمُصَنِّفَ لَاقَى مِنْ أَبْنَاءِ زَمَانِهِ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ الَّتِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مَا تَنْهَدُ لَهُ الصِّيَاصِي ، وَتَشْيِبُ لَهُ النَّوَاصِي ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ طَالَعَ سِيرَهُ الْمُقَدَّسَةَ ، تَغْمَدُهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ» .

دَعَوْتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ مَا يَسُوذُ مِنْهُ وَجْهُ الْقِرَاطِ ، وَتَشِيبُ مِنْهُ لِمَمِّ الْمِدَادِ .

وَالْأَنْبِيَاءُ^(١) - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَأَتْبَاعُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانُوا يُتْلَوْنَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، فَالْعَاقِبَةُ لَهُمْ :

كَمَا قَالَ - تَعَالَى - لَمَّا قَصَّ قِصَّةَ نُوحٍ : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٢) .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ لَمَّا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ، فَطَلَبَ مَنْ يُخْبِرُهُ بِسِيرَتِهِ - وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ حِينَئِذٍ أَعْدَاءَهُ ، لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بِهِ - فَقَالَ : « كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ؟ » قَالُوا : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ ، يُدَالُّ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ ، وَنُدَالُّ عَلَيْهِ الْأُخْرَى . فَقَالَ : كَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ، وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ^(٣) .

فَإِنَّهُ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَصَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ يَوْمَ أُحُدٍ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ، ثُمَّ لَمْ يُنْصَرَ الْكُفَّارُ بَعْدَهَا ، حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْإِسْلَامَ .

فَإِنْ قِيلَ : فِي الْأَنْبِيَاءِ مَنْ قَدْ قُتِلَ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَفِي أَهْلِ الْفُجُورِ مَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مُلْكًا وَسُلْطَانًا وَيُسَلِّطُهُ عَلَى الْمُتَدَيِّنِينَ كَمَا سَلَّطَ بُخْتَ نَصَرَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَمَا سَلَّطَ كَفَّارَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ - أحياناً - عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؟

(١) مِنْ هُنَا يَبْدَأُ النُّقْلُ مِنْ كِتَابِ « الْجَوَابُ الصَّحِيحُ » (٦/٤١٢ - ٤٢٥) ، وَسَائِيرُ إِلَى نَهَائِهِ فِي مَوْضِعِهِ .

(٢) هُودُ : (٤٩) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » - كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ - بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١/٥ - ٧) .

قِيلَ: أَمَّا مَنْ قُتِلَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَهُمْ كَمَنْ يُقْتَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجِهَادِ شَهِيداً.

قال - تعالى -: ﴿وَكَايْنٍ مَنِ نَجَّى قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٥﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ (١) اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾

ومعلومٌ أنَّ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ شَهِيداً (٣) في القتال ، كان حاله أكمل من حال مَنْ يَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهِ .

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٤﴾

ولهذا قال - تعالى -: ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴿٥﴾ ، أي: إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة .

ثُمَّ إِنَّ الدِّينَ الَّذِي قَاتَلَ عَلَيْهِ الشُّهَدَاءُ يَنْتَصِرُ وَيُظْهَرُ ، فَيَكُونُ لِبَاطِنَتِهِ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ كَانَ شَهِيداً ، وَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ كَانَ مَنْصُوراً سَعِيداً ، وَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّصْرِ ، إِذْ كَانَ الْمَوْتُ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَالْمَوْتُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَحْصُلُ بِهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَكْمَلُ ، بِخِلَافِ مَنْ يَهْلِكُ هُوَ وَطَائِفَتُهُ ، فَلَا يَفُوزُ لَا هُوَ وَلَا هُمْ بِمَطْلُوبِهِمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ .

(١) في المخطوط «فأثابهم» وهو خطأ .

(٢) آل عمران: (١٤٦ - ١٤٨) .

(٣) في المخطوط «شَهِيد» والصواب ما أثبتته .

(٤) آل عمران: (١٦٩) .

(٥) التوبة: (٥٢) .

وَالشُّهَدَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَاتِلُوا بِاخْتِيَارِهِمْ ، وَفَعَلُوا الْأَسْبَابَ الَّتِي بِهَا قُتِلُوا ، كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَهُمْ اخْتَارُوا هَذَا الْمَوْتَ ، إِمَّا أَنَّهُمْ قَصَدُوا الشَّهَادَةَ ، وَإِمَّا أَنَّهُمْ قَصَدُوا مَا بِهِ يَصِيرُونَ شُهَدَاءَ عَالَمِينَ بِأَنَّ لَهُمُ السَّعَادَةَ فِي الْآخِرَةِ ، وَفِي الدُّنْيَا بِإِنتِصَارِ طَائِفَتِهِمْ وَبِقَيِّائِ لِسَانِ الصَّدِّقِ لَهُمْ ثَنَاءً وَدُعَاءً ، بِخِلَافِ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْكُفَّارِ ، فَإِنَّهُمْ هَلَكُوا بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ هَلَاكاً لَا يَرْجُونَ مَعَهُ سَعَادَةَ الْآخِرَةِ ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ وَلَا لِطَائِفَتِهِمْ شَيْءٌ مِنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا ، بَلْ أُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ، وَقِيلَ فِيهِمْ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فِتْكِهِينَ ﴾ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿ ٢٨ ﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ (١).

وقد أَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قُتِلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ ، أَيْ : أُلُوفٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَنَّهُمْ مَا ضَعُفُوا وَلَا اسْتَكَانُوا لِذَلِكَ ، بَلْ اسْتَغْفَرُوا مِنْ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ ظُهُورِ الْعَدُوِّ ، وَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - آتَاهُمْ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ .

فَإِذَا كَانَ هَذَا قَتْلُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا الظَّنُّ بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ ؟ فَبِهِ لَهُمْ وَلِأَتْبَاعِهِمْ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْفَلَاحِ .

وظُهُورُ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - أَخْيَاناً - هُوَ بِسَبَبِ ذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، كَيَوْمِ أُحُدٍ ، فَإِنْ تَابُوا انْتَصَرُوا عَلَى الْكُفَّارِ ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَهُمْ ، كَمَا قَدْ جَرَى مِثْلُ هَذَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي عَامَّةٍ مَلَاحِمِهِمْ مَعَ الْكُفَّارِ .

وهَذَا مِنْ آيَاتِ النُّبُوَّةِ وَأَعْلَامِهَا وَدَلَالِهَا ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامُوا بِعَهْدِهِ وَوَصَايَاهُ ، نَصَرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَظْهَرَهُمْ عَلَى

(١) الدخان : (٢٥ - ٢٩) .

المُخَالِفِينَ لَهُ ، فَإِذَا ضَيَّعُوا عَهْدَهُ ظَهَرَ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ .

فَمَدَارُ النَّصْرِ وَالظُّهُورِ مَعَ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَجُوداً وَعَدَمًا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَزَاحِمُ ذَلِكَ ، وَدَوْرَانِ الْحُكْمِ مَعَ الْوَصْفِ وَجُوداً وَعَدَمًا مِنْ غَيْرِ مَزَاحِمَةٍ وَصِفٍ آخَرَ يَوْجِبُ الْعِلْمَ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَّةٌ لِلدَّائِرِ ، وَقَوْلُنَا : «مِنْ غَيْرِ وَصْفٍ آخَرَ» : يُرِيلُ التَّقْوَضَ الْوَارِدَةَ .

فهذا الاستقراء والتتبعُ يُبَيِّنُ أَنَّ نَصَرَ اللَّهِ وإظهاره هو بسبب اتباع النَّبِيِّ ، وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُرِيدُ إِعْلَاءَ كَلِمَتِهِ وَنَصْرَهُ وَنَصَرَ أَتْبَاعِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَلِمَنْ خَالَفَهُمُ الشَّقَاءَ ، وَهَذَا يَوْجِبُ الْعِلْمَ بِنُبُوَّتِهِ ، وَأَنَّ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ سَعِيداً ، وَمَنْ خَالَفَهُ كَانَ شَقِيئاً .

ومن هذا : ظُهُورُ بُخْتِ نَصَرَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَإِنَّهُ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّةِ مُوسَى ؛ إِذْ كَانَ ظُهُورُ بُخْتِ نَصَرَ إِنَّمَا كَانَ لَمَّا غَيَّرُوا عَهْدَ مُوسَى ، وَتَرَكُوا أَتْبَاعَهُ ، فَعُوقِبُوا بِذَلِكَ ، وَكَانُوا - إِذْ كَانُوا مُتَّبِعِينَ لِعَهْدِ مُوسَى - مَنْصُورِينَ مُؤَيَّدِينَ ، كَمَا كَانُوا فِي زَمَنِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمَا .

قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۖ ﴾ (١) فَإِذَا (٢) جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ (٣) عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿ ٥ ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ (٤) نَفِيرًا ﴿ ٦ ﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْوَءُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا

(١) في المخطوط «فلما» وهو خطأ .

(٢) في المخطوط «عليهم» وهو خطأ .

(٣) في المخطوط «أكبر» وهو خطأ .

الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأَ مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ
عُدْتُمْ عَدْنَآ ﴿٨﴾

فَكَانَ ظُهُورُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ تَارَةً ، وَظُهُورُ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ تَارَةً
مِنْ دَلَائِلِ نُبُوءَةِ مُوسَى ﷺ وَأَيَّاتِهِ ، وَكَذَلِكَ ظُهُورُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوِّهِمْ تَارَةً ، وَظُهُورُ عَدُوِّهِمْ تَارَةً ^(٢) ، هُوَ مِنْ
دَلَائِلِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ .

وَكَانَ نَصْرُ اللَّهِ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ عَلَى عَدُوِّهِمْ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، كَمَا
جَرَى لَهُمْ مِنْ يُوشَعَ وَغَيْرِهِ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوءَةِ مُوسَى ، وَكَذَلِكَ انتصارُ الْمُؤْمِنِينَ
مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ مَعَ خُلَفَائِهِ مِنْ
أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ وَدَلَائِلِهَا .

وهذا بخلاف الكُفَّار الذين يَنْتَصِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ أحياناً ، فَإِنَّ
أُولَئِكَ لَا يَكُونُ مُطَاعُهُمْ إِلَى نَبِيٍّ ، وَلَا يُقَاتِلُونَ أَتْبَاعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى دِينٍ ،
وَلَا يَطْلُبُونَ مِنْ أُولَئِكَ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ عَلَى دِينِهِمْ ، بَلْ قَدْ يُصْرِّحُونَ بِأَنَّا إِنَّمَا
نُصِّرُنَا عَلَيْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، وَأَنْ لَوْ أَتَبَعْتُمْ دِينَكُمْ لَمْ نُصِّرْ عَلَيْكُمْ .

وأيضاً فلا عاقبةَ لهم ، بَلِ اللَّهُ يُهْلِكُ الظَّالِمَ بِالظَّالِمِ ، ثُمَّ يَهْلِكُ الظَّالِمِينَ
جَمِيعاً ، وَلَا قَتِيلَهُمْ يَطْلُبُ بِقَتْلِهِ سَعَادَةً بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَا يَخْتَارُونَ الْقَتْلَ
لِيَسْعَدُوا بَعْدَ الْمَوْتِ .

فهذا وأمثاله مما يُظْهِرُ الْفَرْقَ بَيْنَ انتصارِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ ، وَبَيْنَ ظُهُورِ

(١) الإسراء: (٤ - ٨) .

(٢) في المطبوع «وظهور عدوهم عليهم تارة» وما أثبتته موافق للمطبوع من الجواب
الصحيح ، وما في المطبوع موافق لبعض النسخ الخطية للجواب الصحيح كما بين
ذلك محقق الكتاب .

بعض الكفار على المؤمنين ، أو ظهور بعض على بعض ، وبَيِّنَ^(١) أَنَّ
ظهورَ مُحَمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ على أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، هو من جنس
ظهورهم على المشركين : عباد الأوثان ، وذلك من أعلام نُبُوتِهِ ودلائل
رسالته ، ليس هو كظهور بُخْت نَصَرَ على بني إسرائيل وظهور الكفار على
المسلمين .

وهذه الآية مِمَّا أَخْبَرَ بِهَا^(٢) موسى ، وبَيِّنَ أَنَّ الكَذَابَ المُدَّعَى لِلنُّبُوةِ
لَا يَتِمُّ أَمْرُهُ ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ أَمْرُ الصَّادِقِ .

فَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ سُلْطُوا عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَعَ
صِحَّةِ دِينِنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، كَمَا سُلْطَ بُخْت نَصَرَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُلُوكِ .

وهذا قياسٌ فاسدٌ ، فَإِنَّ بُخْتَ نَصَرَ لَمْ يَدَّعِ نُبُوءَةً ، وَلَا قَاتَلَ عَلَى دِينٍ ،
وَلَا طَلَبَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْتَقِلُوا عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى إِلَى شَرِيعَتِهِ ، فَلَمْ
يَكُنْ فِي ظَهْوَرِهِ إِتِمَامٌ لِمَا ادَّعَاهُ مِنَ النُّبُوءَةِ وَدَعَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ ، بَلْ كَانَ
بِمَنْزِلَةِ الْمُحَارِبِينَ قُطَاعِ الطَّرِيقِ إِذَا ظَهَرُوا عَلَى الْقَوَافِلِ ، بِخِلَافِ مَنْ ادَّعَى
نُبُوءَةً وَدِينًا ، وَدَعَا إِلَيْهِ ، وَوَعَدَ أَهْلَهُ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتَوَعَّدَ
مُخَالِفِيهِ بِشَقَاوَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، ثُمَّ نَصَرَهُ اللَّهُ ، وَأَظْهَرَهُ ، وَأَتَمَّ دِينَهُ ،
وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ الْعَاقِبَةَ ، وَأَذَلَّ مُخَالِفِيهِ .

فَإِنَّ هَذَا مِنْ جَنْسِ خَرَقِ الْعَادَاتِ الْمُقْتَرِنِ بِدَعْوَى النُّبُوءَةِ ، فَإِنَّهُ دَلِيلٌ
عَلَيْهَا ، وَذَاكَ مِنْ جَنْسِ خَرَقِ الْعَادَاتِ الَّتِي لَمْ تَقْتَرَنْ بِدَعْوَى النُّبُوءَةِ^(٣) فَإِنَّهُ
لَيْسَ دَلِيلًا عَلَيْهَا .

(١) في المطبوع «وبين» وما أثبتته هو الموافق لما في الجواب الصحيح .

(٢) في المطبوع «به» وما أثبتته هو الموافق لما في الجواب الصحيح .

(٣) في المطبوع «المقترن بدعوى النبوة» وهو خطأ .

وَقَدْ يَغْرُقُ^(١) فِي الْبَحْرِ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيٍّ ،
بِخِلَافِ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ آيَةً بَيِّنَةً لِمُوسَى .

وهذا مُوَافِقٌ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ أَنَّ الْكَذَّابَ
لَا يَتِمُّ أَمْرُهُ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ لَا يَلِيقُ بِهِ تَأْيِيدُ الْكَذَّابِ عَلَى كَذِبِهِ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يُبَيِّنَ كَذِبَهُ .

وَلِهَذَا أَعْظَمُ الْفِتَنِ: فِتْنَةُ الدَّجَالِ الْكَذَّابِ ، لَمَّا اقْتَرَنَ بِدَعْوَاهُ الْأُلُوْهِيَّةِ
بَعْضُ الْخَوَارِقِ ، كَانَ مَعَهَا مَا يَدُلُّ عَلَى كَذِبِهِ مِنْ وَجوه:

مِنْهَا: دَعْوَاهُ الْأُلُوْهِيَّةُ ، وَهُوَ أَغْوَرُّ ، وَاللَّهُ لَيْسَ بِأَغْوَرَ^(٢) ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ^(٣) ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ قَارِئٍ وَغَيْرِ قَارِئٍ^(٤) ، وَاللَّهُ - تَعَالَى -
لَا يَرَاهُ أَحَدٌ حَتَّى يَمُوتَ^(٥) ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ
الْعَلَامَاتِ الثَّلَاثَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ .

فَأَمَّا^(٦) تَأْيِيدُ الْكَذَّابِ ، وَنَصْرُهُ ، وَإِظْهَارُ دَعْوَتِهِ دَائِمًا ، فَهَذَا لَمْ يَقَعْ
قَطُّ ، فَمَنْ يَسْتَدِلُّ عَلَى مَا يَقْعُلُهُ الرَّبُّ - سُبْحَانَهُ - بِالْعَادَةِ وَالسُّنَّةِ ، فَهَذَا هُوَ

-
- (١) فِي الْمَطْبُوعِ «تغرق» وَمَا أَثْبَتَهُ هُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي «الْجَوَابِ الصَّحِيحِ» .
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» - كِتَابُ الْفِتَنِ - بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ - (١٠٢/٨) ،
وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» - كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ - بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ (٢٢٤٧/٤)
ح ١٦٩ .
(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْفِتَنِ - بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ (١٠٣/٨) ، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْفِتَنِ
وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ - بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ (٢٢٤٨/٤) ح ٢٩٣٣ .
(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» - كِتَابُ الْفِتَنِ - بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ (٢٢٤٨/٤) ح ٢٩٣٣ .
(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» - كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ - بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ -
(٢٢٤٥/٤) ح ١٦٩ .
(٦) فِي الْمَخْطُوطِ «فَإِنْ» وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْمَطْبُوعِ ، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي «الْجَوَابِ
الصَّحِيحِ» .

الواقع على ذلك - أيضاً - بالحكمة ، فحِكمته تُناقضُ أن يفعلَ ذلك ، إذ الحَكِيمُ لا يفعلُ هذا .

وَقَدْ قَالَ - تعالى - : ﴿ وَلَوْ قَتَلْتَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثُ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٢٣ ﴾ (١) .

فَأخْبَرَ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَبْدِيلَ لَهَا : نصرُ المؤمنينَ على الكافرينَ .

والإيمانُ المُستلزمُ لذلكِ يَتَضَمَّنُ طاعةَ الله ورسوله ، فإذا نَقَصَ الإيمانُ بالمعاصي كَانَ الأمرُ بِحَسَبِهِ ، كما جَرَى يَوْمَ أُحُدٍ .

وَقَالَ - تعالى - : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤١ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٢ ﴾ (٢) .

فَأخْبَرَ أَنَّ الكفارَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ، وَلَا يَوْجَدُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلٌ ، لَا تُبَدَّلُ بِغَيْرِهَا ، وَلَا تَتَحَوَّلُ ، فكيفَ النَّصْرُ لِلْكَفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْاسْمَ ؟ !

وكذلك قال في المنافقين - وهم الكفارُ في الباطنِ دونَ الظَّاهرِ - وَمَنْ فِيهِ شُعْبَةٌ نِفَاقٍ : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦١ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا

(١) الفتح : (٢٢ - ٢٣) .

(٢) في المخطوط والمطبوع «جاءكم» ، وهو خطأ .

(٣) فاطر : (٤٢ - ٤٣) .

تُقْفَرُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَحْدِ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١﴾ .

والسُّنَّةُ هي العادة ، فهذه عادةُ اللهِ المعلومةُ ، فإذا نَصَرَ مَنْ ادَّعى التَّبَوَّةَ
وأَتباعه على مَنْ خالفه ، إمَّا ظاهراً وإمَّا باطناً نَصراً مستقراً ، فإنَّ ذلك دليلٌ
على أنَّه نَبِيٌّ صادقٌ ، إذ كانت سُنَّةُ اللهِ وعادتهُ نصرَ المؤمنين بالأنبياء
الصَّادقين على الكافرين والمنافقين ، كما أنَّ سُنَّتَه تأييدهم بالآيات
البيِّنات ، وهذه منها .

ومن ادَّعى التَّبَوَّةَ وهو كاذِبٌ ، فهو مِنْ أَكْثَرِ الكُفَّارِ وأَظْلَمِ الظَّالِمِينَ :
قال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (٢) .

وقال - تعالى - : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ
جَاءَهُ ﴾ (٣) .

وقال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُ ﴾ (٤) .

وقال - تعالى - : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ
بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦) .

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ ، كَانَ اللَّهُ يَمُقُّهُ ، وَيُبْغِضُهُ ، وَيُعَاقِبُهُ ، وَلَا يَدُومُ

(١) الأحزاب : (٦٠ - ٦٢) .

(٢) الأنعام : (٩٣) .

(٣) الزمر : (٣٢) .

(٤) العنكبوت : (٦٨) .

(٥) في المخطوط «ومن» وهو خطأ .

(٦) الأنعام : (١٤٤) .

أمره ، بَلْ هُوَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَقْلُتْهُ» ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(١) ، وقال - أيضاً - في الحديثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ ، تُقَيِّئُهَا الرِّيحُ ، تُقِيمُهَا تَارَةً وَتُمِيلُهَا أُخْرَى ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ ، لَا تَزَالُ ثَابِتَةً عَلَى أَصْلِهَا ، حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً»^(٢).

فَالكَاذِبُ الْفَاجِرُ وَإِنْ عَظُمَتْ دَوْلَتُهُ ، فَلَا بُدَّ مِنْ زَوَالِهَا بِالْكُلِّيَّةِ ، وَبِقَاءِ ذِمَّتِهِ وَلِسَانِ السَّوِّءِ لَهُ فِي الْعَالَمِ ، وَهُوَ يَظْهَرُ سَرِيعاً ، وَيَزُولُ سَرِيعاً ، كَدَوْلَةِ الْأَسْوَدِ الْعَنَسِيِّ ، وَمُسْلِمَةَ الْكَذَّابِ ، وَالْحَارِثِ الدَّمَشْقِيِّ^(٣) ، وَبَابَا الرُّومِيِّ^(٤) وَنَحْوِهِمْ .

(١) لم أجده من حديث أبي هريرة ، وإنما أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب التفسير - باب ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ - (٢١٤/٥) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - (١٩٩٧/٤) ح ٢٥٨٣ من حديث أبي موسى .

(٢) لم أجده من حديث أبي موسى ، وإنما أخرجه مسلم في «صحيحه» - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب مثل المؤمن كالزروع ومثل الكافر كشجر الأرز - (٢١٦٣/٤) ح ٢٨٠٩ من حديث أبي هريرة ، وأخرجه - أيضاً - في نفس الكتاب والباب من حديث كعب بن مالك .

(٣) هو الحارث بن سعيد الدمشقي ، دجال كذاب ، ادعى النبوة زمن عبد الملك بن مروان ، فطلبه ، فهرب إلى بيت المقدس ، وفتن بعض الناس بمخاريق شيطانية كانت معه ، ثم تمكن عبد الملك من القبض عليه وصلبه ، وذلك عام ٨٠ هـ . انظر في شأنه: «الوافي بالوفيات» (٢٥٤/١١) ، «تهذيب تاريخ دمشق» (٤٤٢/٣) ، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة ٨٠ ص ٣٨٦) .

(٤) في المطبوع «وبابك الخرمي» وما أثبتته من المخطوط هو الموافق لما في «الجواب الصحيح» .

وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ ، فَإِنَّهُمْ يُبْتَلَوْنَ كَثِيرًا لِيُمَحَّصُوا بِالْبَلَاءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -
 إِنَّمَا يُمَكِّنُ لِلْعَبْدِ إِذَا ابْتَلَاهُ ، وَيُظْهِرُ أَمْرَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، كَالزَّرْعِ ، قَالَ
 - تَعَالَى - : ﴿ تَحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا
 سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
 التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ ، أَي : فِرَاحَهُ ﴿ فَزَارَهُ ﴾ ، أَي :
 قَوَاهُ ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) .

ولهذا كان أول من يتبعهم ^(٢) ضِعْفَاءُ النَّاسِ بِاعْتِبَارِ هذه الأمور .

وَسُنَّةُ اللَّهِ فِي أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ الصَّادِقِينَ ، وَفِي أَعْدَاءِ اللَّهِ وَالْمُتَّبِعِينَ
 الْكَذَّابِينَ مِمَّا يَوْجِبُ الْفَرْقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ ، وَبَيْنَ دَلَائِلِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ وَدَلَائِلِ
 الْمُتَّبَعِي الْكَذَّابِ .

وقد ذَكَرَ ابتلاءَ النَّبِيِّ والمؤمنين ثُمَّ كَوْنُ الْعَاقِبَةِ لَهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ :

كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا
 حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٣) .

وقال - تَعَالَى - : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا
 مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ
 اللَّهِ أَلَا إِن نَّصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴾ ^(٤) .

= وباب الرومي هذا لم أجد له ترجمة .

(١) الفتح : (٢٩) .

(٢) في المطبوع : « اتبعهم » .

(٣) الأنعام : (٣٤) .

(٤) البقرة : (٢١٤) .

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ مِنْ اٰهْلِ الْاٰقَرَىۤ اَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَتْ عٰقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْاٰخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اٰتَقَوْا اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ^(١) ﴾ حَتّٰى اِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا اَنْهُمْ قَدْ كُذِّبُوْا جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيْ مِنْ نَّشَآءٍ وَلَا يَرُدُّ بِاَسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَ ^(٢) لَقَدْ كَانَتْ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِاُولٰٓئِى الْاَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيْثًا يُفْتَرٰى وَلٰكِنْ تَصْدِيْقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهٰدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ^(٣) .

والمقصود أن إيذاء القائمين بالحق ، والتأصيرين له من سنن أهل الجاهلية ، وكثير من أهل عصرنا على ذلك ، والله المستعان .

* * *

(١) في المخطوط «يعقلون» .

(٢) يوسف: (١٠٩ - ١١١) ، وهنا انتهى النقل الذي بدأه (ص ١٦٠) من كتاب «الجواب الصحيح» .

الخمسون

الإيمانُ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاغُوتِ ، وَتَفْضِيلُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

قال - تعالى - في سورة «النساء» : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ ^(١) .

هذه الآية نَزَلَتْ فِي حَيٍّ بْنِ أُخْطَبٍ وَكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فِي جَمْعٍ مِنْ يَهُودَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ ؛ لِيُحَالِفُوا قُرَيْشًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَنْقُضُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَزَلَ كَعْبٌ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَحْسَنَ مَثْوَاهُ ، وَنَزَلَتْ الْيَهُودُ فِي دَوْرِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ أَهْلُ مَكَّةَ : أَنْتُمْ أَهْلُ كِتَابٍ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ كِتَابٍ ، فَلَا يُؤْمَنُ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَكْرًا مِنْكُمْ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ فَاسْجُدْ لِهَذَيْنِ الصَّنَمَيْنِ وَآمِنْ بِهِمَا ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ! لِيَجِئَ مِنْكُمْ ثَلَاثُونَ وَمِنَّا ثَلَاثُونَ ، فَتَنْزِقُوا أَكْبَادَنَا بِالْكَعْبَةِ ، فَنَعَاهِذُ رَبَّ الْبَيْتِ لَنَجْهَدَنَّ عَلَى قِتَالِ مُحَمَّدٍ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ .

فَلَمَّا فَرَّغُوا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِكَعْبٍ : إِنَّكَ أَمْرٌ تَقْرَأُ الْكِتَابَ وَتَعْلَمُ ،

(١) النساء: (٥١) .

وَنَحْنُ أُمِّيُونَ لَا نَعْلَمُ ، فَأَيُّنَا أَهْدَى طَرِيقاً وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ : نَحْنُ^(١) أَمْ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ كَعْبٌ : اعرِضُوا عَلَيَّ دِينَكُمْ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : نَحْنُ نَنْحُرُ لِلْحَجِيجِ الْكُومَاءَ^(٢) ، وَنَسْقِيهِمُ اللَّبَنَ ، وَنَقْرِي الضَّيْفَ ، وَنَفُكُ الْعَانِي ، وَنَصِلُ الرَّحِمَ ، وَنَعْمُرُ بَيْتَ رَبَّنَا ، وَنَطُوفُ بِهِ ، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ ، وَمُحَمَّدٌ فَارَقَ دِينَ آبَائِهِ ، وَقَطَعَ الرَّحِمَ ، وَدِينُنَا الْقَدِيمُ ، وَدِينُ مُحَمَّدٍ الْحَدِيثُ ، فَقَالَ كَعْبٌ : أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَهْدَى سَبِيلاً مِمَّا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْآيَةَ^(٣) .

وَالجِبْتُ فِي الْأَصْلِ : اسْمُ صَنِمٍ ، فَاسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ غَيْرِ اللَّهِ .
وَالطَّاغُوتُ : يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ بَاطِلٍ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ غَيْرِهِ .

وَمَعْنَى الْإِيمَانِ بِهِمَا : إِمَّا التَّصَدِيقُ بِأَنَّهُمَا آلِهَةٌ ، وَإِشْرَاكُهُمَا بِالْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَإِمَّا طَاعَتُهُمَا وَمُوَافَقَتُهُمَا عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَإِمَّا الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الْمَعْنِيِّينَ كَالْتَّعْظِيمِ - مَثَلًا .
وَالْمُتَبَادِرُ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ ، أَيُّ : أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ بِالْوَهْيَةِ هَذَيْنِ الْبَاطِلَيْنِ ، وَيُشْرِكُونَهُمَا فِي الْعِبَادَةِ مَعَ الْإِلَهِ الْحَقِّ ، وَيَسْجُدُونَ لَهُمَا .

* * *

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «أَنْحَنُ» .

(٢) الْكُومَاءُ : النَّاقَةُ عَظِيمَةُ السَّنَامِ . انْظُرْ : لِسَانُ الْعَرَبِ «كُوم» .

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ «الْآيَاتُ» وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ شَبَةَ فِي «أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ» (٥٩/٢) ، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٢٣/٥) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (١٩٣/٣) ، وَالتَّبَرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٢٥١/١١) .

الحادية والخمسون

لَبَسُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ، وَكَيْتَمَانُهُ .

قَالَ - تعالى - في سورة «آل عمران»: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَلْسُوتَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُومُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) .

وفي المُرَادِ أقوالٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّ المُرَادَ تَحْرِيفُهُمُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ^(٢) .

ثَانِيهَا: أَنَّ المُرَادَ إِظْهَارُهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَإِبْطَانُهُمُ التَّفَاقُ^(٣) .

ثَالِثُهَا: أَنَّ المُرَادَ الْإِيْمَانُ بِمُوسَى وَعِيسَى ، وَالْكَفْرُ بِمُحَمَّدٍ^(٤) عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) آل عمران: (٧١) .

(٢) وهذا قول الحسن وابن زيد .

انظر: «النكت والعيون» (٤٠١/١) ، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٣٤٢/١) ، «البحر المحيط» (٤٩١/٢) ، «روح المعاني» (١٩٩/٣) .

(٣) وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جرير .

انظر: «تفسير ابن جرير» (٣١٠/٣) ، «البحر المحيط» (٤٩١/٢) ، «روح المعاني» (١٩٩/٣) .

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٤٠١/١) ، «تفسير النسفي» (١٦٢/١) ، «البحر المحيط» (٤٩١/٢) ، «روح المعاني» (١٩٩/٣) .

رَابِعُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ مَا يَعْلَمُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَقِيقَةِ رِسَالَتِهِ ﷺ ،
وَمَا يُظْهِرُونَهُ مِنْ تَكْذِيبِهِ^(١) .

* * *

(١) وهو قول أبي علي وأبي مسلم .
انظر: «البحر المحيط» (٤٩١/٢) ، «روح المعاني» (١٩٩/٣) .

الثانية والخمسون

التَّعَصُّبُ لِلْمَذْهَبِ ، والإقرارُ بِالْحَقِّ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى دَفْعِهِ .

قال - تعالى - في سورة «آل عمران»: ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾^(١) قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٧﴾ يَعْنَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٢) .

قال الحسن والسدي^(٣): تَوَاطَأَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِّنْ أَحْبَارِ يَهُودٍ خَبَرَ وَقَرَى عَرَبِينَ ، وقال بعضهم لِبَعْضٍ: ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ بِاللِّسَانِ دُونَ الْإِعْتِقَادِ ، وَاكْفُرُوا آخِرَ النَّهَارِ ، وقولوا: إِنَّا نَنْظُرُنَا فِي كُتُبِنَا ، وَشَاوَرْنَا عُلَمَاءَنَا ، فَوَجَدْنَا مُحَمَّدًا لَيْسَ بِذَٰكَ ، وَظَهَرَ لَنَا كَذِبُهُ ، وَبُطْلَانُ دِينِهِ ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَٰكَ شَكَّ أَصْحَابُهُ فِي دِينِهِمْ ، وقالوا: إِنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ ، وَهُمْ أَغْلَمُ بِهِ ، فَيَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ إِلَى دِينِكُمْ^(٤) .

* * *

(١) في المخطوط «أو يحاجوكم به عند ربكم» وهو خطأ .

(٢) آل عمران: (٧٢ - ٧٤) .

(٣) في المطبوع: «السعدي» .

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٣١١) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٧/٢) .

الثالثة والخمسون

تَسْمِيَةُ أَتْبَاعِ الْإِسْلَامِ شِرْكَاً.

قال - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ (١) .

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ : حِينَ اجْتَمَعَتِ الْأَخْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، قَالُوا : أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ نَعْبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِيٌّ يُقَالُ لَهُ الرَّئِيسُ : أَوَذَاكَ تُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ ، وَمَا بِذَلِكَ بَعْثَنِي ، وَلَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - هَذِهِ الْآيَةَ (٢) .

* * *

(١) آل عمران : (٧٩ - ٨٠) .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (مختصر ابن هشام ٥٥٤/١) ، وابن جرير في «تفسيره» (٣/٣٢٥) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٣٦٩ - ٣٧٠) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٨٤) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/٤٦) وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

الرابعة والخمسون

تخريفُ الكَلِمِ عَنْ مواضِعِهِ ، وَلِيُّ الأَلْسِنَةِ بِالكِتَابِ .

قالَ - تعالى - في سورة «آلِ عمرانَ» : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١) .

رُويَ أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى جَمِيعاً ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَرَفُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَالْحَقُّوا بِكِتَابِ اللَّهِ - تعالى - مَا لَيْسَ مِنْهُ^(٢) .

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَنَّ الْمَحْرَفَ هَلْ كَانَ يُكْتَبُ فِي التَّوْرَةِ أَمْ لَا ؟ فَذَهَبَ جَمْعٌ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي التَّوْرَةِ سِوَى كَلَامِ اللَّهِ - تعالى - ، وَأَنَّ تَخْرِيفَ الْيَهُودِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَغْيِيراً وَقَتَ الْقِرَاءَةِ ، وَتَأْوِيلًا بِاطِلًا لِلنُّصُوصِ ، وَأَمَّا أَنَّهُمْ يَكْتُبُونَ مَا يَرُومُونَ فِي التَّوْرَةِ عَلَى تَعَدُّدِ نُسَخِهَا فَلَا .

وَاحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِمَا رُويَ أَنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ كَمَا أُنْزِلَهُمَا اللَّهُ - تعالى - لَمْ يُعَيَّرْ مِنْهُمَا حَرْفٌ ، وَلَكِنَّهُمْ يُضِلُّونَ بِالتَّخْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ وَكُتِبَ كَانُوا يَكْتُبُونَهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَأَمَّا كُتُبُ اللَّهِ - تعالى - فَإِنَّهَا مَحْفُوظَةٌ لَا تُحَوَّلُ .

وَبِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ لِلْيَهُودِ إِزَاماً لَهُمْ : «اتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ

(١) آل عمران : (٧٨) .

(٢) قاله وهب بن منبه ، كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦١ - ٣٦٢) .
وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٢/ ٤٦) .

كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ، وهم يَمْتَنِعُونَ عن ذَلِكَ ، فَلَوْ كَانَتْ مُغَيَّرَةً إِلَى مَا يُوَافِقُ مَرَامَهُمْ مَا امْتَنَعُوا ، بَلْ وَمَا كَانَ يَقُولُ لَهُمْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ لَأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى مَطْلَبِهِ الشَّرِيفِ بِالْإِبْطَالِ .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُمْ بَدَّلُوا ، وَكَتَبُوا ذَلِكَ فِي نَفْسِ كِتَابِهِمْ ، وَاحْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ بِكَثِيرٍ مِنَ الظُّوَاهِرِ .

وَلَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ تَعَدُّدُ النُّسخِ ؛ لِاحْتِمَالِ التَّوَاطُّؤِ ، أَوْ فِعْلَ ذَلِكَ فِي الْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ ، وَكَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنْهُ قَوْلُ الرَّسُولِ لَهُمْ ذَلِكَ ؛ لِاحْتِمَالِ عِلْمِهِ بِبَقَاءِ بَعْضِ مَا يَبْقَى بِغَرَضِهِ سَالِمًا عَنِ التَّغْيِيرِ ، إِمَّا لِجَهْلِهِمْ بِوَجْهِ دَلَالَتِهِ ، أَوْ لِحَرْفِ اللَّهِ - تَعَالَى - إِيَّاهُمْ عَنِ تَغْيِيرِهِ .

وَتَمَامُ الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ الْجَدِّ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ ^(١) ، وَكَذَا فِي «الْجَوَابِ الصَّحِيحِ» ^(٢) لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ .

وَكَثِيرٌ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ سَلَكَوا مَسْلَكَ الْكِتَابِيِّينَ فِي التَّحْرِيفِ ، وَالتَّأْوِيلِ ، وَاتَّبَعَ شَهَوَاتِهِمْ .

وَقَالَ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ» : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٣) .

وَالْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ - أَيْضًا - مُسْتَوْفَى فِي التَّفْسِيرِ .

* * *

(١) «روح المعاني» (٣/٢٠٦ - ٢٠٧) .

(٢) (٢/١٨ - ٢٧) ، وانظر : «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/٣٥١ - ٣٥٤) .

(٣) النساء : (٤٦) .

الخامسة والخمسون

تَلْقِبُ أَهْلَ الْهُدَى بِالصَّابَةِ وَالْحَشَوِيَّةِ .

فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُلَقَّبُونَ مَنْ خَرَجَ عَنْ دِينِهِم بِالصَّابِيءِ ، كَمَا كَانُوا يُسَمُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ ، كَمَا وَرَدَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثٍ مِنْ «صَحِيحِ» الْبُخَارِيِّ^(١) وَمُسْلِمٍ^(٢) وَغَيْرِهِمَا ؛ تَنْفِيراً لِلنَّاسِ عَنْ اتِّبَاعِ سَبِيلِهِمْ .

وَهَكَذَا تَجَدُّ كَثِيراً مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُطْلَقُونَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بَدْعِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ أَسْمَاءً مَكْرُوهَةً لِلنَّاسِ .

وَالصَّابَةُ أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ عَلَى مَذَاهِبَ مُخْتَلَفَةٍ ، قَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْمَقَالَاتِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ^(٣) .

وَأَمَّا الْحَشَوِيَّةُ ، فَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَقُولُونَ بِجَوَازِ وُرُودِ مَا لَا مَعْنَى لَهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؛ كَالْحُرُوفِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ وَكَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ

(١) انظر «صحيح البخاري» - كتاب المناقب - باب قصة زمزم - (١٥٨/٤ - ١٥٩) ، وكتاب مناقب الأنصار - باب إسلام عمر - (٢٢٤/٤) .

(٢) انظر : «صحيح مسلم» - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أبي ذر - (١٩١٩/٤ - ١٩٢٢) ح ٢٤٧٣ .

(٣) انظر في شأنها : «التبصير في الدين» (ص ١٥٠) ، «الملل والنحل» للشهرستاني (٩/٢ - ٥٨) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين» (ص ٩٠) ، «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٥٤ - ٤٥٦) ، «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» (ص ٩٢ - ٩٤) ، كتب التفاسير عند تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة .

قَالَ فِيهِمُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ لَمَّا وَجَدَ قَوْلَهُمْ سَاقِطاً ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ فِي حَلْقَتِهِ أَمَامَهُ : «رُدُّوْا هَؤُلَاءِ إِلَى حَشَا الْحَلْقَةِ» ، أَيْ : جَانِبَهَا .

وَحُصُومُ السَّلَفِيِّينَ يَرْمُونَهُمْ بِهَذَا الْاسْمِ ؛ تَنْفِيراً لِلنَّاسِ عَنِ اتِّبَاعِهِمْ وَالْأَخْذِ بِأَقْوَالِهِمْ ، حَيْثُ يَقُولُونَ فِي الْمُتَشَابِهِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .

وَقَدْ أَخْطَأَتْ اسْتِثْمُ الْحُفْرَةِ^(١) ، فَالسَّلَفُ لَا يَقُولُونَ بِوُرُودِ مَا لَا مَعْنَى لَهُ لَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ ، بَلْ يَقُولُونَ فِي الْاِسْتِثْنَاءِ مَثَلًا : «الْاِسْتِثْنَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَالْإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ»^(٢) .

(١) قولهم : «أخطأت استه الحفرة» مثلُ يضرب لمن رام شيئاً ، فلم ينله ، ولمن توخى الصواب ، فجاء بالخطأ .

انظر : «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/١٦٠) ، «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/١٠٢) ، «مجمع الأمثال» للميداني (٤/٤٣٤) .

(٢) روي معنى هذا الأثر عن جماعة من السلف ، فقد رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٣٩٧) ح ٦٦٤ ، والصابوني في «عقيدة السلف» (ص ١٦) ح ٢٣ ، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص ١٥٨) ح ٦٧ ، عن أم سلمة ، وقد ضعف إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/٣٦٥) .
ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٣٩٨) ح ٦٦٥ ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/١٥١) ، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص ١٦٤) ح ٧٤ ، والذهبي في «العلو» (المختصر ١٣٢) ح ١١١ ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/٣٦٥) : «ومثل هذا - يعني جواب مالك - ثابت عن ربيعة شيخ مالك» .

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٣٩٨) ح ٦٦٤ ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/١٥٠ - ١٥١) ، وفي «الاعتقاد» (ص ٤٣) ، والصابوني في «عقيدة السلف» (ص ١٧ - ١٩) ح ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٣٢٥) ، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٥٥ - ٥٦) ، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣٨) ، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» =

وَقَدْ أَطَالَ الْكَلَامَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِهِ ^(١) ، وَلَخَّصَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ: «جَوَابُ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي التَّفَاضُلِ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ» .

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَذْهَبِ السَّلَفِ وَمَذْهَبِ الْحَشَوِيَّةِ ، بِأَنَّ مَذْهَبَ الْحَشَوِيَّةِ وَرُودُ مَا يَتَعَذَّرُ التَّوَصُّلُ إِلَى مَعْنَاهُ الْمُرَادُ مُطْلَقًا ، فَالِاسْتِوَاءُ - مَثَلًا - عِنْدَهُمْ لَهُ مَعْنَى يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ سَمَاعِهِ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةَ ، إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُرَادٍ ؛ لِأَنَّهُ خِلَافُ مَا يَقْتَضِيهِ دَلِيلُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ ، وَمَعْنَى آخَرُ يَلِيْقُ بِهِ - تَعَالَى - لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ - عَزَّ وَجَلَّ - .

وَكَيْفَ يَكُونُ مَذْهَبُ السَّلَفِ هُوَ مَذْهَبُ الْحَشَوِيَّةِ ، وَقَدْ رَأَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَكْبَارِ السَّلَفِ سُقُوطَ قَوْلِ الْحَشَوِيَّةِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَقْعُدَ قَائِلُهُ تَجَاهَهُ؟!

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ رَمَوْا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ بِمِثْلِ هَذَا اللَّقَبِ الْخَبِيثِ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُتَيْبَةَ فِي «تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْأَحَادِيثِ»: «إِنَّ أَصْحَابَ الْبِدْعِ سَمَّوْا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِالْحَشَوِيَّةِ ، وَالنَّابِتَةِ ، وَالْمُتَجَبَّرَةِ ، وَالْجَبَرِيَّةِ ، وَسَمَّوْهُمْ الْغُثَاءَ ، وَهَذِهِ كُلُّهَا أَنْبَازٌ لَمْ يَأْتِ بِهَا خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَتَى:

= (ص ١٧٢ - ١٧٣) ، وَالْذَهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ» (المختصر ص ١٤١) ح ١٣١ و ١٣٢ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ .

(١) وَمِنْهَا «رِسَالَةُ الْإِكْلِيلِ فِي الْمُتَشَابِهِ وَالتَّوْثِيقِ» ، «الْفَرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» ضَمِنَ «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١٤٣/١٤٧ - ١٤٧) ، «الرِّسَالَةُ التَّدْمِيرِيَّةُ» .

في القَدَرِيَّةِ^(١) أَنَّهُمْ: «مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُهُمْ ،
وإن ماتوا فلا تَشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ»^(٢) .

وفي الرَّافِضَةِ^(٣) : «يَكُونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُسَمُّونَ الرَّافِضَةَ ، يَرْفُضُونَ

(١) القدرية ليست طائفة بذاتها كالأشاعرة مثلاً ، وإنما تطلق على كل من نفى القدر ،
كالمعتزلة ومن أنكره من الرافضة وغيرهم .

(٢) رواه أبو داود في «سننه» - كتاب السنة - باب في القدر - (٥/٦٦ - ٦٧) ح ٤٦٩١ ،
ومن طريقه الحاكم في «مستدركه» (١/٨٥) ، وقال الحاكم : «وهذا حديث صحيح
على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر» .

قال ابن حجر في «الأجوبة على أحاديث المصابيح» (٣/١٧٧٩) : «قلت : ورجاله
رجال الصحيح ، لكن في سماع أبي حزم - واسمه سلمة بن دينار - من ابن عمر
نظر ، وجزم المنذري بأنه لم يسمع منه ، وقال أبو الحسن بن القطان : قد أدركه ،
وكان معه بالمدينة ، فهو متصل على رأي مسلم» .

وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٦٣٩) ح ١١٥٠ ،
والآجري في «الشرعية» (ص ١٩٠) ، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء»
(٣/٢١٢) .

والحديث حسنه بمجموع طرقه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٣٠٤) .

(٣) الرافضة : واحدة من طوائف أهل البدع والضلالة ، سموها بذلك لكونهم رفضوا
زيد بن علي لما تولى الشيخين أبا بكر وعمر ، وهم الذين يعرفون اليوم بالشيعة
والإمامية والاثني عشرية والجعفرية ، وأصولهم أربعة : التوحيد ، ويعنون به نفى
الصفات ، والعدل ويقصدون به نفى القدر ، والنبوة ، والإمامة ، ويغلب عليهم
الغلو في أئمتهم ، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله - تعالى - وهم
فرق شتى ، يجمعهم ما ذكرت آنفاً .

انظر : «فرق الشيعة» للنوبختي ، «مقالات الإسلاميين» (١/٦٥ - ١٤٠) ، «الملل
والنحل» (١/١٤٦ - ١٩٠) ، «الفرق بين الفرق» (ص ٢٩ - ٧٢) ، «الفصل»
(٥/٣٥ - ٥٠) ، «التبصير في الدين» (ص ٢٧ - ٤٣) ، «اعتقادات فرق المسلمين
والمشركين» (ص ٥٢ ، ٦٦) ، «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان»
(ص ٦٥ - ٨٥) ، «الرد على الرافضة» لأبي حامد المقدسي ، و«مختصر التحفة
الاثني عشرية» ، «تاريخ الفرق الإسلامية» لمحمد خليل الزين (١٠٨ - ١٢٩) ، =

الإسلام ، وَيَلْفُظُونَهُ ، فاقتلوههم ، فإنهم مشركون»^(١).

وفي المرجئة^(٢): «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا تَنَالُهُمْ شَفَاعَتِي ، لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا: الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»^(٣).

= «أصل الشيعة وأصولها» لمحمد حسين آل كاشف الغطا ، «تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة» د. عبد الله فياض ، «الشيعة والتصحيح» د. موسى الموسوي .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٥/٢) ح ٩٨١ ، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٥٩/٤) ح ٢٥٨٦ ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤٢/١٢) ح ١٢٩٩٧ ، وابن عدي في «الكامل» (٩٠/٥) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٥/٤) وقال: «غريب تفرد به الحجاج عن ميمون» ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥٤٨/٦) ، من حديث ابن عباس ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢/١٠): «ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف» ، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٤٧٦/٢) .
وعنه بنحوه الطبراني في «الكبير» (٢٤٢/١٢) ح ١٢٩٩٨ ، قال الهيثمي (٢٢/١٠): «وإسناده حسن» .

وأخرجه بنحوه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٤/٤) ح ٩٧٨ ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٤٧/٢) ح ١٢٧٠ ، وفي «زوائد المسند» (١٠٣/١) عن علي مرفوعاً .

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢/١٠): «وفيه كثير بن إسماعيل النواء ، وهو ضعيف» .

(٢) المرجئة: إحدى الفرق الضالة ، وإن كان الإرجاء - كالقدر - ليس فرقة بعينها ، وإنما في طوائف متعددة ، والإرجاء على معنيين: أحدهما: التأخير ، بمعنى تأخير العمل عن مسمى الإيمان ، ثانيهما: إعطاء الرجاء ، بقولهم: لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .
انظر: «الملل والنحل» (١٣٩/١ - ١٤٦) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (٧١ - ٧٠) .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٦١/٢) ح ٦٤٩ من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: المرجئة والقدرية» .
وبمثل حديث ابن عباس أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٤/٩) ، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٦/١) ح ٢٤٩ من حديث أنس .

وفي الخوارج^(١): «يَمُرُّونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢) و«كِلَابِ أَهْلِ النَّارِ»^(٣).

هذه أسماء من رسول الله ﷺ ، وتلك أسماء مصنوعة^(٤) انتهى .

- = قال ابن الجوزي: «وهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ» .
وأخرجه ابن أبي عاصم (٤٦٢/٢) ح ٥٩٢ من حديث معاذ مرفوعاً بلفظ: «ما بعث الله نبياً قط ، إلا جعل في أمته قدرية ومرجئة ، وإن الله - تعالى - لعن على لسان سبعين نبياً القدرية والمرجئة» .
وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» . (٦٤٣/٢) ١١٥٩ من حديث محمد بن كعب القرظي عن عبد الله .
- (١) الخوارج: إحدى الفرق الضالة ، نشأت قديماً ، وحذر النبي ﷺ من فتنها ، وحث على قتلهم ، وهم طوائف كثيرون ، يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ، وتكفير صاحب الكبيرة ، والخروج على الإمام إذا فعل كبيرة .
انظر في شأنها: «التنبيه والرد» (ص ٥١) ، «مقالات الإسلاميين» (١٦٧/١) ، «الفرق بين الفرق» (ص ٧٢) ، «والتبصير في الدين» (ص ٤٥) ، «الملل والنحل» (١١٤/١) ، «الفصل» (٥١/٤ - ٥٧) ، «الاعتقادات» (ص ٤٦) ، «البرهان» (ص ١٧) ، «خبيئة الأكوان» (ص ٥٧) .
- (٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب استتابة المرتدين - (٥٢/٨) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم - (٧٤٢/٢) وباب التحريض على قتل الخوارج - (٧٤٦/٢ - ٧٤٧) ح ١٠٦٦ من حديث أبي سعيد وعلي .
- (٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» - المقدمة - (٦١/١) ح ١٧٣ ، وأحمد في «مسنده» (٣٥٥/٤) ، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٣٨/٢) ح ٩٠٤ ، والطبراني في «الكبير» (٣٢٤/٨) ح ٨٠٤٢ ، وفي «الصغير» (١١٧/٢) ، والخطيب في «التاريخ» (٣١٩/٦) ، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٦٣/١) ح ٢٦١ ، وقال: «قال أحمد: لم يسمعه الأعمش من ابن أبي أوفى ، قال الدارقطني: لم نر شيوخنا يقولون: إن إسحاق تفرد به عن الأعمش حتى وجدنا أهل خراسان قد روه [عن] شيخ له عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش» .
- (٤) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٥٥) .

وفي «الغنية» أَنَّ الباطنيَّة تَسْمِي أهل الحديث «حشويَّة» لِقَوْلِهِم بِالْأَخْبَارِ وَتَعَلُّقِهِم بِالْأَنَارِ^(١).

وفي كتاب «حُجَّة الله البالغة»: «واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث ، وسمَّوهم مُجَسِّمَةً ، ومُشَبَّهَةً ، وقالوا: هُمُ الْمُتَسَتِّرُونَ بِالْبَلَكْفَةِ ، وقد وَضَحَ لَدَيَّ^(٢) وَضُوحاً بَيِّناً أَنَّ اسْتَطَالَتَهُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ ، وَأَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ فِي مَقَالَتِهِمْ^(٣) رِوَايَةً وَدِرَايَةً ، وَخَاطِئُونَ فِي طَعْنِهِمْ أُنْمَةً الْهُدَى^(٤) انتهى .

وَقَدْ قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «كَافِيَتِهِ الشَّافِيَّةِ»: «فَضْلٌ فِي تَلْقِيهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْحَشْوِيَّةِ وَبَيَانِ^(٥) مَنْ أَوْلَى بِالْوَصْفِ الْمَذْمُومِ مِنْ^(٦) هَذَا اللَّقَبِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، وَذِكْرِ أَوَّلِ مَنْ لَقَّبَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ:

وَمِنْ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنْ اقْتَدَى	بِالْوَحْيِ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ
حَشْوِيَّةٌ يَعْنُونَ حَشْوَاً فِي الْوُجُو	دِ وَفَضْلَةً فِي أَمَّةِ الْإِنْسَانِ
وَيُظَنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَنَّهُمْ حَشَوْا	رَبَّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ
إِذْ قَوْلُهُمْ فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَاءِ	عِ الرَّبُّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
ظَنَّ الْحَمِيرُ بَأَنَّ فِي لِلْظَّرْفِ وَالرَّ	حُمَنْ مَحْوِيٍّ يَظْرَفُ مَكَانِ
وَاللهِ لَمْ يُسْمَعْ بِذَا مِنْ فِرْقَةٍ	قَالَتْهُ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ
لَا تَبَهَّتُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِهِ فَمَا	ذَا قَوْلُهُمْ تَبَّأَ لِذِي الْبُهْتَانِ

(١) «الغنية» لعبد القادر الجيلاني (١/ ٨٥).

(٢) في «حجة الله البالغة»: «علي».

(٣) في المخطوط والمطبوع «روايتهم» ، وما أثبتته من «حجة الله البالغة».

(٤) «حجة الله البالغة» لشاه ولي الله الدهلوي (١/ ٦٤).

(٥) في المطبوع «ويقال» ، وما أثبتته هو الموافق لما في «الكافية الشافية».

(٦) في المطبوع «في» ، وما أثبتته هو الموافق لما في «الكافية الشافية».

بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
حَقًّا كَخَرْدَلَةٍ تُرَى فِي كَفِّ مُمْ
أَتَرُونَهُ الْمَحْصُورَ بَعْدَ أَمِ السَّمَاءِ
كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٍ وَكَمْ^(١) حَشَوِيَّةٍ
[يَا قَوْمُ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسْنَةً أَلْ
أَنَا بِحَمْدِ إِلَهِنَا حَشَوِيَّةٌ
تَدْرُونَ مَنْ سَمَّيْتُ شُيُوخُكُمْ بِهِ
سَمَّيْتُ بِهِ ابْنُ عُبَيْدٍ عَبْدَ اللَّهِ^(٢) ذَا
فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا كَمَا وَرِثُوا لِعَبْدٍ
تَدْرُونَ مَنْ أُولَى بِهَذَا الْاسْمِ وَهَذَا
مَنْ قَدْ حَشَا الْأَوْرَاقَ وَالْأَذْهَانَ مِنْ
هَذَا هُوَ الْحَشَوِيُّ لَا أَهْلُ الْحَدِيدِ
وَرَدُّوا عِذَابَ مَنَاهِلِ السُّنَنِ الَّتِي
وَوَرَدْتُمْ الْقُلُوطَ^(٣) مَجْرَى كُلِّ ذِي أَلْ

فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
سِكِّهَا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
يَا قَوْمُنَا ارْتَدِعُوا عَنِ الْعُدْوَانِ
فَالْبَهْتُ لَا يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ^(٤)
مُخْتَارِ حَشَوًا فَاشْهَدُوا بِبَيَانِ
صِرْفُ بَلَا جَحْدٍ وَلَا كِتْمَانٍ^(٥)
ذَا الْإِسْمِ فِي الْمَاضِي مِنَ الْأَزْمَانِ
كَابْنِ الْخَلِيفَةِ طَارِدِ الشَّيْطَانِ^(٦)
لِإِلَهِ أَلَى يَسْتَوِي الْإِزْثَانِ
وَمُنَاسِبُ أَحْوَالِهِ بِوِزَانِ
بِدَعٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ^(٧) الْقُرْآنِ
ثُمَّ أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
لَيْسَتْ زُبَالَةٌ هَذِهِ الْأَذْهَانِ
أَوْسَاخِ وَالْأَفْذَارِ وَالْأَتْنَانِ

(١) فِي الْمَخْطُوطِ «وَذَا» وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْمَطْبُوعِ ، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي «الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ «صِرْفُ بَلَا جَحْدٍ وَلَا كِتْمَانٍ» وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْمَطْبُوعِ ، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي «الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» .

(٣) الْبَيْتَانِ اللَّذَانِ بَيْنَ مَعْكُوفَتَيْنِ لَيْسَا فِي الْمَخْطُوطِ وَلَا فِي الْمَطْبُوعِ ، وَإِنَّمَا أَضَفْتُهَا مِنَ الْكَافِيَةِ .

(٤) فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ «عَمْرُو لِعَبْدِ اللَّهِ» وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ «الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» .

(٥) انْظُرْ : «مَنْهَاجُ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ» (٥٢٠ / ٢) ، حَيْثُ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ سَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو حَشَوِيًّا ، وَانْظُرْ : «شَذَرَاتُ الذَّهَبِ» لِابْنِ الْعِمَادِ .

(٦) فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ «مُقْتَضَى» ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ «الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» .

(٧) قَالَ ابْنُ عَيْسَى فِي شَرْحِ «الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» (٨٦ / ٢) : «الْقُلُوطُ - بَفَتْحِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ =

وَكَسَلْتُمْ أَنْ تَصْعَدُوا لِلْوَرْدِ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ^(١) خِيَةَ الْكَسْلَانِ^(٢)
وَحَاصِلُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ أَعْدَاءَ الْحَقِّ وَخُصُومَ السُّنَّةِ وَأُضْدَادَ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ يُلَقَّبُونَ سَلَفَ الْأُمَّةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِلَقَبِ «الْحَشَوِيَّةِ» :
فَالْخَوَاصُّ مِنْهُمْ يَقْصِدُونَ بِهَذَا الْاسْمِ أَنَّ الْمُسَمَّى بِهِ حَشَوٌ فِي الْوُجُودِ
وَفَضْلَةٌ فِي النَّاسِ ، لَا يُعْبَأُ بِهِمْ ، وَلَا يُقَامُ لَهُمْ وَزَنٌ ؛ إِذْ لَمْ يَتَّبِعُوا آرَاءَهُمْ
الْكَاسِدَةَ وَأَفْكَارَهُمُ الْفَاسِدَةَ .

وَأَمَّا الْعَوَامُّ مِنْهُمْ فَيَظُنُّونَ أَنَّ تَسْمِيَةَ السَّلَفِ بِالْحَشَوِيَّةِ لِقَوْلِهِمْ بِالْفَوْقِيَّةِ ،
وَكَوْنِ الْإِلَهِ فِي السَّمَاءِ ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا - وَحَاشَاهُمْ - أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -
حَشَوٌ هَذَا الْوُجُودِ ، وَأَنَّهُ دَاخِلَ الْكَوْنِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا
كَبِيرًا . - وَهَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ .
عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ .

وَأَعْدَاءُ الْحَقِّ فِي عَصْرِنَا هَذَا عَلَى هَذَا الْمَسْلَكِ الْجَاهِلِيِّ ، فَتَرَاهُمْ
يَرْمُونَ كُلَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِكُلِّ لَقَبٍ مَذْمُومٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ .

* * *

= اللام وبالطاء المهملة -: هو نهر بدمشق الشام يحمل أقدار البلد وأوساخه وأنتانه ،
ويسمى في هذا الوقت : قليطاً بالتصغير .

(١) في المخطوط والمطبوع «أثر الشرائع» ، وما أثبتته من «الكافية الشافية» .

(٢) «الكافية الشافية» (ص ١٠٨) ، ويشرح العلامة ابن عيسى (٧٩/٢) ، ويشرح

الدكتور : محمد خليل هراس (١/٣٣٣ - ٣٣٥) .

السادسة والخمسون

افتراء الكَذِبِ على الله ، والتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ .

وَشَوَاهِدُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ ، وَهَذَا دَأْبُ الْمُخَالِفِينَ لِلدِّينِ الْمُبِينِ ، كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، يَدَّعُونَ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِهِ ، وَأَنَّ الدِّينَ الْمُبِينَ لَيْسَ بِحَقٍّ ، وَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَمَرَهُمْ^(١) بِتَكْذِيبِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ لَا تَبَاعَ أَسْلَافِهِمْ ، لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الدَّلِيلِ ، وَهَكَذَا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ يَعْتَقِدُونَ بِدَعْوَتِهِمُ الْحَقَّ ، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِهَا ، وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ مُفْتَرًى ، لَا يُصَدَّقُونَ بِهِ .
وَكُلُّ يَدَّعِيٍّ وَضَلَّ لِلَّيْلِ وَلَيْلَى لَا تُقَرَّرُ لَهُمْ بِذَاكَ^(٢)

* * *

(١) في المخطوط «أمرنا» .

(٢) سبق (ص ٩٦) تخريجه .

السابعة والخمسون

رَمِي الْمُؤْمِنِينَ بِطَلَبِ الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ .

قال - تعالى - في سورة «يُونُسَ»: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ ^(١) بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

هذا الكلام مَسوقٌ لِبَيَانِ أَنَّ موسى - عليه السلام - أَلْقَمَهُمُ الْحَجَرَ ، فَانْقَطَعُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِكَلَامٍ لَهُ تَعَلَّقَ بِكَلَامِهِ - عليه السلام - فَضْلاً عَنْ الْجَوَابِ الصَّحِيحِ ، وَاضْطُرُّوا إِلَى التَّشَبُّثِ بِذَلِيلِ التَّقْلِيدِ الَّذِي هُوَ دَابُّ كُلِّ عَاجِزٍ مَخْجُوجٍ ، وَدَيَّدَنُ كُلِّ مُعَالِجٍ لَجُوجٍ .

على أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ وَقَعَ جَوَاباً عَمَّا قَبْلَهُ مِنْ كَلَامِهِ - عليه السلام - على طَرِيقَةٍ: قال موسى ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَاذَا قَالُوا لِمُوسَى - عليه السلام - حِينَ قَالَ لَهُمْ مَا قَالَ؟ فَقِيلَ: قَالُوا عَاجِزِينَ عَنِ الْمُحَاجَّةِ: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أَيُّ: الْمُلْكُ . كَمَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ ^(٣) ، وَعَنِ الزَّجَّاجِ أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ الْمُلْكُ كِبَرِيَاءً؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مَا يُطْلَبُ مِنَ أَمْرِ الدُّنْيَا ^(٤) .

(١) في المخطوط «وما نحن لك» وهو خطأ.

(٢) يونس: (٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/٣١٤).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/٢٩).

فَكُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ رَمَاهُ مَنْ كَانَ عَلَى الْمَسَلِّكِ الْجَاهِلِيِّ أَنْ قَصَدَهُ مِنْ
الدَّعْوَةِ طَلَبُ الرِّئَاسَةِ وَالْجَاهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ ، وَمَا قَامَ
عَلَيْهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ .

* * *

الثامنة والخمسون

رُمِيَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .

شَاهِدُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ ، حَاصِلُهَا أَنَّ الْمَخَالِفِينَ لَهُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ .

انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِمْ فِي أَوَائِلِ سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» ، كَيْفَ ادَّعَوْا أَنََّّهُمْ هُمْ مُصْلِحُونَ ، وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

وَهَكَذَا مِنْ هُوَ عَلَى شَاكِلَةِ أَوْلَئِكَ ، مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَلُّوا غَيَّهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ بِدَعْوِهِمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ .

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرّاً بِهِ الْمَاءِ الزُّلَالَا (٢)
نَسْأَلُهُ - تَعَالَى - أَنْ يَنْبِتَ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ ، وَأَقْدَامَنَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

* * *

(١) البقرة: (١٢) .

(٢) البيت للمتنبي ضمن قصيدة له يمدح بها أبا الحسين بدر بن عمار الطبرستاني ، وهو في ديوانه (ص ١٤١) .

التاسعة والخمسون

رُمِيَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَبْدِيلِ الدِّينِ .

قال - تعالى - في سورة «مؤمن»^(١) : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾^(٢) .

اعتقدوا ما هُمْ^(٣) عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ هو الدِّينُ الْحَقُّ ، وَمَنْ أَرَادَ تَحْوِيلَهُمْ عَنِ اعْتِقَادِهِمُ الْكَاسِدِ ، وَصَرَفَهُمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْغَيِّ ، فَقَدْ أَرَادَ^(٤) إخراجَهُمْ مِنَ الدِّينِ ، وإفساداً في الأرضِ .
وهكذا دَيَّنْ أَعْدَاءُ الْحَقِّ فِي كُلِّ عَصْرِ .

* * *

(١) في المطبوع : «غافر» وكلاهما اسم لهذه السورة .

(٢) غافر : (٢٦) .

(٣) في المطبوع «اعتقدوا أن ما هم» .

(٤) «فقد أراد» ليست في المخطوط .

الستون

كَوْنُهُمْ إِذَا غُلِبُوا بِالْحُجَّةِ ، فَزِعُوا إِلَى السَّيْفِ وَالشَّكْوَى إِلَى الْمُلُوكِ ،
و[دَعْوَى] ^(١) اِحْتِقَارِ السُّلْطَانِ ، وَ[تَحْوِيل] ^(١) الرَّرْعِيَّةِ عَنْ دِينِهِ .

قال - تعالى - في سورة «الأعراف» : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ ﴾ ^(٢) .

فَانْظُرْ إِلَى شَكْوَى آلِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِلَيْهِ ، وَتَحْرِيسِهِمْ ^(٣) إِيَّاهُ عَلَى مُقَاتَلَةِ
مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - وَتَهْيِيجِهِ ، وَمَا ذَكَرَ فِي آخِرِ الْآيَةِ مِنْ اِحْتِقَارِ ^(٤)
مَا كَانُوا عَلَيْهِ .

* * *

(١) ما بين الحاصرتين ليس في المخطوط ، وقد وضع في المطبوع بين حاصرتين ،
وهما علامة الإضافة إلى النص .

(٢) الأعراف : (١٢٧) .

(٣) في المخطوط «وتحريسهم» .

(٤) في المخطوط «الاحتقار» .

الحادية والستون

تناقضُ مذهبِهِمْ لَمَّا تَرَكُوا الْحَقَّ.

قال - تعالى - في سورة «ق»: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كَنْزٌ حَفِيطٌ ﴿١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٢﴾﴾.

فَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ...﴾ إلخ ، إضرابٌ أُتْبِعَ الإضرابَ الأوَّلَ للدلالة على أَنَّهُمْ جَاءُوا بِمَا هُوَ أَفْطَعُ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ ، وهو التَّكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، الذي هُوَ التَّبَوُّةُ الثَّابِتَةُ بِالْمُعْجَزَاتِ ، فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ وَلَا تَدَبُّرٍ.

﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ مُضْطَرِبٍ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ نَفْيِهِمُ التَّبَوَّةَ عَنِ الْبَشَرِ بِالْكُلِّيَّةِ تَارَةً ، وَزَعْمِهِمْ أَنَّ اللَّاتِقَ بِهَا أَهْلُ الْجَاهِ وَالْمَالِ كَمَا يُنْبِئُهُ عَنْهُ قَوْلُهُمْ: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٢) تَارَةً أُخْرَى ، وَزَعْمِهِمْ أَنَّ التَّبَوَّةَ سِحْرٌ مَرَّةً أُخْرَى ، وَأَنَّهَا كِهَانَةٌ أُخْرَى ، حَيْثُ قَالُوا فِي النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً: سَاحِرٌ ، وَمَرَّةً: كَاهِنٌ ، أَوْ هُوَ اخْتِلَافٌ حَالِهِمْ مَا بَيْنَ تَعَجُّبٍ مِنَ الْبَعْثِ وَاسْتِعْجَالٍ لَهُ ، وَتَكْذِيبٍ وَتَرَدُّدٍ فِيهِ ، أَوْ قَوْلُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: هُوَ سِحْرٌ تَارَةً ، وَهُوَ سِحْرٌ أُخْرَى.

وقال - تعالى - في «الذَّارِيَاتِ»: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ

(١) ق: (٤-٥).

(٢) الزخرف: (٣١).

تُخْلِفُ ﴿٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرٍ سَاهُونَ ﴿١﴾ .

﴿الْحُبْكُ﴾ : جمع حَيْكَةٍ ، كَطَرِيقَةٍ ، أَوْ حَبَاك ، كَمِثَالٍ وَمُثْلٍ ، والمرادُ بها إمَّا الطَّرِيقُ المحسوسةُ التي تَسِيرُ فيها الكَوَاكِبُ ، أَو المعقولةُ التي تُدْرِكُ بالبصيرةِ ، وهي ما يدلُّ على وَحْدَةِ الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ إِذَا تَأَمَّلَهَا النَّاطِرُ .

وقوله : ﴿إِنَّكَ لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ﴾ ، أي : مُتَخَالِفٍ ، مُتَنَاقِضٍ فِي أَمْرِ اللَّهِ - عز وجل - ، حيثُ تقولون : إِنَّهُ - جَلَّ شَأْنُهُ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَتَقُولُونَ بِصَحَّةِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مَعَهُ - سُبْحَانَهُ - ، وَفِي أَمْرِ الرَّسُولِ ، فَتَقُولُونَ تَارَةً : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ، وَأُخْرَى : إِنَّهُ سَاحِرٌ ، وَلَا يَكُونُ السَّاحِرُ إِلَّا عَاقِلًا ، وَفِي أَمْرِ الْحَشْرِ ، فَتَقُولُونَ تَارَةً : لَا حَشَرَ وَلَا حَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَصْلًا ، وَتَزْعُمُونَ أُخْرَى أَنَّ أَصْنَامَكُمْ شُفَعَاؤُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ - تعالى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُتَخَالِفَةِ فِيمَا كُفِّلُوا بِالْإِيمَانِ بِهِ ﴿٢﴾ .

وقوله : ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ ، أي : يُصْرِفُ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا كُفِّلُوا بِالْإِيمَانِ بِهِ .

﴿قُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ ، أي : الكَذَّابُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَوْلِ الْمُخْتَلِفِ .

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرٍ سَاهُونَ﴾ : الغَمَرَةُ : الْجَهْلُ الْعَظِيمُ يَغْمُرُهُمْ وَيَشْمَلُهُمْ شُمُولَ الْمَاءِ الْغَامِرِ لِمَا فِيهِ ، وَالسَّهْوُ : الْعَفْلَةُ .

وقال - تعالى - فِي أَوَاخِرِ سُورَةِ «الْأَنْعَامِ» : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

(١) الذاريات : (٧ - ١١) .

(٢) انظر : «روح المعاني» (٥/٢٩) .

(٣) الأنعام : (١٥٩) .

هذه الآية استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان حال المشركين ،
بناءً على ما روي عن ابن عباس^(١) وقادة^(٢) : أَنَّ الآية نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى .

أي : بَدَّدُوا دِينَهُمْ ، وَبَعْضُوهُ ، فَتَمَسَّكَ بِكُلِّ بَعْضٍ مِنْهُ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ .
﴿وَكَاثُوا شَيْعًا﴾ أي : فِرْقًا تُشَابِعُ كُلُّ فِرْقَةٍ إِمَامًا ، وَتَتَّبِعُهُ ، أَي : تُقْوِيهِ ،
وَتُظْهِرُ أَمْرَهُ .

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهُمْ فِي الْهَافِيَةِ إِلَّا وَاحِدَةً ،
وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهُمْ فِي الْهَافِيَةِ إِلَّا وَاحِدَةً ،
وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهُمْ فِي الْهَافِيَةِ إِلَّا وَاحِدَةً»^(٣) .

واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى العصر
الماضي قبل النسخ ، وأما بعده ؛ فالكل في الهاوية ، وإن اختلفت أسباب
دخولهم .

﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ، مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُمْ ، وَالبَحْثِ عَنْ تَفَرُّقِهِمْ ، أَوْ
مِنْ عِقَابِهِمْ ، أَوْ أَنْتَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ .

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ : تَعْلِيلٌ لِلنَّفْيِ الْمَذْكُورِ ، أَي : هُوَ يَتَوَلَّى وَحْدَهُ
أَمْرَهُمْ : أَوْلَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ ، وَيُدَبِّرُهُ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، كَمَا فِي «الدَّر الْمَنْشُور» (٦٣/٣) .

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (ج ١/ ق ٢/ ص ٢٢٢) ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي
«الدَّر الْمَنْشُور» (٦٣/٣) ، وَزَادَ نَسْبَتَهُ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَابْنِ
أَبِي حَاتِمٍ .

(٣) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْحَدِيثَ بِهَذَا اللَّفْظِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ ، وَإِنَّمَا وَجَدْتُهُ عِنْدَ
الْمُرُوزِيِّ فِي «السَّنَةِ» (ص ٢٤) ، رَقْم ٦١ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: الْمُفَرَّقُونَ: أَهْلُ الْبِدْعِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ:

فقد أخرجَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ^(١) وابنُ جَرِيرٍ^(٢) والطَّبْرَانِيُّ^(٣) وغيرُهم عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ في قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا...﴾ إلخ: «هُمْ أَهْلُ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

فَيَكُونُ الْكَلَامُ - حَيْثُئِذٍ - اسْتِثْنَاءً لِبَيَانِ حَالِ الْمُتَبَدِّعِينَ ، إثرَ بَيَانِ حَالِ الْمُشْرِكِينَ ، إشارةً إلى أَنَّهُمْ ليسوا مِنْهُمْ بِعَيْدٍ^(٤).

والمقصودُ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ سواءَ كانوا أُمِّيَّينَ أَوْ كِتَابِيِّينَ قد فَرَّقُوا دِينَهُمْ ، وَتَغَايَرُوا في الاعتقادِ ، فَكَانَ عِبَادُ الْأَصْنَامِ كُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ يَدِينُونَ لَهُ ، وَلَهُمْ شُرَائِعُ مُخْتَلِفَةٌ في عِبَادَتِهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ كَوْكَبًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَمِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ ، وكذلك الْكِتَابِيُّونَ على مَا بَيَّنَّا.

فَالْاِفْتِرَاقُ نَاشِئٌ عَنِ الْجَهْلِ ، وَإِلَّا فَالشَّرِيعَةُ الْحَقَّةُ فِي كُلِّ زَمَانٍ لَا تَعْدُدُ فِيهَا وَلَا اخْتِلَافَ ، وَلِذَلِكَ تَرَى الْقُرْآنَ يُوحِّدُ الْحَقَّ وَيُعَدِّدُ الْبَاطِلَ:

قال - تعالى -: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(٥).

(١) في «نوادير الأصول» (ص ٢٠٩) ، لكنه من حديث عائشة .

(٢) في «تفسيره» (١٠٥/٨) .

(٣) في «الأوسط» (٢٠٧/١) رقم (٦٦٤) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن سفيان إلا موسى ، تفرد به معلل» ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٣/٧): «رجال رجال الصحيح ، غير معلل بن نفيل ، وهو ثقة» .

وانظر: «العلل» للدارقطني (٣٢١/٨) رقم ١٥٩٢ .

(٤) تفسير هذه الآية نقله المؤلف - رحمه الله تعالى - من «روح المعاني» (٦٨/٨) .
وانظر: «تفسير أبي السعود» (٢٠٦/٣) .

(٥) البقرة: (٢٥٧) .

فَانْظُرْ كَيْفَ أَفْرَدَ النُّورَ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ ، وَجَمَعَ الظُّلُمَاتِ الَّتِي هِيَ الْبَاطِلُ
وَالزَّيْغُ ، فَتَفَرَّقَةُ الآرَاءِ ، وَالْاِخْتِلَافُ فِي الْاِعْتِقَادِ مِنْ خِصَالِ الْجَاهِلِيَّةِ
وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ ، وَالِاتِّفَاقُ عَلَى الْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ هُوَ مِنْ دَابِ أَتْبَاعِ
الرُّسُلِ وَالْمُتَمَسِّكِينَ بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - .

* * *

الثانية والستون

دَعَاَهُمُ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ الَّذِي عِنْدَهُمْ .

كما قال - تعالى - في سورة «البقرة» : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

أي : نَسْتَمِرُّ عَلَى الْإِيمَانِ بِالتَّوْرَةِ وَمَا فِي حُكْمِهَا مِمَّا أُنزِلَ لِتَقْرِيرِ حُكْمِهَا .

وَمُرَادُهُمْ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ إِمَّا أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ الظَّاهِرُ ، وَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ عَدَمَ إِيْمَانِهِمْ بِالْقُرْآنِ كَانَ بَغْيًا وَحَسَدًا عَلَى نُزُولِهِ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ، وَإِمَّا أَنْفُسُهُمْ ، وَمَعْنَى الْإِنْزَالِ عَلَيْهِمْ : تَكْلِيفُهُمْ بِمَا فِي الْمُنَزَّلِ مِنَ الْأَحْكَامِ . وَذُقُوا (٢) عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّعْرِيضِ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ . وَدَسَائِسُ الْيَهُودِ مَشْهُورَةٌ (٣) وَتَمَامُ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ .

* * *

(١) البقرة : (٩١) .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ « وَنَدْمُوا » ، وَمَا أَثْبَتَهُ هُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي « رُوحِ الْمَعَانِي » .

(٣) تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ نَقَلَهُ الشَّارِحُ مِنْ « رُوحِ الْمَعَانِي » (١/٣٢٣) .

الثالثة والستون

الزَّيَادَةُ فِي الْعِبَادَةِ ، كَفَعْلِهِمْ يَوْمَ عَاشُورَاءَ^(١) .

* * *

(١) وهذه الخصلة الجاهلية لا تزال موجودة إلى يومنا هذا ، فأنت ترى المستدركين على الله - تعالى - فيما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ من زنادقة الصوفية والرافضة كل يوم يأتون بشرع جديد ، وكل شيخ وآية له دينه الذي لا يشركه فيه أحد ، حتى أصبح الدين بسبب هؤلاء سبة ، وغدوا عائقاً كبيراً أمام من يريد معرفة الإسلام على وجهه الصحيح ، فاللهم يا ولي الإسلام وأهله أرح العباد من شرهم وكيدهم . أما بالنسبة لبدع يوم عاشوراء ، فهي لا تزال ، وخاصة عند الرافضة ، ويكفي أن نقل لك أحد نصوص واحد من الرافضة المعاصرين ، وهو عبد الله نعمة ، حيث يقول في كتابه «روح التشيع» (ص ٤٩٩ - ٥٠٠) : «ومن هذه العادات السيئة : ضرب الرأس بالسيوف وجرحها ، وإسالة الدماء ، وضرب الظهور بالسلاسل ضرباً مبرحاً . . . نحن لا ننسى ثورة العامة ومعهم بعض المشايخ على محسن الأمين العامل حين أفتى بحرمة التمثيل (التشبيه) في عاشوراء ، وحرمة ضرب الظهور بالسلاسل ، وجرح الرأس بالسيوف . . . » .

وانظر وصفاً دقيقاً لما يجري يوم عاشوراء في كتاب «الشيعة والتصحيح» لأحد أئمة الرافضة المعاصرين وهو الدكتور موسى الموسوي (ص ٩٧ - ١٠٢) .

كما أنه يوجد عند المنتسبين إلى السنة (أعني به ما يقابل الرافضة) كثير من البدع في ذلك اليوم بعضها مستند إلى أحاديث واهية ، وأكثرها من باب : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ .

الرابعة والستون

النَّقصُ مِنْهَا ، كَثَرَكِهِمُ الْوُقُوفَ .

قال - تعالى - : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ ^(١) ، أَيْ : مِنْ عَرَفَةَ ، لَا مِنْ مُزْدَلِفَةَ .

والخطابُ عامٌّ ، والمقصودُ إبطالُ ما كان عليه الحُمْسُ مِنَ الْوُقُوفِ بِجَمْعٍ .

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ ^(٢) ، وَمُسْلِمٌ ^(٣) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَتْ قَرِيشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْحُمْسَ ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ ، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا ، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ .

وَمَعْنَاهَا : ثُمَّ أَفِيضُوا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ مِنْ مَكَانٍ أَفَاضَ جِنْسُ النَّاسِ مِنْهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَهُوَ عَرَفَةُ ، لَا مِنْ مُزْدَلِفَةَ .

* * *

(١) البقرة : (١٩٩) .

(٢) فِي «صَحِيحِهِ» : كِتَابُ التَفْسِيرِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ - بَابُ فِي ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ .

(٣) فِي «صَحِيحِهِ» كِتَابُ الْحَجِّ - بَابُ مَا جَاءَ أَنْ عَرَفَةَ كُلُّهَا مَوْقِفَ - (٨٩٣/٢) رَقْمَ (١٢١٨) .

الخامسة والستون

تَعْبُدُهُمْ يَتْرَكُ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، وَتَرَكِ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ .

قال - تعالى - في سورة «الأعراف»: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١) ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

وسبب النزول - على ما رُوِيَ عن ابن عباس - أنه كان أناسٌ من الأعراب يطوفون بالبيتِ عُراً ، حتَّى إن كانتِ المرأةُ لتطوفُ بالبيتِ وهي عُريانةٌ ، فتعلّقُ على سُفلِها سُيوراً مثلاً هذه السُّيُورِ التي تكونُ على وَجْهِ الحُمْرِ من الدُّبابِ ، وهي تقول :

اليومَ يَبْدو بعضُه أو كُلُّه وما بَدَا مِنْهُ فَلَاحِلُّه
فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى - هذه الآيةَ : ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ . . .﴾ إلخ (٣) .
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مِمَّا طَابَ لَكُمْ .

(١) في المخطوط والمطبوع «إن الله» ، وهو خطأ .

(٢) الأعراف : (٣١ - ٣٢) .

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» - كتاب التفسير - باب في قوله - تعالى - : ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٤/ ٢٣٢٠) رقم (٣٠٢٨) .

قال الكلبي: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قُوتاً ،
وَلَا يَأْكُلُونَ دَسَماً فِي أَيَّامِ حَجَّهِمْ ، يُعَظِّمُونَ بِذَلِكَ حَجَّهْمُ ، فَقَالَ
الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْآيَةَ»^(١).

وَمِنْهُ يَظْهَرُ وَجْهُ ذِكْرِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ هُنَا.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ ، كَمَا هُوَ الْمُنَاسِبُ لِسَبَبِ التَّزْوِيلِ أَوْ
بِالتَّعَدِّي إِلَى الْحَرَامِ.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ مِنَ الثِّيَابِ وَكُلِّ مَا يُجَمَّلُ بِهِ.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ، أَي: مِنَ الْمُسْتَلَذَّاتِ ، وَقِيلَ: الْمُحَلَّلَاتُ مِنَ
الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ ، كُلُّهُمُ الشَّاةِ وَشَحْمِهَا وَلَبَنُهَا.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، أَي: لَهُمْ بِالْأَصَالَةِ لِمَزِيدِ
كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَالْكَفَرَةِ - إِنَّ شَارَكُوهُمْ فِيهَا - فَبِالتَّبَعِ .
﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ.

* * *

(١) سبق تخريجه .

السادسة والستون

تَعْبُدُهُمْ بِالْمُكَاءِ وَالتَّصَدِيَةِ .

قال - تعالى - في سورة «الأنفال»: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾^(١).

تفسير هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ ﴾ ، أي: المسجد الحرام ، الذي صَدَّوْا المسلمين عنه. والتَّعْبِيرُ عنه بِالْبَيْتِ للاختصارِ مَعَ الإشارةِ إلى أَنَّهُ بَيْتُ اللَّهِ ، فينبغي أَنْ يُعْظَمَ بِالْعِبَادَةِ ، وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

﴿ إِلَّا مُكَاءً ﴾ ، أي: صَفِيرًا.

﴿ وَتَصَدِيَةً ﴾ ، أي: تَصْفِيْقًا ، وهو ضَرْبُ الْيَدِ بِالْيَدِ بِحَيْثُ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ.

والمرادُ بِالصَّلَاةِ: إمَّا الدُّعَاءُ ، أو أفعالٌ أُخَرُ كانوا يفعلونها ، ويُسمونها صلاةً ، وَحُمِلَ الْمُكَاءُ وَالتَّصَدِيَةُ عليها بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ بِأَنَّهَا لَا فائِدَةَ فِيهَا ، وَلَا معنى لها ، كَصَفِيرِ الطُّيُورِ ، وَتَصْفِيْقِ اللَّعِبِ.

وقد يُقالُ: المرادُ أَنَّهُمْ وَضَعُوا الْمُكَاءَ وَالتَّصَدِيَةَ مَوْضِعَ الصَّلَاةِ الَّتِي يَلِيقُ أَنْ تَقَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ.

(١) الأنفال: (٣٥).

يُروى أَنَّهُمْ كانوا إِذا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ ، يَخْلُطُونَ عَلَيْهِ بِالصَّغِيرِ
والتَّصْفِيقِ^(١).

وَيُروى^(٢) أَنَّهُمْ يصلون - أيضاً - .

وَيُروى أَنَّهُمْ كانوا يَطُوفُونَ عُرَاءَ: الرِّجَالِ والنِّسَاءِ مُشَبَّكِينَ بَيْنَ
أَصَابِعِهِمْ ، يُصَفِّرُونَ فِيهَا ، وَيُصَفِّقُونَ^(٣) .

وباقِي الآيَةِ معلومٌ .

والمقصودُ أَنَّ مِثْلَ هذه الأفعالِ لا تكونُ عِبَادَةً ، بَلْ مِنْ شعائرِ الجاهِلِيَّةِ .

فَمَا يَفْعَلُهُ اليَوْمَ بعضُ جهلةِ المسلمين في المساجِدِ مِنَ المُكَاءِ والتَّصَدِيقِ
يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ اللهَ ، فهو مِنْ قَبِيلِ فِعْلِ الجاهِلِيَّةِ ، وما أَحْسَنَ
ما يَقُولُ القائلُ فِيهِمْ^(٤) :

أَقَالَ اللهُ صَفَّقَ لِي وَعَنَّا وَقُلْ كُفْرًا وَسَمَّ الكُفْرَ ذِكْرًا

وقد جَعَلَ الشَّارِعُ صَوْتَ المَلاهي صَوْتَ الشَّيْطَانِ ، قال - تعالى - :
﴿ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^(٥) .

* * *

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٤١/٩) عن ابن عمر ، وذكره السيوطي في «الدر
المنثور» (١٨٣/٣) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن
أبي حاتم ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد كما في «الدر المنثور» (١٨٣/٣) .

(٢) في المطبوع «ويرون» .

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤١/٩) عن سعيد بن جبير ، وذكره السيوطي في
«الدر المنثور» (١٨٣/٣) .

(٤) القائل هو عبد الغفار الأخرس كما في «ديوانه» (ص ٣٥٨) .

(٥) الإسراء: (٦٤) .

السابعة والستون

دَعَوَاهُمْ إِلَى إِيْمَانٍ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِذَا خَرَجُوا ، خَرَجُوا بِالْكَفْرِ الَّذِي دَخَلُوا بِهِ ^(١).

* * *

(١) كما قال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة : ٦١] ، وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا الْقَوَا أَلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] ، وقال - تعالى - : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [١] اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ١ - ٣] .

وهذه حال كثير من الدعاة إلى الباطل ، حيث تجده ينخر في الإسلام مع ادعائه الحرص عليه وعلى أهله .

الثامنة والستون

دَعَاؤُهُمُ النَّاسَ إِلَى الضَّلَالِ بِغَيْرِ عِلْمٍ^(١).

* * *

(١) هذه الحال تنطبق على النصارى والأميين ، فإنهم جهال ، لا يعون شيئاً ، ومع ذلك كانوا يدعون إلى باطلهم ، ويتعصبون له ، وكأنه هو الحق ، مع أنهم ليس لهم علم بالكتاب وليس لديهم أثارة من علم ، ولئن كان النصارى قد جاءهم من ربهم على لسان نبيهم عيسى ﷺ ، فإنه لم يلبث أن حُرِّفَ وَغُيِّرَ وَبُدِّلَ . ومن هو على شاكلتهم في هذا العصر كثير ، فأنت ترى الضلال من المتصوفة ليس لهم علم بكتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ، ومع ذلك يثبون دعائهم شرقاً وغرباً لنشر باطلهم ، والدعوة إليه ، وتنفق الأموال الطائلة لأجل ذلك . وتأمل حال أهل البدع من المتكلمين من الأشاعرة المخذولين والرافضة الزنادقة الملحدين وغيرهم تجدهم متحمسين لباطلهم ، مدافعين عنه مع جهلهم بالكتاب والسنة .

التاسعة والستون

دَعَاؤُهُمُ النَّاسَ إِلَى الْكُفْرِ مَعَ الْعِلْمِ^(١).

* * *

(١) وهذه حال اليهود ، فإنهم يعلمون من كتبهم صدق نبوة النبي ﷺ ، ومع ذلك يدعون الناس إلى مخالفته والكفر به ، وتكذيبه ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] ، وقال - تعالى - : ﴿ يَتَّأْهِلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧١] ، وقال - تعالى - : ﴿ قُلْ يَتَّأْهِلِ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدِّدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ٩٩].

ومشابهوهم في عصرنا هذا كثير ، وذلك أن أغلب دعاة الضلالة يعلمون أن الحق هو ما جاء به محمد ﷺ ، ويستيقنون ذلك ، ومع ذلك الناس إلى خلافه ، ويشككونهم فيه ؛ حسداً من عند أنفسهم ، فإلى الله المشتكى ، وهو المستعان .

السبعون

الْمَكْرُ الْكُبَارُ كَفَعَلِ قَوْمِ نُوحٍ .

قال - تعالى - في سورة نوح - عليه السَّلامُ - : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كُبَرًا ۝٢٢ ﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكَ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ ﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۝٢٤﴾ (١).

ومعنى الكُبَارِ: الكبير.

والمَكْرُ الْكُبَارُ: احتيالُهُم في الدِّينِ ، وَصَدُّهُمْ لِلنَّاسِ عَنْهُ ، وَإِغْرَاؤُهُمْ وَتَحْرِيطُهُمْ عَلَى أَذِيَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَهَكَذَا فَعَلَ أَخْلَافُ هَؤُلَاءِ مِنْ مَرَدَةِ الدِّينِ وَأَتْبَاعِ الْهَوَى وَعَبْدَةِ الدُّنْيَا ، يَفْعَلُونَ مَعَ دُعَاةِ الْحَقِّ كَمَا فَعَلَ قَوْمُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ ، قَدْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، نَسَّأَلُهُ - تعالى - أَنْ يُعِيدَ رِجَالَ الْحَقِّ مِنْ كَيْدِ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْفَجَرَةِ ، وَيَصُونَهُمْ مِنْ مَكْرِهِمْ .

وَقَدْ جَرَّبَتْهُمْ فَرَأَيْتُ مِنْهُمْ خَبَائِثَ بِالْمُهَيِّمِينَ نَسْتَجِيرُ

* * *

(١) نوح: (٢٢ - ٢٤).

الحادية والسبعون

أَتَمَّتْهُمْ: إِيمًا عَالِمٌ فَاجِرٌ ، وَإِمًا عَابِدٌ جَاهِلٌ .

قال - تعالى : ﴿ أَفَنُظْمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا ءَامَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ^(١) فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ^(٢) .

فَذَكَرَ فِي الْآيَةِ أَنَّ فَرِيقًا مِنْ أَسْلَافِ الْيَهُودِ - وَهُمْ الْأَحْبَارُ - كَانُوا يَسْمَعُونَ التَّوْرَةَ وَيُؤَوَّلُونَهَا تَأْوِيلًا فَاسِدًا حَسَبَ أَغْرَاضِهِمْ ، بَلْ كَانُوا يُحَرِّفُونَهَا بِتَبْدِيلِ كَلَامٍ مِنْ تَلْقَائِهِمْ ، كَمَا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي نَعْتِهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ رَوَى أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِهِ فِيهَا أَنَّهُ أَبْيَضُ رُبْعَةً ، فَغَيَّرُوهُ بِأَسْمَرٍ طَوِيلٍ ، وَغَيَّرُوا آيَةَ الرَّجْمِ بِالتَّسْخِيمِ وَتَسْوِيدِ الْوَجْهِ ، كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ ^(٣) .

(١) قوله - سبحانه - : ﴿ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ساقط من المخطوط .

(٢) البقرة: (٧٥ - ٧٩) .

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب التوحيد - باب ما يجوز من تفسير التوراة -

(٢١٣/٨ - ٢١٤) الآية: (٦ - ٨) .

﴿وَمِنْهُمْ﴾ فريقٌ .

﴿أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ إِلَّا بِالذَّعَاوَى الكاذبةِ ، والمرادُ بِهِمْ
جَهْلَةٌ مُقْلِدَةٌ ، لا إدراكَ لَهُمْ .

وَتَمَامُ الكلامِ في هذا المَقَامِ يُطْلَبُ مِنَ التَّفْسِيرِ .

والمقصودُ أَنَّ تحريفَ الكلامِ ، واتباعَ الهوى ، والقولَ على اللهِ مِنْ غَيْرِ
عِلْمٍ مِنْ خِصَالِ الجاهليَّةِ .

وَأَنْتَ تَعْلَمُ حَالِ أَحْبَارِ السُّوءِ اليَوْمَ والرُّهْبَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ على اللهِ
ما لا يُعْلَمُ قد تَجَاوَزُوا الحَدَّ في اتِّبَاعِ الهوى وَتَأْوِيلِ النُّصُوصِ وما أَشْبَهَ
ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَحْيِي مِنْهُ الإِسْلَامُ ، والأمرُ لله .

* * *

الثانية والسبعون

زَعَمُوهُمْ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ .

دليلُ هذه المسألة قوله - تعالى - في سورة «الجمعة»: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا﴾^(١) ، أي: تَهَوَّدُوا ، أي: صاروا يهوداً.

﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ ، أي: أَحِبَّاءُ لَهُ - سبحانه - ، وَلَمْ يُضِفْ ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ إِلَيْهِ - تعالى - كما في قوله - سبحانه -: ﴿أَلَا إِنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ﴾^(٢) ؛ لِيُؤْذَنَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ مُدَّعِي الْوَلَايَةِ وَمَنْ يَخْصُهُ بِهَا .

﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ أي: مُتَجَاوِزِينَ عَنِ النَّاسِ .

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ ، أي: فَتَمَنَّوْا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُمِيتَكُمْ وَيَقْلَبَكُمْ مِنْ دَارِ الْبَلِيَّةِ إِلَى مَحَلِّ الْكَرَامَةِ .

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زَعْمِكُمْ ، وَاثْقِينَ بِأَنَّهُ حَقٌّ ، فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَقْنَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّصَ إِلَيْهَا مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي هِيَ قُرَارَةُ الْإِنْكَادِ^(٣) وَالْأَكْدَارِ .

وَأَمْرٌ لِلَّهِ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ ذَلِكَ إِظْهَاراً لِكَذِبِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ : ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ﴾^(٤) ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ الْآخِرَةَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ،

(١) الجمعة: (٦) .

(٢) يونس: (٦٢) .

(٣) في المطبوع «الإنكار» .

(٤) المائدة: (١٨) .

ويقولون: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾؛ كما أخبر - تعالى - عن الكتابيين في كتابه ، فقال - جل شأنه - : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ آمَانِيُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ كَتَبَتْ يَهُودُ الْمَدِينَةِ لِيَهُودِ خَيْبَرَ: إِنْ اتَّبَعْتُمْ مُحَمَّدًا أَطْعَمَاهُ ، وَإِنْ خَالَفْتُمُوهُ خَالَفْنَاهُ ، فقالوا: نحنُ أبناءُ خليلِ الرحمن ، ومنا عزيزُ ابنِ اللهِ والأنبياء ، ومتى كانتِ النبوةُ في العرب؟! نحنُ أحقُّ بها من محمدٍ ، ولا سَبِيلَ إِلَى اتِّبَاعِهِ ، فَتَزَلَّتْ: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية^(٢).

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾: إخبارٌ بحالهم المستقبل ، وهو عدمُ تمنِّيهم الموت ، وذلك خاصٌّ بأولئك المخاطبين.

وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا غَصَّ بَرِيْقِهِ»^(٣) ، فَلَمْ يَتَمَنَّهْ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وما ذلك إِلَّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَوْقِنِينَ بِصَدَقِهِ ﷺ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ تَمَنَّوْا لَمَاتُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ ، وَلَحِقَهُمُ الْوَعِيدُ ، وهذه إحدى الْمُعْجَزَاتِ.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ، أَي: بِسَبَبِهِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ: انْتَقَى تَمَنِّيهِمْ بِسَبَبِ مَا قَدَّمَتْ ، وَالْمُرَادُ بِمَا قَدَّمَتْهُ أَيْدِيهِمْ: الْكُفْرُ وَالْمَعَاصِي الْمَوْجِبَةُ لِدُخُولِ

(١) البقرة: (١١١ - ١١٢).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢٦٧/٧) ولم يعزه.

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧٤/٦) ، وأخرجه البخاري في «صحيحه» ، ومسلم في «صحيحه» عن ابن عباس بلفظ: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار».

النَّارِ ، وَلَمَّا كَانَتْ الْيَدُ مِنْ بَيْنِ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ مَنَاطَ عَامَّةِ أَعْمَالِهِ ، عَبَّرَ بِهَا تَارَةً عَنِ النَّفْسِ وَأُخْرَى عَنِ الْقُدْرَةِ .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ، أَي: بِهِمْ ، وَإِثَارُ الْإِظْهَارِ عَلَى الْإِضْمَارِ لِذَمِّهِمْ وَالتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ فِي كُلِّ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا ادِّعَاءُ مَا هُمْ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ ، أَي: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ فُنُونِ الظُّلْمِ وَالْمَعَاصِي ، وَبِمَا سَيَكُونُ مِنْهُمْ ، فَيُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ .

﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلْذَى تَفَرُّونَ مِنْهُ﴾ وَلَا تَجْسُرُونَ عَلَى أَنْ تَمْنُوهُ مَخَافَةً أَنْ تُوْخَذُوا بِوَبَالِ أَعْمَالِكُمْ .

﴿فَإِنَّهُمْ مُلْقِيكُمْ﴾ أَلَبَّتْ ، مِنْ غَيْرِ صَارِفٍ يَلُوبِهِ ، وَلَا عَاطِفٍ يَتْنِيهِ .

﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ .

﴿فَيَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي بِأَنْ يُجَازِيَكُمْ بِهَا .

وَهَذَا دَيْدَنُ الزَّائِعِينَ ، وَشَأْنُ الْمَلْحِدِينَ ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى - عَنْ الْيَهُودِ :

﴿نَحْنُ أُنَبِّئُكَ أَنَّ اللَّهَ وَاحِبٌ لَكُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾^(١) .

وَقَدْ وَرِثَ هَذِهِ الْخَصْلَةَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْتَمِي إِلَى الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بَلْ كُلُّ

مِنَ الْفَرَقِ يَقُولُ^(٢) : نَحْنُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِ الْفَرَقِ فِي بَيَانِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ : «وَهُمْ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٣) .

* * *

(١) المائدة : (١٨) .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ : «مَنْ يَقُولُ» .

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ .

الثالثة والسبعون

دَعَوَاهُمْ مَحَبَّةَ اللَّهِ مَعَ تَرْكِ شَرْعِهِ ، فَطَالَبَهُمْ - سُبْحَانَهُ - بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ
«آل عمران»: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

قال الحسن (٢) وابن جريج (٣): «زَعَمَ أَقْوَامٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى -
هذه الآية».

وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «وَقَفَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَرِيشٍ فِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَقَدْ نَصَبُوا أَصْنَامَهُمْ ، وَعَلَّقُوا عَلَيْهَا بَيْضَ النَّعَامِ ،
وَجَعَلُوا فِي آذَانِهَا الشُّنُوفَ» (٤) ، وَهُمْ يَسْجُدُونَ لَهَا ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ
قَرِيشٍ ، لَقَدْ خَالَفْتُمْ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَلَقَدْ كَانَا عَلَى
الْإِسْلَامِ» ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّمَا نَعْبُدُ هَذِهِ حُبًّا لِلَّهِ؛ لِتَقَرَّبْنَا إِلَى اللَّهِ

(١) آل عمران: (٣١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»
(١٧/ ٢) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٤) جاء في حاشية المخطوط: «الشنوف - محرقة بالضم -: القرط الأعلى ، أو معلق
في قوف الأذن ، أو ما علق في أعلاها. وأما ما علق في أسفلها فقرط ، جمعه
شنوف».

زُلْفَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ... ﴾ إلخ^(١) .

وفي رواية أبي صالح أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ ﴾^(٢) أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ عَرَضَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْيَهُودِ ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوهَا^(٣) .

وَرَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : « نَزَلَتْ فِي نَصَارَى نَجْرَانَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا نُعَظِّمُ الْمَسِيحَ ، نَعْبُدُهُ حُبًّا لِلَّهِ ، وَتَعْظِيمًا لَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - هَذِهِ الْآيَةَ رَدًّا عَلَيْهِمْ »^(٤) .

وَبِالْجُمْلَةِ : مَنْ تَلَبَّسَ بِالْمَعَاصِي لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدَّعِيَ مَحَبَّةَ اللَّهِ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا لَعْمَرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ^(٥)

* * *

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢٩٣/١) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٧٣/١) .

(٢) المائدة : (١٨) .

(٣) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٧٣/١) .

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣٣/٣) بنحوه .

(٥) هذان البيتان ينسبان إلى الإمام الشافعي ، وهما في «ديوانه» (ص ٥٨) .

الرابعة والسبعون

تَمْنِيهِمْ عَلَى اللَّهِ - تعالى - الأمانِي الكاذِبَة .

قال - تعالى - في سورة «آل عمران»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرُيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسْكَنَ أَلْتَارَ إِلَّا آيَاتًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّمُوا فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَقْتِرُونَ﴾^(١).

أخرج ابنُ إسحاقَ وجماعةٌ عن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ الْمَدْرَاسِ^(٢) عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ يَهُودَ ، فدعاهم إلى الله - تعالى - ، فقال التُّعْمَانُ بْنُ عَمْرٍو والحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ: على أَيِّ دِينٍ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ؟ قال: «على مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ» ، قالوا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا ، فقال لهما رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلُمَّا إِلَى التَّوَارَةِ ، فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، فَأَيُّنَا^(٣) عَلَيْهِ» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى - هذه الآية^(٤) .

وفي الْبَحْرِ: «زَنَى رَجُلٌ مِّنَ الْيَهُودِ بِامْرَأَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي دِينِنَا

(١) آل عمران: (٢٤) .

(٢) بيت المدراس: البيت الذي يدرس فيه اليهود .

انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١١٣/٢) «لسان العرب» مادة درس (٦/١٨٠) .

(٣) في «تفسير ابن أبي حاتم» «فأَيُّنا عليه» .

(٤) أخرجه ابن إسحاق ، وابن جرير في «تفسيره» (٢١٧/٣٢٢ - ٢١٨) ، وابن أبي

حاتم في «تفسيره» (١٦٦/٢) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/٢) وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

الرَّجْمُ ، فَتَحَاكَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ تَخْفِيفاً عَلَى الزَّانِئِينَ لِشَرَفِهِمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّمَا أَحْكَمُ بِكِتَابِكُمْ» ، فَأَنْكَرُوا الرَّجْمَ ، فَجِيءَ بِالتَّوْرَةِ ، فَوَضَعَ حَبْرُهُمْ^(١) ابْنُ صُورِيَا يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : جَاوَزَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَظْهَرَهَا ، فَرَجِمَا ، فَعَصَبَتِ الْيَهُودُ ، فَزَلَّتْ^(٢) .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ ، أَيُ : الْمَذْكُورُ مِنَ التَّوَلَّى وَالْإِعْرَاضِ حَاصِلٌ لَهُمْ بِسَبَبِ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي رَسَخَ اعْتِقَادُهُمْ بِهِ^(٣) ، وَهَوَّنُوا بِهِ الْخُطُوبَ ، وَلَمْ يُبَالُوا مَعَهُ بِازْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ .

وَالْمُرَادُ بِالْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ : أَيَّامُ عِبَادَتِهِمْ الْعِجَلِ .

﴿ وَغَرَّمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ، أَيُ : غَرَّمْ افْتِرَاؤُهُمْ وَكَذِبُهُمْ ، أَوْ الَّذِي كَانُوا يَفْتَرُونَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ ﴾ ، أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ﴾ ، أَوْ مِمَّا يَشْمَلُ ذَلِكَ وَنَحْوَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : إِنَّ آبَاءَنَا الْأَنْبِيَاءَ يَشْفَعُونَ لَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - وَعَدَ يَعْقُوبَ أَنْ لَا يُعَذَّبَ أَبْنَاءَهُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ^(٤) ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ - سُبْحَانَهُ - بِقَوْلِهِ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ . . . ﴾ إلخ .

رُوي أَنَّ أَوَّلَ رَايَةٍ تُرْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ مِنْ رَايَاتِ الْكُفَّارِ رَايَةُ الْيَهُودِ ،

(١) فِي الْمَطْبُوعِ «جَرَهُمْ» .

(٢) «البحر المحيط» (٤١٦/٢) ، وَنَسَبَهُ أَبُو حَيَّانَ إِلَى الْكَلْبِيِّ ، وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٨٩/١) ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «زَادَ الْمَسِيرَ» (٣٦٦/١) ، وَنَسَبَاهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٣) فِي الْمَخْطُوطِ «لَهُ» .

(٤) انْظُرْ : «تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ» (٢١٩/٣) .

فَيَفْضَحُهُمُ اللَّهُ - تعالى - على رؤوس الأشهاد ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِمُ إِلَى النَّارِ ^(١) .

وهكذا رأينا كثيراً من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات ، اعتماداً على الشفاعة ، أو على علو الحسب وشرف النسب ، والله المستعان .

وفي سورة البقرة : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَنْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٨) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ قَدْ أَتَتْكَ آصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ^(٩) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ^(١٠) ^(٣) .

* * *

(١) «روح المعاني» (٣/ ١١١ - ١١٢) .

(٢) من قوله - تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلى آخر الآية ليس في المطبوع .

(٣) البقرة : (٨٠ - ٨٢) .

الخامسة والسبعون

اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ .

هذه الْمَسْأَلَةُ مِنْ خِصَالِ الْكِتَابِيِّينَ أَيَّامَ جَاهِلِيَّتِهِمْ .

وفي ذلك ورد الحديث الصَّحِيحُ : «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١) ، ثم قال : «فَلَا تَتَّخِذُوهَا مَسَاجِدَ» .

وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٢) .

وفي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ : «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» .

وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ : - وَهُوَ كَذَلِكَ - : «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الجنائز - باب ما جاء في قبر النبي ﷺ - (٢٠٦/٢) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد - (٣٧٧/١) ح ٥٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الصلاة - باب - (١١٢/١ - ١١٣) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . (٣٧٦/١ - ٣٧٧) ح ٥٣٠ .

اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»^(١) .

وفي الصَّحِيحِينَ - أيضاً - عن عائشة أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ وَأُمَّ حَبِيبَةَ ذَكَرَتَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يَقَالُ لَهَا : «مَارِيَّةُ» ، وَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى وَسَلَّمَ : «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوْرَ ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(٢) .

وعن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ : «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَخَذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» ، رواه أهلُ السُّنَنِ الأربعة^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد - (١١٠/١ - ١١١) وباب الصلاة في البيعة - (١١٢/١) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . (٣٧٧/١) ح ٥٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية . . . (١١٠/١ - ١١١) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . (٣٧٧/١) ح ٥٣٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» - كتاب الجنائز - باب في زيارة النساء القبور - (٥٥٨/٣) ح ٣٢٣٦ ، والنسائي في «السنن الكبرى» - كتاب الجنائز - باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور - (٦٥٧/١) ح ٢١٧٠ ، وفي المجتبى - كتاب الجنائز - باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور - (٩٥/٤ - ٩٦) ، والترمذي في «جامعه» - أبواب الصلوات - باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً - (١٣٦/٢ - ١٣٧) ح ٣٢٠ ، والطيالسي في «مسنده» (ص ٣٥٧) ح ٢٧٣٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الجنائز - باب من كره زيارة القبور - (٣/٣٤٤) ، وأحمد في «مسنده» (١/٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧) ، وابن حبان في «صحيحه» (الموارد) - كتاب الجنائز - باب زيارة القبور - (ص ٢٠٠) ح ٧٨٨ ، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/١٤٨) ح ١٢٧٢٥ ، والحاكم في «المستدرک» - كتاب =

فهذا التحذير منه ، واللعن عن مُشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد
على قبر الرَّجلِ الصَّالحِ صريحٌ في التَّهْيِ عن المُشابهةِ .

وفي هذا دليلٌ على الحذرِ عن جنسِ أعمالِهِمْ ، حيثُ لا يؤمنُ في سائرِ
أعمالِهِمْ أن يكونَ من هذا الجنسِ .

ثمَّ من المعلومِ ما قد ابْتُليَ بِهِ كثيرٌ من هذه الأُمَّةِ من بناءِ القبورِ مساجدَ ،
واتِّخاذِ القبورِ مساجدَ بلا بناءٍ ، وَكِلَا الأمرينِ مُحَرَّمٌ ، ملعونٌ فاعلهُ
بالمستفيضِ من السُّنَّةِ ، وليس هذا موضعَ استقصاءٍ ما في ذلكَ من سائرِ
الأحاديثِ والآثارِ ، ولهذا كان السَّلَفُ يُبالِغونَ في المنعِ .

* * *

= الجنائز - (٣٧٤/١) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» - كتاب الجنائز - باب ما ورد
في نهْيِ النساءِ عن زيارة القبور - (٧٨/٤) ، والخطيب في «تاريخ بغداد»
(٧٠/٨ - ٧١) ، والبغوي في «شرح السنة» - كتاب الصلاة - باب كراهية أن يتخذ
القبر مسجداً - (٤١٦/٢ - ٤١٧) ح ٥١٠ .

وقد حسن هذا الحديث الترمذي في «جامعه» ، والبغوي ، والسيوطي في «الأمر
بالاتباع والنهي عن الابتداع» (ص ١١٣) وأحمد شاکر في «تعليقه على سنن
الترمذي» ، وصححه في «شرح المسند» (٣٢٣/١) .

وقال الحاكم : «أبو صالح [أحد رجال الإسناد] هذا ليس بالسَّمان المحتج به ، إنما
هو باذان ، ولم يحتج به الشيخان ، لكنه حديث متداول بين الأئمة ، ووجدت له
متابعاً من حديث سفيان الثوري في متن الحديث ، فخرجته» .

وقال الذهبي في «تخليصه» : «أبو صالح هو باذان ، ولم يحتج به» .

السادسة والسبعون

اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد .

كَمَا وَرَدَ عَنْ عَمَرَ - رضي الله عنه - فَإِنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ - أَيْضاً - مِنْ يَدَعِ
جَاهِلِيَّةِ الْكِتَابِيِّينَ ، كَانُوا يَتَّخِذُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، فَوَرِثَهُمُ الْجَاهِلُونَ
مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَتَرَاهُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَى مَوْضِعِ اخْتَفَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ وَصَلَ قَدَمُهُ الْمُبَارَكُ إِلَيْهِ ، أَوْ تَعَبَّدَ فِيهِ ، وَهَذَا لَيْسَ مِمَّا
يُحْمَدُ فِي الشَّرِيعَةِ ؛ لِجَرِّهِ إِلَى الْغُلُوِّ .

وَفِي الْعِرَاقِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ بَنَوْا عَلَيْهَا مَبَانِيَ ، كَالْمَقَامِ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّ
الشَّيْخَ الْكِلَانِيَّ تَعَبَّدَ فِيهِ ، وَكَأَثَرِ الْكَفِّ الَّذِي زَعَمَ الشَّيْعَةُ أَنَّهُ أَثَرُ كَفِّ الْإِمَامِ
عَلَيْ لَمَّا وَضَعَهُ عَلَى الصَّخْرَةِ فَأَثَرٌ فِيهَا ، فَبَنَوْا عَلَيْهَا مَسْجِداً ، وَكَعِدَّةِ أَمَاكِنَ
زَعَمُوا أَنَّ الْخَضِرَ رُؤِيَ فِيهَا ، وَلَا أَصْلَ لَهُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَسْتَوْعِبُهُ
الْمَقَامُ .

فَيَنْبَغِي لِمَنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ أَنْ يَتَجَنَّبَهَا ، وَيَنْهَى عَنْ حُضُورِهَا ، وَإِنْ
رُمِيَ بِالْإِنْكَارِ ، وَعَدَاوَةِ الْأَشْرَارِ ، وَكَيْدِ الْمَارْقِينَ الْفُجَّارِ .

وَفِي الْمَسْأَلَةِ تَفْصِيلٌ لَا بَأْسَ بِذِكْرِهِ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : «فَأَمَّا^(١) مَقَامَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ - وَهِيَ الْأَمْكَنَةُ
الَّتِي قَامُوا فِيهَا أَوْ أَقَامُوا ، أَوْ عَبَدُوا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوهَا
مَسَاجِدَ - فَالَّذِي بَلَّغَنِي فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَشْهُورَانِ :

(١) فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ «أَمَّا» وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْاِقْتِضَاءِ .

أَحَدُهُمَا: النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ ، وَكَرَاهَتُهُ ، وَأَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ قَصْدُ بُقْعَةٍ لِلْعِبَادَةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَصْدُهَا لِلْعِبَادَةِ مِمَّا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصْدُهَا لِلْعِبَادَةِ ، كَمَا قَصَدَ الصَّلَاةَ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ، وَكَمَا كَانَ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَ الْإِسْطَوَانَةِ^(١) ، وَكَمَا تُقَصَّدُ الْمَسَاجِدُ لِلصَّلَاةِ ، وَيُقَصَّدُ الصَّفُّ الْأَوَّلُ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالْيَسِيرِ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا نُقِلَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّى قَصْدَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي سَلَكَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [قَدْ]^(٢) سَلَكَهَا اتِّفَاقًا لَا قَصْدًا .

وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الرَّجُلِ يَأْتِي هَذِهِ الْمَشَاهِدَ ، وَيَذْهَبُ إِلَيْهَا ، تَرَى ذَلِكَ^(٣) قَالَ: أَمَّا عَلَى حَدِيثِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى يَتَّخِذَ ذَلِكَ مُصَلًى^(٤) ، وَعَلَى مَا كَانَ يَفْعَلُهُ ابْنُ عُمَرَ ، يَتَّبِعُ مَوَاضِعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَثَرَهُ ، فَلَيْسَ بِذَلِكَ بَأْسٌ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْمَشَاهِدَ ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ قَدْ أَفْرَطُوا فِي هَذَا جَدًّا ، وَأَكْثَرُوا فِيهِ .

وَكَذَلِكَ نُقِلَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَأْتِي هَذِهِ الْمَشَاهِدَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ الصَّلَاةِ إِلَى الْإِسْطَوَانَةِ - (١٢٧/١) مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْاِقْتِضَاءِ .

(٣) الَّذِي فِي الْاِقْتِضَاءِ: «قَالَ سَنَدِي الْخَوَاتِمِيُّ: سَأَلْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الرَّجُلِ يَأْتِي هَذِهِ الْمَشَاهِدَ ، وَيَذْهَبُ إِلَيْهَا ، تَرَى ذَلِكَ؟» .

(٤) لَمْ أَجِدْهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَإِنَّمَا وَجَدْتُهُ مِنْ حَدِيثِ عَتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ - (١٠٩/١) ، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ - بَابُ الرُّخْصَةِ عَنِ التَّخْلُفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ - بَعْدَرُ - (٤٥٥/١) .

التي بالمدينة وغيرها يذهب إليها؟ فقال: أمّا على حديث ابن أم مكتوم أنّه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتيه فيصلي في بيته ، حتّى يتّخذ مسجداً ، وعلى ما كان يفعل ابن عمر ، كان يتّبع مواضع سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، حتّى إنّهُ رُوِيَ يَصُبُّ^(١) في موضع ماء ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ ههنا^(٢) ماء»^(٣) ، قال: أمّا على هذا فلا بأس. قال: وَرَخَّصَ فيه ، ثُمَّ قَالَ: وَلَكِنْ قَدْ أَفْرَطَ النَّاسُ جِدًّا ، وَأَكْثَرُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى. فَذَكَرَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ وَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ عِنْدَهُ. رواهما الخلّال في «كتاب الأدب».

فقد فَصَّلَ أبو عبد الله في المَشَاهِدِ - وهي الأمكنة التي فيه آثارُ الأنبياء والصّالحين من غير أن تكون مساجدَ لهم كمواضع بالمدينة - بَيْنَ القليل الذي لا يَتَّخِذُونَهُ عيداً ، والكثير^(٤) الذي يَتَّخِذُونَهُ عيداً كما تقدّم.

وهذا التّفصيلُ جَمَعَ فيه بَيْنَ الآثارِ وأقوالِ الصّحابة:

فإنّه قد رَوَى البخاري في صحيحه عن موسى بن عقبة قال: «رَأَيْتُ سالم^(٥) بن عبد الله يَتَحَرَّى أَمَاكِنَ مِنَ الطَّرِيقِ ، وَيُصَلِّي فِيهَا ، وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُصَلِّي فِيهَا ، وَأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَمْكَنَةِ»^(٦).

-
- (١) في «الاقضاء» «حتي رثي أنه يصب» .
(٢) في المخطوط والمطبوع «هنا» ، وما أثبتته من «الاقضاء» .
(٣) ذكر هذا الأثر ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢٣٧/٣) ، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢١٣/٣) .
(٤) في المطبوع «أو الكثير» ، وما أثبتته هو الموافق لما في «الاقضاء» .
(٥) في المطبوع «سالمًا» .
(٦) «صحيح البخاري» - كتاب الصلاة - باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ - (٨٩/١) .

فهذا كما رخص الإمام أحمدُ.

وأما كراهته^(١) ، فروى سعيدُ بنُ منصورٍ في سننه قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَهُ فِي حَجَّةٍ حَجَّهَا ، فَقَرَأَ بِنَا فِي الْفَجْرِ بِ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلَّ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(٢) و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣) فِي الثَّانِيَةِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ حَجَّتِهِ رَأَى النَّاسَ ابْتَدَرُوا الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: مَسْجِدُ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ، فَقَالَ: «هَكَذَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ ، اتَّخَذُوا آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ يَبْعًا ، مَنْ عَرَضَتْ لَهُ مِنْكُمْ الصَّلَاةُ فِيهِ فَلْيُصَلِّ ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِضْ لَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَمْضِ»^(٤)»^(٥).

فَقَدْ كَرِهَ عُمَرُ اتِّخَاذَ مُصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِيدًا ، وَبَيَّنَّ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّمَا هَلَكُوا بِمِثْلِ هَذَا ، كَانُوا يَتَّبِعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ ، وَيَتَّخِذُونَهَا كُنَائِسَ وَيَبْعًا.

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ وَغَيْرُهُ: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَمَرَ بِقَطْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي بُوِيعَ تَحْتَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ النَّاسَ

(١) فِي «الْاِقْتِضَاءِ»: «وَأَمَّا مَا كَرِهَهُ».

(٢) الْفِيلُ: (١).

(٣) قَرِيشُ: (١).

(٤) فِي «الْاِقْتِضَاءِ» «فَلْيَمْضِ وَلَا يَتَعَمَّدهَا».

(٥) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْأَثَرَ فِي الْمَطْبُوعِ مِنْ سَنَنِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ

فِي مَصْنُفِهِ - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ الصَّلَاةِ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِتْيَانِهِ - (٣٧٦/٢ -

٣٧٧) ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مَصْنُفِهِ» - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ مَا يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ فِي

السَّفَرِ - (١١٨/١ - ١١٩) ح ٢٧٣٤ ، وَابْنُ وَضَّاحٍ فِي «الْبَدْعِ وَالنَّهْيِ عَنْهَا» (ص ٤١ -

٤٢) ، وَصَحَّحَ شَيْخُ الْإِسْلَامُ إِسْنَادَهُ فِي «التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ» (ص ١٠٢).

كانوا يذهبون تحتها ، فخافَ عمرُ الفتنَةَ عليهم^(١)»^(٢) .

وَمَا ذَكَرَهُ عُمَرُ هُوَ الْحَرِيُّ بِالْقَبُولِ ، وهو مذهبُ جُمهورِ الصَّحابةِ ، غيرَ
ابنِهِ^(٣) ، وهو الذي يَجِبُ العملُ به ، وَيُعَوَّلُ عليه .

* * *

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٠٠) ، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٤٢ - ٤٣) .

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٤٢ - ٧٤٤) .

(٣) الظاهر من حال ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أنه إنما أراد بفعله ذلك الاقتداء لا التبرك ، بدليل ما ذكره أهل العلم من تشدده في الاقتداء به ﷺ ، حتى قال نافع فيما أخرجه عنه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٠) : «لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله ﷺ لقلت : هذا مجنون» .

المسألة^(١) السابعة والسبعون

اتَّخَذُ السُّرُجَ عَلَى الْقُبُورِ .

دَلِيلُ حُرْمَةِ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
الْحَدِيثِ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ لَعْنِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ .

وَلَيْتَكَ رَأَيْتَ مَا يُوقَدُ فِي تَرْبِ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَنَحْوِهَا مِنَ الشُّمُوعِ ،
وَلَا سِيَّمَا فِي لَيَالِي رَمَضَانَ وَاللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا^(٢) .

* * *

(١) «المسألة» ليست في المطبوع .

(٢) ذكره الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى - في كتابه «السنة والشيعه أو
الرافضة والوهابية» أنه رأى من وسائل الإنارة على قبور الروافض - أذلهم الله
وأخزاهم - ما يكفي لتنوير مدينة عظيمة .

الثامنة والسبعون

اتَّخَاذُهَا أَعْيَاداً^(١)

اعْلَمْ أَنَّ الْعِيدَ اسْمٌ لِمَا يَعُودُ مِنَ الْجَمَاعِ الْعَامِّ عَلَى وَجْهِ مُعْتَادٍ عَائِداً
مَا تَعُودُ السَّنَةُ أَوْ يَعُودُ الْأُسْبُوعُ أَوْ الشَّهْرُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، فَالْعِيدُ يَجْمَعُ أُمُوراً :

مِنْهَا : يَوْمٌ عَائِدٌ ، كَيَوْمِ الْفِطْرِ ، وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ .

وَمِنْهَا : اجْتِمَاعٌ فِيهِ .

وَمِنْهَا : أَعْمَالٌ تَجْمَعُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ أَوْ الْعَادَاتِ .

وَقَدْ يَخْتَصُّ الْعِيدُ بِمَكَانٍ بَعِيْنِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ مُطْلَقاً .

هَؤُلَاءِ مُسْلِمُو أَهْلِ الْعِرَاقِ ، لِكُلِّ تُرْبَةٍ وَلِيٍّ يَوْمٌ مَخْصُوصٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ
لِلزِّيَارَةِ ، كَزِيَارَةِ الْغَدِيرِ ، وَمَرَدِّ الرَّأْسِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ خُصَّ لَهُ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ ، فَالْجُمُعَةُ لِفُلَانٍ ، وَالسَّبْتُ
لِفُلَانٍ^(٢) ، وَالثَّلَاثَاءُ لِفُلَانٍ ، وَهَكَذَا .

وَمِنْ ذَلِكَ بَعْضُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ ، كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَأَيَّامِ

(١) انظر بتوسع في هذه المسألة: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٦١٣/٢) وما بعدها ،

«إغاثة اللفهان» (١٩٠/١) وما بعدها .

(٢) «والسبت لفلان» ساقط من المطبوع .

الأعيادِ ، وَلَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كُلِّ ذَلِكَ ^(١) مِمَّا لَمْ يُنْزَلِ
اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ، وَمِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ ^(٢) .

* * *

(١) «كل ذلك» ساقط من المطبوع .

(٢) «ومن مكاييد الشيطان» ساقط من المطبوع .

التاسعة والسبعون

الذَّبْحُ عِنْدَ الْقُبُورِ .

قال الله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) لَا شَرِيكَ لَّهُ وَلِيَذَّلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

أَمَرُهُ اللهُ - تعالى - أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ ، أَيُّ : أَنَّهُ أَخْلَصَ اللهُ صَلَاتَهُ وَذَبِيحَتَهُ ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا ، فَأَمَرُهُ اللهُ - تعالى - بِمُخَالَفَتِهِمْ ، وَالانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ ، وَالانْقِيَادِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ - تعالى - ، فَمَنْ تَقَرَّبَ لغيرِ اللهِ - تعالى - لِيَدْفَعَ عَنْهُ ضَيْرًا ، أَوْ يَجْلِبَ لَهُ خَيْرًا ، تَعْظِيمًا لَهُ ، مِنْ الْكُفْرِ الْعِتْقَادِيِّ وَالشُّرْكِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ .

وسببُ مشروعِيَّةِ التَّسْمِيَةِ تَخْصِيصُ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ الْمَعْبُودِ الْعَلَامِ ، فَإِذَا قُصِدَ بِالذَّبْحِ غَيْرُهُ ، كَانَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ .

وَصَحَّ نَهْيُهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنِ اسْتَأْذَنَهُ بِالذَّبْحِ بِبُؤَانَةٍ ، وَأَنَّهُ قَدْ نَذَرَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكَانَ فِيهَا صَنَمٌ ؟ » ، قَالَ : « لَا » ، قَالَ : « فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِ الْمُشْرِكِينَ ؟ » ،

(١) الأنعام : (١٦٢ - ١٦٣) .

قال: «لا» ، قال: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ». أخرج ذلك أبو داود في سُنَنِهِ^(١).

وهذا السَّائِلُ مُوَحِّدٌ مُقَرَّبٌ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَخَدَهُ ، لِكِنِ الْمَكَانَ الذي فيه معبودٌ غيرُ اللهِ ، وقد عُدِمَ ، أو مَحَلٌّ لاجْتِمَاعِهِمْ يَصْلُحُ مانِعاً ، فَلَمَّا عَلِمَ صلى الله تعالى عليه وسلم أن ليسَ هناك شيءٌ من ذلك ، أجازَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ شيئاً مِمَّا سألَ عنه ، لَمَنَعَهُ ، صِيَانَةً لِحِمَى التَّوْحِيدِ ، وَقَطْعاً لَذَرِيعَةِ الشِّرْكِ.

وَصَحَّ - أيضاً - عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» ، قالوا: «كيف ذلك يا رسول الله؟!»، قال: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنْمٌ لَا يُجَاوِزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يَقْرَبَ لَهُ شَيْئاً ، قالوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَاباً ، فَقَرَّبَ ذُبَاباً ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، وقالوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ ، قال: ما كنتُ أَقْرَبُ شيئاً لِأَحَدٍ دُونَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ؛ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

ففي هذا الحديث من الفوائد: كَوْنُ الْمُقَرَّبِ دَخَلَ النَّارَ بِالسَّبَبِ الذي لم يَقْصِدْهُ ، بل فَعَلَهُ تَخَلُّصاً مِنْ شَرِّهِمْ ، وَأَنَّهُ كَانَ مُسْلِماً ، وَإِلَّا لَمْ يَقْلُ: دَخَلَ النَّارَ.

(١) كتاب الإيمان والنذور - باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر - (٦٠٧/٣) ح ٣٣١٣ ، والبيهقي في «السنن الكبرى» - كتاب النذور - باب من نذر أن ينحر بغيرها [مكة] ليتصدق - (٨٣/١٠) ، والطبراني في «الكبير» (٧٥/٢) ح ١٣٤١ ، وصححه الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١٨٠/٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» - كتاب الجهاد - باب ما قالوا في المشركين يدعون المسلمين إلى غير ما ينبغي يجيبونهم أم لا ويكرهون عليه - (٣٥٨/١٢) ، وأحمد في «الزهد» (ص ٢٢) ، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٠٣/١) موقوفاً على سلمان الفارسي ، ولم أجده مرفوعاً ، غير أنه لا يمكن أن يقال بالرأي ، فله حكم الرفع.

وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب التي هي المقصود الأعظم
والركن الأكبر.

فتأمل في ذلك ، وانظر إلى فؤادك في جميع ما قالوه ، وألقِ سمعَكَ
لما ذكروه ، وانظر الحق ، فإنَّ الحقَّ أبلجُّ والباطلُ لجلجُّ ، فبالنَّظر التَّامِّ
إلى ما كان عليه المشركون من تقريبيهم^(١) لأوثانهم ؛ لِتَقَرَّبَهُمْ^(٢) إلى الله ؛
لِكونِهِمْ شُفَعَاءَ لَهُمْ عند الله ، وشفاعتُهُمْ بسبب أنَّهم رُسُلُ الله أو ملائكةُ الله
أو أولياءُ الله ، يتبينُ لك ما عليه النَّاسُ الآنَ ، واللهُ المستعانُ .

* * *

(١) في المطبوع : «من تقريبيهم» .

(٢) في المطبوع : «لتقريبهم» .

الثمانون

التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الْمُعَظَّمِينَ ، كَدَارِ النَّدْوَةِ^(١) ، وافتخارُ مَنْ كانت تحت يدهِ
بذلك ، كما قيلَ لحكيم بنِ حزامٍ : بعتَ مَكْرُمَةَ قريشٍ؟! فقال : «ذهب^(٢)
المكارمُ إِلَّا التَّقْوَى»^(٣).

هذه الخصلةُ قد امتدَّت عروقُ ضلالِها في أوديةِ قلوبِ جَهْلَةٍ
المُسْلِمِينَ ، وزادوا في الغُلُوِّ بها على ما كانَ عَلَيْهِ جاهِلِيَّةُ العربِ
والكِتَابِيَّةِ.

ولا بدَّعَ من حكيم بن حزامِ القريشيِّ الأَسَدِيِّ إذا ما ردَّ على مَنْ قال له :

(١) دار الندوة: دار بناها قصي بن كلاب ، وكانت قريش تأتمر فيها ، حيث كانوا
يتيامنون بأمره ، «فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون في
أمر نزل بهم ، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره ، يعقد لهم بعض
ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره ، يشق عليها من
درعها ، ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها ، فكان أمره في قومه من قريش في
حياته ومن بعد موته كالدين المتبع».

«مختصر سيرة ابن إسحاق» لابن هشام (١٢٥/١) ، وانظر: «تاريخ مكة» للأزرقي
(٢/٢٥٢-٢٥٣) ، «أخبار مكة» للفاكهي (٣/٣١٠-٣١١) ، «المنقذ في أخبار
قريش» لابن حبيب (ص ٣٢-٣٤) ، «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار
(١/٣٥٤).

(٢) في المخطوط «ذهب».

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/١٨٦) ح ٣٠٧٣ ، قال الهيثمي في
«معجم الزوائد» (٩/٣٨٤): «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن».

بَعَتْ مَكْرُمَةً قَرِيشٍ؛ وقد باعها مِنْ مُعَاوِيَةَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ: «ذَهَبَتْ
الْمَكَارِمُ إِلَّا التَّقْوَى».

كيف لا وقد كان عاقلاً سَرِيّاً ، فاضلاً تَقِيّاً ، سَيِّداً بِمَالِهِ غَنِيّاً ، أَعْتَقَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ ، وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ ، وَحَجَّ فِي الْإِسْلَامِ وَمَعَهُ مِائَةُ
بَدَنَةٍ قَدْ جَلَّلَهَا بِالْحَبْرَةِ ، وَكَفَّهَا عَنْ أَعْجَازِهَا ، وَأَهْدَاهَا ، وَوَقَفَ بِمِائَةِ
وَصَيْفٍ بِعُرْفَةٍ فِي أَعْنَاقِهِمْ أَطْوَأُ الْفِضَّةِ مَنْقُوشٌ فِيهَا: «عَتَقَاءُ اللَّهِ عَنْ
حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ» ، وَأَهْدَى أَلْفَ شَاةٍ ، وَهُوَ الَّذِي عَاشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سِتِّينَ
سَنَةً ، وَفِي الْإِسْلَامِ سِتِّينَ سَنَةً ، وَوُلِدَ فِي الْكَعْبَةِ^(١).

* * *

(١) انظر: «تهذيب الكمال» (٧/ ١٧٠ - ١٩٢) ، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٤ - ٥١).

الحادية والثمانون

الفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ .

الثانية والثمانون

الاسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ .

الثالثة والثمانون

الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ .

الرابعة والثمانون

النِّهَاةُ .

أقول: هذه المسائل الأربع دليلٌ بطلانها حديثٌ واحدٌ ، وهو ما رواه البخاريُّ ومُسْلِمٌ^(١) ، واللفظُ لمسلم ، بسنده إلى أبي مالكٍ الأشعريِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُ قَالَ : «أربعٌ في أُمَّتِي من أمرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ ، والطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، والاسْتِسْقَاءُ

(١) كتاب الجنائز - باب التشديد في النِّهَاة - (٢/٦٤٤) ح ٩٣٤ .

بِالنُّجُومِ ، والنِّياحَةِ» وقال: «النَّائِحَةُ»^(١) إِذْ لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ .

الفخرُ في الأحسابِ : افتخارُهُمْ بِمَفَاخِرِ الآبَاءِ .

وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ : إِدْخَالُهُمُ الْعَيْبَ فِي أَنْسَابِ النَّاسِ ؛ تَحْقِيرًا لِآبَائِهِمْ ، وَتَفْضِيلًا لِآبَاءِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى آبَاءِ غَيْرِهِمْ .

وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ : اعْتِقَادُهُمْ نُزُولَ الْمَطَرِ بِسُقُوطِ نَجْمٍ فِي الْمَغْرِبِ مَعَ الْفَجْرِ ، وَطُلُوعِ آخَرَ يُقَابِلُهُ مِنَ الْمَشْرِقِ ، فَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ : مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا ، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(٢) .

وَهَذَا مُفْصَّلٌ فِي كُتُبِ الْأَنْوَاءِ^(٣) بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ فِي النَّائِحَةِ : «وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ» : أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُجَازِيهَا بِإِلْبَاسٍ مِنْ قَطْرَانٍ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَلْبَسُ الثِّيَابَ السُّودَ .

وَقَوْلُهُ : «دِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» ، يَعْنِي : يُسَلِّطُ عَلَى أَعْضَائِهَا الْجَرَبَ وَالْحِكَّةَ ، بِحَيْثُ يُعْطِي بَدَنَهَا تَغْطِيَةَ الدَّرْعِ - وَهُوَ الْقَمِيصُ - لِأَنَّهَا كَانَتْ تَجَرَّحُ بِكَلِمَاتِهَا الْمُحْرِقَةِ قُلُوبَ ذَوِي الْمُصِيبَاتِ .

فَهَذَا الْحَدِيثُ دَلٌّ عَلَى بَطْلَانِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الرَّدِيئَةِ .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : «وَالنَّاحِيَّةُ ، أَوْ قَالَ : النَّائِحَةُ» .

(٢) الْوَاقِعَةُ : (٨٢) .

(٣) انْظُرْ : «الْأَنْوَاءُ فِي مَوَاسِمِ الْعَرَبِ» لِابْنِ قَتِيْبَةَ ، «الْقَوْلُ فِي عِلْمِ النُّجُومِ» لِلخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ ، «الْأَنْوَاءُ وَالْأَزْمَنَةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الثَّقَفِيِّ ، «الْأَزْمَنَةُ وَتَلْبِيَةُ الْجَاهِلِيَّةِ» لِقَطْرِب .

وَوَرَّثَهُمُ الْيَوْمَ^(١) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، تَجَاوَزُوا فِيهَا أَسْلَافَهُمْ ، وَزَادُوا فِي
الطَّنْبُورِ نَعْمَاتٍ ، فَتَرَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ بِمَزَايَا آبَائِهِمْ وَهُمْ بِمَرَا حِلِّ عَنْهُمْ ، فَهَذَا
يَقُولُ : كَانَ جَدِّي الشَّيْخُ الْفُلَانِيُّ ، وَهَذَا يَقُولُ : جَدِّي الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ ، إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، فَهَذَا يَقُولُ : إِنَّ أَبَاءَ فُلَانٍ لَمْ يَكُونُوا مِنْ
الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَذَاكَ يَقُولُ : إِنَّ أَبَاءَ فُلَانٍ لَمْ يَكُونُوا مِنْ ذَوِي الْأَحْسَابِ
الْبَاهِرَةِ .

وَكَذَلِكَ الْأَسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ
فِعْلِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ^(٢) .

وَهَكَذَا النَّوْحُ عَلَى الْأَمْوَاتِ ، فَقَدْ اتَّخَذَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَفْضَلِ
الْأَعْمَالِ ، وَسَبَبَ الْوُصُولِ إِلَى مَرْضَاةِ ذِي الْجَلَالِ ، لَا سِيَّمَا مَنْ اتَّخَذَ
الْمَاتِمَ الْحُسَيْنِيَّةَ فِي كُلِّ عَامٍ ؛ فَهَنَّاكَ مِنَ الْبِدْعِ مَا تَكَلُّ عَنْ نَقْلِهِ أَلْسِنَةُ
الْأَقْلَامِ ، وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ أَنْكَرَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُمْ يُورِدُونَهُ مَوَارِدَ
الْعَطَبِ وَالْمَهَالِكِ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

* * *

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : «وَوَرَّثَهُمُ الْيَوْمَ طَائِفَةً» .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ «أَنْ مَا كَانَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ» وَقَدْ وُضِعَتْ «إِنَّمَا
هُوَ» بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ [] ، غَلَامَةٌ عَلَى أَنَّهَا زِيَادَةٌ .

الخامسة والثمانون

تَغْيِيرُ الرَّجُلِ بِفِعْلٍ غَيْرِهِ ، لَا سَيِّمَا أَبُوهُ وَأُمُّهُ .

فَخَالَفَهُمْ ﷺ ، وَقَالَ : «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ أَمَرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ» .

والحديث في صحيح الإمام البخاري في باب «المعاصي من أمر الجاهليَّة» ، وَلَا يَكْفُرُ صَاحِبُهَا بِازْتِكَايْهَا إِلَّا بِالشُّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّكَ أَمَرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ» ، وَقَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي النَّسَاءِ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ .

وهذا الباب في كتاب الإيمان من صحيحه ، ثُمَّ قَالَ : «حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلٍ عَنِ الْمَعْرُورِ ، قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ^(١) ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : «إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا ، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : «يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ ! إِنَّكَ أَمَرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ ، فَأَعِينُوهُمْ»^(٢) .

(١) الرَبَذَةُ : بفتح الراء والباء ، قرية من قرى المدينة النبوية ، قريبة من ذات عرق .

انظر : «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ٢٤) .

(٢) سبق تخريجه .

وقد أَطْنَبَ شُرَاحُ الْحَدِيثِ فِي شَرْحِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ اسْتِقْصَائِهِ ،
وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ أَنْ تَغْيِيرَ الرَّجُلِ بِفَعْلٍ غَيْرِهِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ كَامِلِ الْإِيمَانِ
وَالْمَعْرِفَةِ ، فَإِنَّ أَبَا ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَبْلَ بُلُوغِهِ الْمَرْتَبَةَ الْقُصْوَى
مِنَ الْمَعْرِفَةِ تَسَابَّ هُوَ وَبِلَالُ الْحَبَشِيُّ الْمُؤَدَّدُ ، فَقَالَ لَهُ : « يَا ابْنَ السَّودَاءِ » ،
فَلَمَّا شَكَا بِلَالٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ : « شَتَمْتَ بِلَالًا ، وَعَيَّرْتَهُ بِسَوَادِ
أُمِّهِ ؟ ! » ، قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : « حَسِبْتُ أَنَّ بَقِيَّ فَيْكَ شَيْءٌ مِنْ كِبَرِ
الْجَاهِلِيَّةِ » ، فَأَلْقَى أَبُو ذَرٍّ خَدَّهُ عَلَى الثَّرَابِ ، ثُمَّ قَالَ : « لَا أَرْفَعُ خَدِّي حَتَّى
يَطَأَ بِلَالٌ خَدِّي بِقَدَمِهِ » .

وَالنَّاسُ الْيَوْمَ - وَالْأَمْرُ لِلَّهِ - قَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ خِصَالُ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَتَرَاهُمْ
يَعَيِّرُونَ أَهْلَ الْبَلَدِ كُلَّهُمْ بِمَا صَدَرَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ خِصَالِ
الْجَاهِلِيَّةِ ؟ !

* * *

السادسة والثمانون

الافتخارُ بولاية البيت .

فَذَمَّهُمُ اللَّهُ - تعالى - بقوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ .

وهذه الآيةُ في سورة المؤمنين ، وهي بتمامها قوله - تعالى - : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ ^(١٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ^(١٧) .

وَمَعْنَى الآيةِ على ما في التفسير :

﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ : تعليلُ لقوله قبلُ : ﴿ لَا تَجْحَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصُرُونَ ﴾ ، أي : دَعَا الصُّرَاخ ، فَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُكُمْ مِنَّا ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ عِنْدَنَا ، فَقَدْ ارْتَكَبْتُمْ أَمْرًا عَظِيمًا وَإِثْمًا كَبِيرًا ، وَهُوَ التَّكْذِيبُ بِالْآيَاتِ ، فَلَا يَدْفَعُهُ الصُّرَاخُ ، فَكُنْتُمْ عِنْدَ تَلَاوتِهَا :

﴿ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ ، أي : مُعْرِضُونَ عَنْ سَمَاعِهَا أَشَدَّ الْإِعْرَاضِ ، فَضْلًا عَنْ تَصَدِيقِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا ، التَّكْوِصُ : الرَّجُوعُ ، وَالْأَعْقَابُ : جَمْعُ عَقِبٍ وَهُوَ مُؤَخَّرُ الرَّجْلِ ، وَرَجُوعُ الشَّخْصِ عَلَى عَقِبِهِ : رَجُوعُهُ فِي طَرِيقِ الْأَوَّلِ ، كَمَا يَقَالُ : رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ .

(١) المؤمنون : (٦٦ - ٦٧) .

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ ، أي: بالبيت الحرام ، والباءُ لِلْسَبِيَّةِ ، وسُوغٌ بهذا الإضمارُ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَجْرِ اشتهار استكبارِهِم وافتخارِهِم بأنَّهُم خُدَّامُ البيتِ وَقَوَّامُهُ.

﴿سَمِرًا﴾ ، أي: تَسْمُرُونَ بذكرِ القرآنِ والطَّعنِ فيه ، وذلك أَنَّهُم كانوا يَجْتَمِعُونَ حولَ البيتِ يَسْمُرُونَ ، وكانت عامَّةُ سَمَرِهِم ذكرُ القرآنِ ، وتسميته سِحْرًا أو شعراً.

و﴿تَهْجُرُونَ﴾ مِنَ الْهَجْرِ - بفتح فسكون - ، بمعنى القطع والتَّركِ ، والجملةُ في موضعِ الحالِ ، أي: تاركينَ الحقَّ والقرآنَ أو النَّبِيَّ ﷺ على تقديرِ عودِ الضميرِ ﴿بِهِ﴾ له ، وجاءَ الْهَجْرُ بمعنى الهذيانِ ، وَجُوزَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى عليه ، أي: تَهْذُونَ في شأنِ القرآنِ أو النَّبِيِّ ﷺ أو أصحابِهِ ، أو ما يَعُمُّ جميعَ ذلكَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَجْرِ - بضم فسكون - وهو الكلامُ الْقَبِيحُ.

فأنكرَ اللهُ - تعالى - عليهم بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَذَبُّوا أَلْقَوْلَ﴾ لِيَعْلَمُوا - بما فيه من وجوه الإعجاز - أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ ، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا كَرِهَاتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ، أي: بَلْ جَاءَهُمْ... إلخ.

والمقصودُ أَنَّ من خصالِ الجاهليَّةِ التَّكَبُّرَ بسببِ الرِّئاسةِ على المواضعِ الْمُقَدَّسَةِ ، كما هو - اليومَ - حالُ كثيرٍ ممَّن يدَّعي الشَّرَفَ بسببِ ذلكَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعى الشَّرَفَ على المُسْلِمِينَ بسببِ رِئاستِهِ على مَكَّةَ والمدينةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعاه بسببِ الرِّئاسةِ في المَشَاهِدِ أو مقاماتِ الصَّالِحِينَ ، وهؤلاءِ الذين يدَّعونَ انتسابَهُم إلى عبدِ القادرِ الجيلي في بغدادَ يدَّعونَ الشَّرَفَ بسببِ رِئاستِهِم على قبرِ عبدِ القادرِ ، واستيلائِهِم على التَّدْوِيرِ وَالصَّدَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ وَالْقَرَابِينِ الشُّرَكِيَّةِ ، التي يَتَعَبَّدُهَا جَهْلَةُ المُسْلِمِينَ مِنَ الْهُنُودِ وَالْأَكْرَادِ وَنَحْوِهِمْ ، وَهُمْ أَفْسَقُ خَلْقِ اللهِ ، وأذْنُوهم نفساً ، وأزْدَلُ

خَلَقَ اللهُ مَسْلَكًا ، فما يفيدهم ذلك عند الله شَيْئًا ، وما يُنْجِيهِمْ مِنْ مَقْتِ اللهِ وعَذَابِهِ ، وإنَّ ظَنَّ بِهِمُ الْعَوَامُّ ما ظَنُّوا ، فَهَمَّ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ أَحَقُّ مِنَ الذَّرِّ ، وأبعدُ عن رَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

* * *

السابعة والثمانون

الافتخار بِكَوْنِهِمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشَئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) .

هذه الآية في آخِرِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ سُورَةِ «البقرة» ، وتفسيرُها:
﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ : الإشارةُ إلى إبراهيمَ عليه السلام وأولاده في قوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٢) إلخ .

والأُمَّةُ أَتَتْ لِمَعَانٍ ، والمرادُ بها - هنا - الجَمَاعَةُ ، مِنْ «أُمَّ» ، بمعنى قَصْدٍ ، وَسُمِّيَتْ كُلُّ جَمَاعَةٍ يَجْمَعُهُمْ أَمْرٌ مَا : إمَّا دِينٌ وَاحِدٌ ، أَوْ زَمَانٌ وَاحِدٌ ، أَوْ مَكَانٌ ، بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَقْصُدُهُ .

وَالْخُلُوءُ : الْمُضِيُّ ، وَأَصْلُهُ الْانْفِرَادُ .

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ، وَالْمَعْنَى : إِنَّ انْتِسَابَكُمْ إِلَيْهِمْ لَا يُوَجِبُ انْتِفَاعَكُمْ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَنْتَفِعُونَ بِمُوَافَقَتِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّبِيِّ :

(١) البقرة: (١٤١) .

(٢) البقرة: (١٣٠) .

الْمُتَّقُونَ ، فَكُونُوا بِسَبِيلٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَانظُرُوا أَنْ لَا يَلْقَانِي النَّاسُ يَحْمِلُونَ
الْأَعْمَالَ ، وَتَلْقَوْنِي بِالْدُّنْيَا ، فَأَصُدَّ عَنْكُمْ بِوَجْهِهِ^(١) .

وهذا الحديث بمعنى قوله - تعالى - : ﴿ يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(٢) .

ومعنى قوله : ﴿ وَلَا تَسْتَلُونْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، لَا تُؤَاخِذُونَ بِسَيِّئَاتِهِمْ
كما لَا تُثَابُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ .

وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير من المسلمين ، ورأسُ مالهم
الافتخارُ بالآباء ، فمنهم مَنْ يقولُ : أنا من ذُرِّيَةِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْكِيلَانِيِّ ، ومنهم
مَنْ يقولُ : أنا من ذُرِّيَةِ أَحْمَدَ الرَّفَاعِيِّ ، ومنهم مَنْ يقولُ : أنا بكريُّ ، ومنهم
من يقولُ : أنا عُمَرِيُّ ، ومنهم من يقولُ : أنا عَلَوِيُّ أَوْ حَسَنِيٌّ أَوْ حُسَيْنِيٌّ ،
ولا فضيلةَ لهم ولا تقوى ، وكلُّ ذلك لا ينفعهم يومَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، ورسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
لفاطمة : « يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً »^(٣) .

وما قصَّد أولئك الْمُفْتَخِرِينَ بِآبَائِهِمْ - وهم عارونَ عن كُلِّ فضيلةٍ - إِلَّا
أَكُلْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وفي المثل : « كُنْ عِصَامِيًّا ، وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا » .
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي^(٤)

(١) أخرجه أبو يعلى في «المفاريد» (ص ٩٢) ، وابن أبي حاتم ، عن الحكم بن ميناء ،
كما في «الدر المنثور» (٢/ ٤٢) .

(٢) الحجرات : (١٣) .

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الوصايا - باب هل يدخل النساء والأولاد في
الأقارب - (٣/ ١٩٠ - ١٩١) ، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب قوله
- تعالى - : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ - (١/ ١٩٢ - ١٩٣) ح ٢٠٦ .

(٤) البيت في «ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» (ص ٣٧) . وذكره الحموي في =

وَللهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ يَرُدُّ عَلَى الْمَفْتَخِرِ بِذَلِكَ :

أَقُولُ لِمَنْ عَدَا فِي كُلِّ يَوْمٍ يُيَاهِنَا بِأَسْلَافِ عِظَامِ
أَتَقَنَعُ بِالْعِظَامِ وَأَنْتَ تَذَرِي بَأَنَّ الْكَلْبَ يَقْنَعُ بِالْعِظَامِ
وَقَالَ آخَرُ^(١) :

وَمَا الْفَخْرُ بِالْعِظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

* * *

= «خزانة الأدب» (٣٦٠/٢) ، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠٤/١١) ،
والأبشيهي في «المستطرف من كل فن مستطرف» (٥٧/١) ، والجريفي في
«الجلس الصالح» (٥٢٥/١) ، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢١٥/١) ،
والشريسي في «شرح مقامات الحريري» (٤٣/٣) واليوسي في «المحاضرات في
الآداب واللغة» (٦٤/١) ولم يعزوه .
(١) هو البحري ، كما في «شرح ديوان المتنبي» المنسوب للعكبري (٣٢٥/٣) ، ولم
أجده في ديوانه ، والله أعلم .

الثامنة والثمانون

الافتخارُ بالصَّنَائِعِ ، كما افتخَرَ أهلُ الرحلتينِ على أهلِ الحرثِ .
يُريدُ بالرحلتينِ : رِحْلَةَ الشَّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَرِحْلَةَ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ ،
وَهِيَ عَادَةٌ كَانَتْ لِقُرَيْشٍ ، كما ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْإِيلَافِ .
والمقصودُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلتَّاجِرِ أَنْ يَفْتَخَرَ بِتِجَارَتِهِ عَلَى أَهْلِ الْحَرْثِ ،
وَلَا أَهْلُ كُلِّ حِرْفَةٍ عَلَى الْمُحْتَرفِينَ بِحِرْفَةٍ أُخْرَى ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ
الْمَكَاسِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَامْتثالِ أَوَامِرِهِ
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ ^(١) لِيُتَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى النَّجَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَهِيَ مَدَارُ الْفَخْرِ ،
وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَكُلُّهُ ظِلٌّ زَائِلٌ وَنَعِيمٌ غَيْرُ مُقِيمٍ ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ
يَفْتَخَرَ بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يُفَارِقُهَا ، نَسْأَلُهُ - تَعَالَى -
التَّوْفِيقَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ الَّذِي يُرْضِيهِ .

* * *

(١) فِي الْمَخْطُوطِ «وَالاجْتِنَابِ عَنْ نَوَاهِيهِ» .

التاسعة والثمانون

عَظَمَةُ الدُّنْيَا فِي قُلُوبِهِمْ :

كَقَوْلِهِمْ : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ ^(١) هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ .

أَيُّ : مِنْ خِصَالِ الْجَاهِلِيَّةِ مُرَاعَاةُ الدُّنْيَا ، وَعَظَمَتُهَا فِي قُلُوبِهِمْ ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ ^(٢) هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ^(٣) .

هذه الآية في سورة «الزخرف» ، وَمَوْضِعُ الْإِسْتِشْهَادِ فِيهَا قَوْلُهُ : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ ^(٤) هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ .

الْمُرَادُ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ : مَكَّةُ وَالطَّائِفُ .

قال ابن عباس : «الذي مِنْ مَكَّةَ : الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ ، وَالَّذِي مِنَ الطَّائِفِ : حَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ الثَّقَفِيُّ ، وَكُلُّهُمَا كَانَ عَظِيمًا ، ذَا

(١) في المخطوط والمطبوع «أنزل» ، وهو خطأ .

(٢) في المخطوط والمطبوع «أنزل» وهو خطأ .

(٣) الزخرف : (٣٠ - ٣٢) .

(٤) في المخطوط والمطبوع «أنزل» ، وهو خطأ .

جاءه ومالٍ ، وكان الوليدُ بنُ المغيرة يُسمَّى «رَيْحانةَ قريشٍ» ، وكان يقولُ :
لو كانَ ما يقولُ مُحَمَّدٌ حقًّا لَنَزَلَ عليَّ أو على أبي مَسْعُودٍ ، يعني عُرْوَةَ بنَ
مَسْعُودٍ ، وكان يُكنى بِذلك»^(١) .

وهذا بابٌ آخَرُ من إنكارِهِم للنبوةِ ، وذلك أَنَّهُم أنكَرُوا أوَّلًا أن يكونَ
النَّبِيُّ بَشَرًا ، ثُمَّ لَمَّا بُكِّتُوا بِتَكْرِيرِ الحُجَجِ ، ولم يَبْقَ عندهم تصوُّرُ رَوَاجٍ
لِذلكَ ، جاؤُوا بِالإنكارِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ، فَحَكَمُوا على اللَّهِ - سُبْحانَهُ - أنَّهُ
يَكُونُ الرَّسُولُ أَحَدَ هَذاينِ .

وقولُهُم : ﴿ هَذا الْقُرْآنُ ﴾ : ذَكَرَ لَهُ على وَجْهِ الاسْتِهانَةِ ؛ لأنَّهُم لم يَقُولُوا
هَذهِ المَقالَةَ تسليماً ، بَلْ إنكاراً ، كَأَنَّهُ قِيلَ : هَذا الكَذِبُ الَّذي يَدَّعِيهِ ، لو
كانَ حقًّا ، لكانَ الحَقِّيقُ بِهِ رَجُلًا مِنَ القَرِيبَيْنِ عَظِيمًا .

وهَذا مِنْهُم لِجَهْلِهِم بِأنَّ رُتَبَةَ الرِّسالَةِ إِنَّمَا تَسُدُّ عَظِيمَ النَّفْسِ بِالتَّخَلِّي
عَنِ الرِّذائِلِ الدُّنْيَا ، وَالتَّخَلِّي بِالكَمالاتِ وَالْفَضائلِ الْقُدُسِيَّةِ ، دونَ
التَّزَخُّرِ بِالزَّخارِفِ الدُّنْيَوِيَّةِ .

فأنكَرَ - سُبْحانَهُ - عَلَیْهِم بِقولِهِ : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ، وفيهِ
تَجْهِيلٌ وَتَعْجِيبٌ مِنْ تَحَكُّمِهِم بِنزولِ^(٢) القرآنِ العَظيمِ على مَنْ أَرادُوا .

﴿ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قِسْمَةٌ تَقْتَضِيها مَشِيئَتُنا الْمَبْنِيَّةُ
على الْحِكمِ وَالْمَصالِحِ ، وَلَمْ نُفَوِّضْ أَمْرَها إِلَيْهِم ، وَعِلْمًا مِنَّا بِعَجْزِهِم عَنْ
تَدْبِيرِها بِالْكُلِّيَّةِ .

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ في الرِّزْقِ وسائِرِ مَبادِي العِيشِ .

(١) أَخْرَجَهُ عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه بنحوه عنه ، كما في «الدر المنثور»
(١٦/٦) .

(٢) في المخطوط «نزول» .

﴿ دَرَجَتٍ ﴾ مُتَفَاوِتَةً بِحَسَبِ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ ،
فَمِنْ ضَعِيفٍ وَقَوِيٍّ ، وَعَنِيٍّ وَفَقِيرٍ ، وَخَادِمٍ وَمَخْدُومٍ ، وَحَاكِمٍ وَمَحْكُومٍ .
﴿ لِيَسْتَخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ : لِيَسْتَعْمَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي مَصَالِحِهِمْ ،
وَيَسْتَخْدِمُوهُمْ فِي مَهْنِهِمْ ، وَيُسَخِّرُوهُمْ فِي أَشْغَالِهِمْ ، حَتَّى يَتَعَايَشُوا ،
وَيَتَرَفَدُوا ، وَيَصِلُوا إِلَى مَرَافِقِهِمْ ، لَا لِكَمَالٍ فِي الْمَوْسَعِ عَلَيْهِ ، وَلَا لِنَقْصٍ
فِي الْمُقْتَرِّ عَلَيْهِ ، وَلَوْ فَوَّضْنَا ذَلِكَ إِلَى تَدْبِيرِهِمْ لَضَاعُوا وَهَلَكُوا ، فَإِذَا كَانُوا
فِي تَدْبِيرِ خُويَصَةِ أَمْرِهِمْ وَمَا يُصْلِحُهُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ وَهُوَ عَلَى طَرَفِ
الْثَّمَامِ ^(١) بِهَذِهِ الْحَالَةِ ، فَمَا ظَنُّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ فِي تَدْبِيرِ أَنْفُسِهِمْ ^(٢) ، وَفِي تَدْبِيرِ
أَمْرِ الدِّينِ ، وَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ الْعَيُوقِ ، وَمِنْ أَيْنَ لَهُمُ الْبَحْثُ عَنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ
وَالْتَّخَيُّرِ لَهَا مَنْ يَصْلُحُ لَهَا وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا .

وَفِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ... ﴾ إِنْخَ مَا يُرْهَدُ ^(٣) فِي الْإِنْكَبَابِ
عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، وَيُعِينُ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ
- جَلَّ جَلَالُهُ - .

فَاعْتَبِرْ «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ» تَلَقَّاهُ حَقًّا وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ^(٤)
﴿ وَرَحِمْتَ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ؛ أَيُّ : النُّبُوَّةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ سَعَادَةِ
الدَّارَيْنِ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ ، فَالْعَظِيمُ مِنْ رُزْقِ تِلْكَ
الرَّحْمَةِ دُونَ ذَلِكَ الْحُطَامِ الدَّنِيِّ الْفَانِي .

(١) الثَّمَامُ : جَمْعُ ثَمَامَةٍ وَثَمَّةٍ ، وَهِيَ شَجَرَةٌ ضَعِيفَةٌ ، فَهُوَ يَقْصِدُ هُنَا أَنَّهُ مَعَ سَهُولَةِ هَذَا
الْأَمْرِ الَّذِي يَشَابُهُ فِي ضَعْفِهِ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَهُ ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَشَدَّ
مِنْهُ وَهُوَ أَمْرُ النُّبُوَّةِ ؟ !

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ «بِأَنْفُسِهِمْ» .

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ «مَا يَزِيدُ» .

(٤) هَذَا الْبَيْتُ أَحَدُ آيَاتِ لَامِيَةِ ابْنِ الْوَرْدِيِّ ، وَهِيَ فِي دِيَوَانِهِ (ص ٣٢٨) .

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي
هَذِهِ الْخَصْلَةِ ، فَتَرَاهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ فَقِيرَ الْحَالِ ،
وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْغَنِيِّ ، وَيَعْتَبِرُونَ أَقْوَالَهُ .

وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ ^(١) :

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لَ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ ^(٢)

* * *

(١) في المطبوع : «من قال» .

(٢) البيت لحسان بن ثابت - رضي الله تعالى عنه - كما في «ديوانه» (ص ٢٢٥) .

التسعون

ازدراء الفقراء .

فَأَنْزَلَ - سبحانه - قوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ .

أقول: هذه الآية في أوائل سورة «الأنعام» ، وبيان معناها متعلق بما قبلها ، وهو قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

فلما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بإنذار المذكورين لعَلَّهم يَتَّظَمُونَ في سِلْكِ الْمُتَّقِينَ ، نُهي عن كون ذلك بحيث يُؤدِّي إلى طردهم .
ويُفْهَم من بعض الروايات أن الآيتين نزلتا معاً ، ولا يُفْهَم ذلك من البعض الآخر .

فقد أخرج الإمام أحمد^(٢) والطبراني^(٣) وغيرهما عن ابن مسعود

(١) الأنعام (٥٠ - ٥٢) .

(٢) في «مسنده» (٤٢٠/١) .

(٣) في «المعجم الكبير» (٢٦٨/١٠) ، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره»

(٥٠/٢٠٠ - ٢٠١) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٣/١) ، قال الهيثمي في «مجمع

الزوائد» (٢١/٧) : «ورجاله رجال الصحيح غير كردوس ، وهو ثقة» .

- رضي الله عنه - قال: «مَرَّ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ صُحَيْبٌ وَعَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَخَبَّابٌ وَنَحْوُهُمْ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ ، رَضِيتَ هَؤُلَاءِ مِنْ قَوْمِكَ! أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا! أَنْحَن نَكُونُ تَبَعًا لِهَؤُلَاءِ؟! اطْرُدْهُمْ عَنْكَ ، فَلَعَلَّكَ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَنْ نَتَّبِعَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِيهِمُ الْقُرْآنَ: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .»

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ^(١) وَأَبُو الشَّيْخِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» وَغَيْرُهُمْ عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: «جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ ، فَوَجَدَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا مَعَ بِلَالٍ وَصُحَيْبٍ وَعَمَّارٍ وَخَبَّابٍ فِي أَنْاسٍ ضُعَفَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَهُ حَقَرُوهُمْ ، فَأَتَوْهُ ، فَخَلَوْا بِهِ ، فَقَالُوا: نَحِبُّ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لَنَا الْعَرَبُ بِهِ فَضْلَنَا ، فَإِنَّ وَفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ ، فَنَسْتَحِييُ أَنْ تَرَانَا قُعُودًا مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدِ ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ ، فَأَقِمُّهُمْ عَنَّا ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَعْنَا ، فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالُوا: فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ كِتَابًا ، فَدَعَا بِالصَّحِيفَةِ ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ - وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ - ، إِذْ نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ... ﴾ الْخ .

ثُمَّ دَعَانَا ، فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(٢) ، فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَهُ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكْنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾

(١) فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٠١/٧). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٣٦/٢): «وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةُ إِنَّمَا أَسْلَمَا بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِدَهْرٍ».

(٢) الْأَنْعَامُ: (٥٤).

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ^(١) وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ^(٢) ، فكان رسول الله ﷺ يقعدُ معنا ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم .

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُُنْذِرِ ^(٣) وَغَيْرُهُ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: «مَشَى عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَقُرْظَةُ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَوْفَلٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَمُطْعِمُ ابْنِ عَدِيٍّ فِي أَشْرَافِ الْكُفَّارِ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّ ابْنَ أَخِيكَ طَرَدَ عَنَّا هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدَ وَالْحُلَفَاءَ ، كَانَ أَعْظَمَ لَهُ فِي صُدُورِنَا ، وَأَطْوَعَ لَهُ عِنْدَنَا ، وَأَدْنَى لَاتِّبَاعِنَا إِيَّاهُ وَتَصَدِيقِهِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو طَالِبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَوْ فَعَلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يُرِيدُونَ بِقَوْلِهِمْ ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ . وَكَانُوا بِلَالًا وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَسَالِمًا ^(٤) مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَصَبِيحًا مَوْلَى أَسِيدٍ ، وَالْحُلَفَاءُ: ابْنُ مَسْعُودٍ وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْظَلِيُّ وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ عَمْرِو وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ وَأَشْبَاهُهُمْ ، وَنَزَلَ فِي أَيْمَةِ الْكُفْرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْمَوَالِي وَالْحُلَفَاءِ: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ^(٥) ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَقْبَلَ عُمَرُ ، فَاعْتَذَرَ مِنْ مَقَالَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ^(٦) .

(١) ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ ليست في المخطوط .

(٢) الكهف: (٢٨) .

(٣) انظر: «الدر المنثور»: (١٣/٣) ، وأخرجه - أيضاً - ابن جرير في «تفسيره» (٢٠٢/٧) .

(٤) في المخطوط «سالم» .

(٥) الأنعام: (٥٣) .

(٦) الأنعام: (٥٤) .

وقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: جملة مُعْتَرِضَةٌ بين النَّهْيِ وجوابه ، تقريراً له ، ودفعاً لما عسى أن يُتَوَهَّم كونه مُسَوِّغاً لطرْدِ الْمُتَّقِينَ من أقاويل الطَّاعِنِينَ في دينهم ، كدَّاب قوم نوح حيث قالوا: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ﴾^(٢) ، والمعنى: ما عليك شيءٌ ما مِنْ حسابِ إيمانهم وأعمالهم الباطنة ، كما يقوله المشركون ، حتَّى تَتَصَدَّى لَهُ ، وَتَبْنِي على ذلك ما تراه مِنَ الأحكام ، وإنَّما وظيفتُكَ - حَسْبَمَا هو شأنُ مَنْصِبِ الرِّسَالَةِ - النَّظَرُ إلى ظواهرِ الأمور ، وإجراء الأحكام على موجبها ، وتفويضُ البواطنِ وحسابها إلى اللطيف الخبير ، وظواهرُ هؤلاء دعاءُ ربِّهم بالغداة والعشي.

ورُوِيَ عن ابنِ زيدٍ أنَّ المعنى ما عليك شيءٌ مِنْ حسابِ رِزْقِهِمْ^(٣) ، أي: مِنْ فَقْرِهِمْ ، والمرادُ: لا يَضُرُّكَ فَقْرُهُمْ شيئاً لِيَصِحَّ لك الإقدامُ على ما أَرَادَهُ المشركون مِنْكَ فيهم .

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ عطفٌ على ما قَبْلَهُ ، وَجِيءَ بِهِ - معَ أنَّ الجوابَ قد تَمَّ بذلك - مبالغةً في بيانِ كونِ انتفاءِ حسابِهِم عليه يَنْظِمُهُ^(٤) في سِلِّكَ ما لا شُبْهَةَ فيه أصلاً ، وهو كونُ انتفاءِ حسابِهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ، فهو على طريقةِ قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾^(٥) في رأي .

(١) في المخطوط «ما نراك» .

(٢) هود: (٢٧) .

(٣) «روح المعاني» (٧/ ١٦٠) .

(٤) في المخطوط «بنظمه» وما أثبتته من المطبوع ، وهو الموافق لما في «روح المعاني» الذي نقل عنه المؤلف .

(٥) الأعراف: (٣٤) ، النحل: (٦١) .

وقال الزمخشري: «إِنَّ الْجُمْلَتَيْنِ فِي مَعْنَى جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ تُؤَدِّي مُؤَدًى
﴿وَلَا نَزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾»^(١) ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا تَوَاخَذُ أَنْتَ وَلَا هُمْ بِحِسَابِ
صَاحِبِهِ ، وَحِينَئِذٍ لَا بَدَّ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ»^(٢) ، وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُ غَيْرُ حَقِيقٍ بِجَلَالَةِ
التَّنْزِيلِ^(٣).

وقوله: ﴿فَتَكُونَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ جَوَابٌ لِلنَّهْيِ.

* * *

(١) الأنعام: (١٦٤) ، الإسراء: (١١٥) ، فاطر: (١٨) ، الزمر: (٧).

(٢) «الكشاف» للزمخشري (١٧/٢).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٣٧/٤ - ١٣٨).

الحادية والتسعون

عَدُمَ الْإِيمَانِ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

وَالكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ مُفَصَّلٌ فِي التَّفْسِيرِ وَكُتِبَ الْحَدِيثِ وَالْعَقَائِدِ .

وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ لَنْ وَرَفِي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) .

وَمِنَ الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ فِي إنْكَارِ الْبَعْثِ وَالتُّشُورِ :

وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذْرِ	مِنَ الشَّيْزَى تَزَيَّنَ بِالسَّنَامِ
وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذْرِ	مِنَ الْقَيْنَاتِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ
تُحَيِّنَا السَّلَامَةَ أَمْ بَكْرٍ	فَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامِ
يُحَدِّثُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا	وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءِ وَهَامِ (٢)

وَقَالَ آخَرُ (٣) :

(١) التغابن : (٧) .

(٢) أخرج هذه الأبيات البخاري في «صحيحه» - كتاب المناقب - باب هجرة النبي ﷺ - (٢٦٣/٤) ، وقائلها - كما في «الصحيح» - رجل من كلب ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٠٣/٧) أن اسمه : أبو بكر شداد بن الأسود بن عبد شمس بن مالك بن جعونة ، ويقال : ابن الشعوب ، وذكر أنها تنسب لغيره ، لكن بأخبار لا تثبت .

(٣) هو عبد الله بن الزبعرى السهمي ، كما في «شعر عبد الله بن الزبعرى» ، ونسبه ابن الجوزي في «تلبس إبليس» (ص ٩١) إلى أبي العلاء المعري ، وهو في «ديوان =

حَيَاةٌ ثُمَّ مَوْتُ ثُمَّ نَشْرٌ حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرُو
وَمِنْ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَآهَا وَعَظَمًا أَوْنَا
لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١) أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ (١).

وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى مُعْتَقِدَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَذْيَانِهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ (٢).

* * *

= ديك الجن الحمصي (ص ٧٩) ، وعزاه الجرجاني في «الوساطة بين المتنبى
وخصومه» (ص ٦٤) لأبي نواس ، ثم بصيغة التمريض نسبها لديك الجن .
(١) الصافات : (١٦ - ١٧) ، والواقعة : (٤٧ - ٤٨) .
(٢) وذلك في كتابه «بلوغ الأرب» .

الثانية والتسعون

الإيمانُ بِالْحَبِثِ وَالطَّاغُوتِ ، وَتَفْضِيلُ دِينِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى دِينِ الْمُسْلِمِينَ .

قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِثِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ ^(١) .

وقد تقدّم الكلامُ على ذلك مُفَصَّلًا .

والمقصودُ - هُنا - أَنَّ جَهْلَةَ الْكِتَابِيِّينَ كانوا يَقُولُونَ لِلْمُشْرِكِينَ : أَنْتُمْ أَهْدَىٰ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا عِنْدَكُمْ خَيْرٌ مِّمَّا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ .

وَتَرَى الْمُتَصَوِّفَةَ وَالْغُلَاةَ الْيَوْمَ على هذا الْمَنْهَجِ ، يَقُولُونَ : إِنَّ دُعَاةَ أَهْلِ الْقُبُورِ وَالْغُلَاةَ خَيْرٌ مِّمَّنْ يَمْنَعُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَحُفَاطِ السُّنَّةِ .

* * *

(١) النساء: (٥١) .

الثالثة والتسعون

كَيْتْمَانُ الْحَقِّ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ .

كما حَكَى اللهُ ذَلِكَ عَنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَقَدْ كَتَمُوا مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْبَشَائِرِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِوُرُودِهَا وَذِكْرِهَا فِي كُتُبِهِمْ .

وَالكَلَامُ فِي هَذَا الْبَابِ مُفَصَّلٌ فِي «الْجَوَابِ الصَّحِيحِ»^(١) لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ، فَعَلَيْكَ بِهِ ، فَإِنَّهُ كِتَابٌ لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ .

* * *

(١) (٣/٢٦٣ - ٣٢٢) .

الرابعة والتسعون

الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلا عِلْمٍ .

وهو أساسُ كُلِّ فسادٍ وأصلُ الضَّلالِ .

وأكثرُ النَّاسِ حَظًّا مِنْ هذهِ الخَصْلَةِ الجاهليَّةِ مُبتدِعَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ بِمَا لَمْ يُنْزَلِ اللَّهُ بِهَا ^(١) مِنْ سُلْطَانٍ ، وَأَوَّلُوا نُصُوصَ الشَّرِيعَةِ بِمَا تَهَوَّاهُ أَنْفُسُهُمْ ، كَمَا فَعَلَهُ الرَّازِيُّ فِي كِتَابِهِ «أَسَاسِ التَّقْدِيسِ» ^(٢) .

وَجَزَى اللَّهُ شَيْخَ الإِسْلَامِ خَيْرًا ، فَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ، وَنَقَضَ أَسَاسَهُ ، وَسَجَّلَ ضَلَالَهُ وَجَهْلَهُ ، وَصَيَّقَ أَنْفَاسَهُ ^(٣) ، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(٤) .

(١) في المطبوع: «به» .

(٢) وهو أحد كتب الأشاعرة المعتمدة ، مع مخالفة الرازي الواضحة لأصول أبي الحسن الأشعري ، وسلوكه فيه مسلك الجهمية ، وقد طبع مرات عديدة .

(٣) وذلك في كتابه «بيان تلبيس الجهمية» أو «نقض تأسيس الجهمية» ، وقد طبع منه مجلدان بتحقيق فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى ، وحقق أخيراً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من قبل بعض طلاب الدراسات العليا .

(٤) البقرة: (٢٥١) .

الخامسة والتسعون

التَّنَاقُضُ الْوَاضِحُ .

قال - تعالى - : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ ^(١) .

وَهَكَذَا أَهْلُ الْبِدْعِ مِنَ الْغُلَاةِ وَغَيْرِهِمْ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ ، وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالاً
تُنَاقِضُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ .

* * *

(١) ق: (٥) .

والسادسة والتسعون ، والسابعة والتسعون والثامنة والتسعون ، والتاسعة والتسعون ، والمئة

العِيفَةُ ، والطَّرْقُ ، والطَّيْرَةُ ، والكِهَانَةُ ، والتَّحَاكُمُ إِلَى الطَّاغُوتِ ،
ونحو ذلك :

وقد تكلّمنا على هذه الأمور في كتابنا «بلوغ الأرب في أحوال
العرب»^(١) بما لا مزيدَ عليه ، وذكرنا هناك أوابدَهُمْ وخُرَافَاتِهِمْ وسائِرَ
ضلالَاتِهِمْ .

وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ جَهْلَةِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

وغالبُ مسائلِ الأصلِ رؤوسُ^(٣) مسائلَ في كتاب «اقتضاء الصّراطِ
المُسْتَقِيمِ» وَمَنْ أَرَادَ التَّفْصِيلَ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ .

وَهَذَا آخِرُ مَا أَرَدْنَا شَرْحَهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي أَبْطَلَهَا الْإِسْلَامُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
وَلِيِّ الْإِنْعَامِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمِصْبَاحِ الظَّلَامِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَسَاعَةِ الْقِيَامِ .

(١) اسم الكتاب «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» وهو من أنفع الكتب في هذا
الباب .

(٢) (٣/ ٢٦٩ - ٣٢٦) .

(٣) في المطبوع زيادة كلمة «مباحث» .

وكانَ ذلكَ في اليومِ الخامسِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الحرامِ ، وهو يومُ الخميسِ
بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ
الصَّلَاةِ وَأَكْمَلُ السَّلَامِ - .

٥ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ١٣٢٥ هـ

وَقَدْ فَرَعْتُ مِنْ كِتَابَتِهِ صَبَاحَ الْجُمُعَةِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ
شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - فِي بَغْدَادَ دَارِ السَّلَامِ ، فِي جَامِعِ الْحِيدَرِ خَانَةِ ، وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَيْهِ
- عَزَّ شَأْنُهُ - عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ السَّيِّدِ عَبَّاسِ الشَّيْخَلِيِّ - غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ .

٢٧ شَعْبَانَ سَنَةِ ١٣٤٤^(١)

* * *

(١) مِنْ قَوْلِهِ : «إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» إِلَى آخِرِهِ لَيْسَ مَوْجُوداً فِي الْمَطْبُوعَةِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ فِي
آخِرِ الْمَطْبُوعَةِ مَا نَصَّهُ : «فِي ٥ ذِي الْحِجَّةِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْخَمِيسِ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ سَنَةِ
١٣٢٥ هـ» .

هَذَا وَقَدْ تَمَّ الْفَرَاغُ مِنْ تَحْقِيقِهِ وَالتَّعْلِيقِ عَلَيْهِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ
١٢/٢/١٤١٦ هـ ، مُتَضَرِّعاً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ أَلَّا يَفْضَحَنِي يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرَ ، وَأَنْ يَغْفِرَ
لِي وَلِوَالِدِي وَلِإِخْوَانِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَظَاهِرًا
وَبَاطِنًا ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
ثُمَّ كَانَ الْفَرَاغُ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ لِلطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّبْتِ
الْمُوَافِقِ لِلْسَّادِسِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ عَامِ ١٤٢٤ هـ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات .
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الأبيات الشعرية .
- ٥ - فهرس الأمم والقبائل والأخلاق والأديان والفرق والمذاهب .
- ٦ - فهرس الكتب الواردة في الكتاب .
- ٧ - فهرس المراجع .
- ٨ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٣	١٥٦
البقرة		
﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	١٢	١٩٢
﴿وَإِذْ يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾	١٤	٢٠٧ ح
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾	٦١	١٥٩
﴿أَفَنظَمُعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾	٧٥-٧٩	٢١١
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾	٧٨-٧٩	١٤٢، ٩٢
﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾	٨٠-٨٢	٢٢٠
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا﴾	٨٧-٨٨	١٤٩، ٨٥
﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٨٩	١٤٩، ٦٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	٩١	٢٠٠، ١٤٩، ٨٨
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ﴾	٩٧-٩٩	١٤٩
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	١٠١-١٠٢	٩٠

١٤٢	٩٩ - ١٠٢	﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾
١٤٢	١٠٢ - ١٠٣	﴿ وَيَتَّبِعُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾
٤١	١٠٤	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِيعًا ﴾
ح ٢٠٩	١٠٩	﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾
٢١٤ ، ٩٨	١١١ - ١١٢	﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ﴾
٩٧ ، ٩٦	١١٣	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾
٤٢	١٢٠	﴿ وَلَن رَّضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ ﴾
٢٤٥ ، ٩٩	١٢٥ - ١٣٢	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾
٢٤٥	١٤١	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾
٤٢	١٤٥	﴿ وَلَكِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ ﴾
٧٠	١٤٦ - ١٤٧	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾
٦١	١٧٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾
٥٦	١٩٣	﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ ﴾
٢٠٢	١٩٩	﴿ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾
١٧٠	٢١٤	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾
٢٦٢	٢٥١	﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾
١٥٧	٢٥٤	﴿ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ﴾
١٩٨	٢٥٧	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٣١	٢٧٣	﴿ يَخْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْيَاءً مِّنَ التَّعَقُّفِ ﴾
١٥٠	٢٨٥	﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

آل عمران

٢١٨	٢٤	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ ﴾
٢١٥	٣١	﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾

١٥٢	٦٦ - ٦٥	﴿ يَتَأْهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾
ح ٢٠٩ ، ١٧٤	٧١	﴿ يَتَأْهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ ﴾
١٧٦	٧٤ - ٧٢	﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾
١٧٧	٨٠ - ٧٩	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ﴾
ح ٢٠٩	٩٩	﴿ قُلْ يَتَأْهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٥٧ ، ٧	١٠٢	﴿ يَتَأْيِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾
١٦١	١٤٨ - ١٤٦	﴿ وَكَأَن مِّن نَّجِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ ﴾
٣٨	١٥٤	﴿ يَطْنُونَهُ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾
١٦١	١٦٩	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾
١٥٩	١٨٣	﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ ﴾
١٤٧	١٩١ - ١٩٠	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

النساء

٧	١	﴿ يَتَأْيِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾
١٧٩	٤٦	﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾
٢٤٠	١١٦ ، ٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾
٢٦٠ ، ١٦٩	٥١	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ﴾
٨٥	١٥٥	﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ ﴾
١٥١	١٧١	﴿ يَتَأْهِلَ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

المائدة

٨	٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾
، ٢١٣ ، ١١٢	١٨	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ ^٤ ﴾
٢١٧ ، ٢١٥		
٤١	٤٨	﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾

٤٩ ٤١	﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ ﴾
٥٠ ٣٨	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾
٦١ ٢٠٧ ح	﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ﴾
٧٧ ٦٢	﴿ قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

الأنعام

٦ ٦٨	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾
١٩-٢٠ ٧٠	﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾
٣٤ ١٧٠	﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾
٥١-٥٣ ٧٧، ٢٥٣، ٢٥٥	﴿ وَأَنْذِرِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾
٥٤ ٢٥١، ٢٥٢	﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾
٩٠-٩١ ١٢١	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾
٩٣ ١٦٨	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
١٠٠-١٠١ ١١٣-١٠٩	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾
١١٦-١١٧ ٦٣	﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
١٤٤ ١٦٨	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
١٤٨-١٤٩ ١٢٣	﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾
١٥٩ ١٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا ﴾
١٦٢-١٦٣ ٢٣٢	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾
١٦٤ ٢٥٦	﴿ وَلَا تَزِدْ وَازِرَةً وَزِدْ أُخْرَىٰ ﴾

الأعراف

٣ ٦١	﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
٢٨-٢٩ ١٠١	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾

- ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ٣١ - ٣٣ ... ١٠٤ ، ٢٠٣
 ﴿أَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا﴾ ١٢٧ ١٩٤
 ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ١٨٠ ١٠٧

الأنفال

- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ ٣٥ ٢٠٥

التوبة

- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ ٣٠ - ٣١ ٨٣ - ١١١
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ﴾ ٣٤ ٦٢
 ﴿قُلْ هَلْ تَرَىٰ صُورَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ ٥٢ ١٦١
 ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ ٦٩ ٤٣

يونس

- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ١٨ ٥٥
 ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ ٦٢ ٢١٣
 ﴿قَالُوا أَاجْتَنَّا لِلْقَنَائِ عَمَّا وَجَدْنَا﴾ ٧٨ ١٩٠

هود

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ٢٥ - ٢٧ ... ٧٥ ، ٢٥٥
 ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ ٤٩ ١٦٠
 ﴿وَيَنْقُومِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ ٨٩ - ٩١ ٨٦
 ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾ ١٠٢ ١٦٩
 ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ١١٦ ٦٧

يوسف

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ١٠٩ - ١١١ ١٧١

الرعد

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ ﴾ ٣٠ ١٠٨

الحجر

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ٨٥ ١٤٥

النحل

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ ٣٥ ١٣٠

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ ٣٨ - ٣٩ ١٥٥

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ٥١ - ٥٢ ١١٣

﴿ وَيجعلون لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾ ٥٦ - ٥٧ ١١٣

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ﴾ ٥٨ ١١٥

﴿ وَجَعَلَ لَكُم سُرُرٍ لَّتُبَيِّحَ لَكُمْ الْفَحْشَاءَ ﴾ ٨١ - ٨٣ ١٣٧

الإسراء

﴿ وَفَضَّلْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ٤ - ٨ ١٦٣

﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ ٣٩ - ٤٣ ١١٣

﴿ وَأَسْتَفْزِزَ مَنِ اسْتِطَاعَ مِنْهُمْ يَصْوتُكَ ﴾ ٦٤ ٢٠٦

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ ١١١ ١١٢

الكهف

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ ٢٨ ٢٥٥

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ١٠٣ - ١٠٦ ، ٩١ ، ١٤٠ ، ١٥٣

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ١١٠ ٨١

طه

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ ٤٩ - ٥٤ ٦٣

الأنبياء

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾ ١٦ - ١٧ ١٤٣

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ ٢٦ - ٢٩ ١١٣

المؤمنون

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ ٢٤ - ٢٥ ٦٣ ، ٧٩

﴿ قَدْ كَانَتْ آيَتِي . . مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ ٦٦ - ٦٧ ٢٤٢

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ ٩١ ١١٢

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ ١١٥ - ١١٦ ١٤٤

الفرقان

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ١ - ٢ ١١٢

الشعراء

﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوْحَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٠٥ - ١١٥ ٧٤

﴿ قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْضْدَلُونَ ﴾ ١١١ - ١١٣ ٧٦

القصص

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ ٣٦ - ٣٧ ٦٣

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ٣٨ ١١٩

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ ٤٦ - ٥٠ ٧١

﴿ إِنْ قُلْتُمْ كُنَّا مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبُعَى ﴾ ٧٦ - ٧٨ ٧٢

العنكبوت

٥٤	٥٢	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ﴾
١٦٨	٦٨	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
١٣١	٦٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

الأحزاب

٣٦	٣٣	﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾
١٦٨-١٦٧ ..	٦٢-٦٠	﴿ لَّيْنٌ لَّرِينِهِ الْمُنْفِقُونَ ﴾
٧	٧١-٧٠	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

سبا

٧١	٣٩-٣٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾
----------	-------	--

فاطر

١٦٧	٤٣-٤٢	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾
-----------	-------	---

الصافات

١١١	١٥٢-١٥١	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ ﴾
٢٥٩	١٧-١٦	﴿ أَوَذَا مِّنَّا وَكَأَنرَابًا ﴾
١١٣	١٦٣-١٤٩	﴿ فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَّيْكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾

ص

٦٤	٧-٦	﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾
٦٥	٢٤	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ ﴾
١٤٤	٢٧	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾

الزمر

- ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ٢-٣ ٥٥
 ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ ٣٢ ١٦٨

غافر

- ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ ٢٦ ١٩٣

فصلت

- ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ ٥ ٨٥
 ﴿ وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ ٢١-٢٣ ١٠٩

الشورى

- ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ ١٥ ٤١

الزخرف

- ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ ١٥ ١١٤
 ﴿ وَإِذَا بَشِيرٌ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ ﴾ ١٧ ١١٤
 ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ ﴾ ٢٣-٢٤ ٦١
 ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ ﴾ ٣٠-٣٢ .. ٢٤٩، ١٩٥
 ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ٣٣ ٧٢
 ﴿ وَجَعَلُوا أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ هُمْ عِبُدُ الرَّحْمَنِ إِنِّ شَاءَ ﴾ ١٩-٢٢ ١٣٠
 ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ ﴾ ٨٦ ١٥٨

الدخان

- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْتِ ﴾ ٣٨-٣٩ ١٤٤
 ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ٢٥-٢٩ ١٦٢

الجبائية

- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ ١٨ ٤١
 ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ ٢٤ ١٣٣

الأحقاف

- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ ١٠ - ١١ ٧٨
 ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ ٢٤ - ٢٦ ٦٨

الفتح

- ﴿ وَلَوْ فَتَنَّاكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرَ ﴾ ٢٢ - ٢٣ ١٦٧
 ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ٢٩ ١٧٠

الحجرات

- ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ ١٣ ٢٤٦

ق

- ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ ٤ ١٩٥
 ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ ٥ ١٩٥ ، ٢٦٣

الذاريات

- ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ ٧ - ١١ ١٩٥ - ١٩٦

النجم

- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴾ ١٩ - ٢٧ .. ١١٣ - ١١٤

الواقعة

- ﴿ فَلَا أَمْسَ بِمَوْقِعِ الْجُومِ ﴾ ٧٥ ١٣٩
 ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴾ ٨١ - ٨٢ .. ١٣٩ ، ٢٣٨

الجمعة

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِلَّيْنِ هَادُوا﴾ ٦ ٢١٣

المنافقون

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ ٣-١ ٢٠٧ ح

التغابن

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ ٧ ٢٥٨

﴿فَأَنفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ١٦ ٥٨

نوح

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ ٢٢-٢٤ ٢١٠

القيامة

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ٣٦ ١٤٥

الإنسان

﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٣١ ٤٢

عبس

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ١ ٧٧

الفيل

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١ ٢٢٧

قريش

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ ١ ٢٢٧

الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٤-١ ١١١

* * *

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث أو الأثر
٤٣	أبغض الناس إلى الله ثلاثة
٢٣٧	أربع في أمتي من أمر الجاهلية
١٣٥	استقرضت عبدي فلم يقرضني
١٨١	الاستواء غير مجهول
١٩٧	افترقت اليهود
٢٣٢	أكان فيها صنم
١٦٩	إن الله يملئ للظالم
٣٦	إنا كنا في جاهلية وشر
٢٤٠، ٣٨، ٣٦	إنك امرؤ فيك جاهلية
١١٤	إنما فاطمة بضعة مني
٢٢٢	أولئك قوم إذا مات فيهم
١٧٢	أنتم أهل كتاب
٢٣٥	بعت مكرمة قریش
٣٩	خالفوا المشركين
٤٠	خالفوا اليهود
١٨٥	الخوارج كلاب أهل النار

٢٣٣ دخل الجنة رجل في ذباب
٥٩ دخلنا على عبادة بن الصامت
١٨٤ صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي
٢٢١ قاتل الله اليهود والنصارى
١٨٣ القدرية مجوس هذه الأمة
٢٠٣ كان أناس من العرب يطوفون بالبيت عراة
٢٠٤ كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتاً
١٠٩ كنت مستتراً بأستار الكعبة
١٦٠ كيف الحرب بينكم وبينه
٣٥ لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله
١٣٥ لا يسب أحدكم الدهر
٨٣ ، ٤٣ لتبعن سنن من كان قبلكم
٢٢٢ لعن الله زائرات القبور
٢٢٢ ، ٢٢١ لعن الله اليهود والنصارى
١٦٩ مثل المؤمن كمثل خامه الزرع
٢٥٤ مر الملاء من قريش على النبي ﷺ
٢٥٥ مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة
١٧٧ معاذ الله أن نعبد غير الله
٩٧ من كان على مثل ما أنا عليه
٥٩ من كره من أميره شيئاً
١٩٨ هم أهل البدع والأهواء
٢١٤ والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم
٢١٥ وهم ما أنا عليه وأصحابي

٩٧ وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي
٢٤٦ يا فاطمة بنت محمد
٤٠ يا معشر الأنصار
٥٩ يرضى لكم ثلاثاً
١٨٣ يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة
١٨٥ يمرقون من الإسلام

* * *

فهرس الأعلام

الاسم ورقم الصحيفة	الاسم ورقم الصحيفة
ابن عمر ٣٩	إبراهيم ثابت الألوسي ٢٦
ابن القيم ١٢٥ ، ١٤٥	ابن الأثير ٣٣
ابن كثير ٤٢	ابن إسحاق ١٥٢ ، ١٧٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨
ابن مسعود ١٠٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥	ابن تيمية ٣٥ ، ٤٢ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ٢٢٤
ابن مكتوم ٢٢٥	ابن جريج ١٠٨ ، ٢١٦
ابن المنذر ٢٥٥	ابن جرير ٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ٢٥٤ ، ١٩٨
ابن منظور ٣٣	ابن زيد ٢٥٦
أبو أمانة ٤٠	ابن سوريا ٢١٩
أبو الثناء الألوسي = محمود شهاب الدين	ابن عباس ٣٢ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٢١ ، ٢١٨
أبو جهل ١٠٨	ابن عبد البر ٤٤
أبو داود ١٣٥ ، ١٩٧	
أبو ذر ٣٦ ، ٣٨ ، ٢٤٠	
أبو سفيان ١٧٢	
أبو الشيص الخزاعي ٥٣	

أبو صالح ٢١٧	الترمذي ١٠٩ ، ١٩٧
أبو طالب ٢٥٥	الجرجاني ١٣٣ ح
أبو العتاهية ١٠٣ ح	جنادة بن أبي أمية ٥٩
أبو العلاء المعري ٨٧ ح	الحارث الدمشقي ١٦٩
أبو نواس ٥٣ ح	الحارث بن زيد ٢١٨
أبو محمد ابن قتيبة = عبد الله بن قتيبة	الحارث بن عمرو بن نوفل ٢٥٥
أبو معاوية ٢٢٧	الحاكم ١٣٥
أبو موسى الأشعري ١٦٩	حبیب بن عمرو الثقفي ٢٤٩
أبو هريرة ١٦٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨	الحسن البصري ١٨١
أحمد بن حنبل ١٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦	حسين بن غنام ١٨
أحمد الرفاعي ٢٤٦	حسين بن محمد بن عبد الوهاب ١٨
أحمد بن القاسم ٢٢٥	الحكيم الترمذي ١٩٨
الأسود العنسي ١٦٩	حكيم بن حزام ٢٣٥
الأعمش ٢٢٧	حمد بن ناصر بن معمر ١٨
الأقرع بن حابس ٢٥٤	حيي بن أخطب ١٧٢
أم حبيبة ٢٢٢	خباب ٢٥٤
أم سلمة ٢٢٢	الخضر ٢٢٤
بابك الخرمي ١٢٠ ، ١٦٩	داود بن جرجيس ٢١
البخاري ٥٩ ، ١٠٩ ، ٢٠٢ ، ٢٣٧	الدجال ١٦٥
بخت نصر ١٦٣ ، ١٦٤	دوقلة المنبجي ٥٣ ح
بلال ٢٥٤ ، ٢٥٥	ذو الرمة ٥٣ ح
البيهقي ٢٥٤	الرازي ٢٦٢
	الرئيس ١٧٧

عبد الرحمن بن حسن ١٨
عبد العزيز الحصين ١٨
عبد الكريم السيد عباس الشихلي
٢٦ ، ٢٧ ، ٢٦٥
عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن
حسن ٢١
عبد الوهاب بن سليمان ١٧
عروة بن مسعود الثقفي ٢٥٠
عزير ١١٥
عكرمة ٢٥٥
علي بن جبلة ٥٢ ح
علي بن أبي طالب ٢٢٤
علي بن محمد بن عبد الوهاب ١٨
عمار ٢٥٤ ، ٢٥٥
عمر بن الخطاب ٢٥٥
عمرو بن عبد عمرو ٢٥٥
عمرو بن عبيد ١٨٧
عمرو بن كلثوم ٣١
عمرو بن لحي الخزاعي ١٥٣
عون بن عبد الله ١٣٨
عينه بن حصن ٢٥٤
الفاروقي ١١٧
الفرسئل ١١٧

سالم مولى أبي حذيفة ٢٥٥
السدي ٨٦ ، ١١٢ ، ١٧٦
سعيد بن منصور ٢٢٧
سليمان بن علي ١٧
شعبة ٢٤٠
الشوكاني ٣٧
شيبه بن ربيعة ٢٥٥
صبيح مولى أسيد ٢٥٥
صهيب ٢٥٤
ضباعة بنت عامر بن صعصعة
١٠٢ ح
الضحاك ٢١٦
الطبراني ١٩٨
عائشة ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
عبادة بن الصامت ٥٩
عبد الله بن إبراهيم بن سيف
النجدي ١٧
عبد الله بهاء الدين بن محمد
الألوسي ٢٠ ، ٢١
عبد الله بن خلف بن دحيان ٢٦
عبد الله بن سلام ٢١٩
عبد الله بن قتيبة ١٨٢
عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ١٨

محمد بن وضاح ٢٢٧
 محمود شهاب الدين الألوسي
 ٢١ ، ٢٠
 مرثد بن أبي مرثد ٢٥٥
 مزدك ١٢٠
 مسلم ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ٢٠٢ ،
 ٢٣٧ ، ٢٢١
 مسيلمة ١٠٨ ، ١٦٩
 مطعم بن عدي ٢٥٥
 المعرور بن سويد ٢٢٧ ، ٢٤٠
 مقاتل ١٠٨ ، ١١٤
 مقداد بن عمرو ٢٥٥
 النسائي ١٠٩
 النعمان بن عمرو ٢١٨
 النووي ٣٢
 واصل واقد بن عبد الله الحنظلي
 ٢٥٥
 الوليد بن المغيرة المخزومي
 ٢٤٩ ، ٢٥٠

فرعون ١٦٥
 قتادة ٨٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١٩٧
 قرظة بن عبد بن عمرو بن نوفل
 ٢٥٥
 كعب ١٧٣
 الكلبي ١١٥ ، ٢٠٤
 الكيلاني ٢٢٤ ، ٢٧٣
 المتنبي ٥٤ ح
 مجاهد ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ،
 ١٩٠
 محب الدين الخطيب ٢٥
 محمد بهجة الأثري ٢٦
 محمد بن جعفر بن الزبير ٢١٧
 محمد حياة سندي ١٧
 محمد بن عبد اللطيف الأحسائي
 ١٨
 محمد بن عبد الوهاب ١٧
 محمد قطب ٣٣
 محمد المجموعي ١٨

* * *

فهرس الأبيات الشعرية

رقم الصحيفة	القافية	أول البيت
٥٣	الأشياء	والضد
٢٤٧	أبي	إن الفتى
١١٩	واحد	وفي كل
٢٠٦	ذكر	أقال الله
١٠٦	الوزرا	نهانا
٢١٠	نستجير	وقد جربتهم
٢٥٩	عمرو	حياة
٨٧	الصغر	والنجم
١٣٤	لا تمسي	منع
٢٤٧	بنفسه	وما الفخر
٢١٧	بديع	تعصي
٢١٧	مطيع	لو كان
٧٢	مرزوقا	كم عالم
١٨٩ ، ٩٦	بذاكا	وكل يدعي
١٩٢	الزلالا	ومن يك
٦٥	قليل	تغيرنا

٧٣	مال	رضينا
٧٣	لا يزال	فإن المال
٢٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٢ ..	فلا أحله	اليوم
١٠٢	تمله	أختم
١٣٤	نبالي	رماني
١٣٤	النصال	و كنت
١٠٦	بالعقول	شربت
٢٥١	نزل	فاعتبر
١٠٣	الخصوم	إلى ديان
٢٥٢	النعيم	رب حلم
٢٤٧	عظام	أقول لمن
٢٤٧	بالعظام	أتقنع
٢٥٨	بالسنام	وماذا
٢٥٨	الكرام	وماذا
٢٥٨	سلام	تحينا
٢٥٨	وهام	يحدثنا
١١٨	الرباني	قل للفرسئل
١١٨	نقصان	أنت الذي
١١٨	نصراني	ونسيت
١٨٦	قرآن	ومن العجائب
١٨٦	الإنسان	حشوية
١٨٦	الأكوان	ويظن
١٨٦	والسلطان	إذ قولهم

مكان	١٨٦	ظن الحمير
الأزمان	١٨٦	والله لم يسمع
البهتان	١٨٦	لا تبهتوا
الأكوان	١٨٧	بل قولهم
السلطان	١٨٧	حقاً كخردلة
العدوان	١٨٧	أثرونه
ولا كتمان	١٨٧	كم ذا
الأزمان	١٨٧	تدرون
الشیطان	١٨٧	سمى به
الإرثان	١٨٧	فورثتم
بوزان	١٨٧	تدرون
القرآن	١٨٧	من قد
والإيمان	١٨٧	هذا هو
الأذهان	١٨٧	وردوا
والأنتان	١٨٧	ووردتم
الكسلان	١٨٨	وكسلتم
العشي	١٣٤	أشاب



فهرس الأمم والقبائل والأحلاف

والأديان والفرق والمذاهب

بنو إسرائيل ١٦٠ ، ١٦٣ ، ٢٦١	الإسماعيلية ١٢١
الجبرية ١٨٢	الأشاعرة ٢٠٨
الحاكمية ١٢٢	أهل الباطل ١٨٢
الحشوية ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٧	أهل البدع (المبتدعة) ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٢٠٨ ، ١٩٩
الحمس ١٠٢ ، ٢٠٢	أهل الجاهلية ١٥٣ ، ١٧١ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ ، ٢٠٤
الخرمية ١٢٠	أهل الحديث ١٨٢ ، ١٨٥
الخزرج ٥٧	أهل الحق ١٨٩
الخوارج ١٨٥	أهل السنة ١٨٢ ، ١٨٦
الدهرية ١٣٤	أهل الكتاب (الكتايبون) ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٩٧ ، ٢٦٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٦٠
الرافضة ١٨٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٨	أهل مكة ١٧٢
الروم ١٦٠	الأوس ٧
الزرارية ١٢٢	
الزنادقة ١١٥	
زنادقة الصوفية ٢٠١	

مشركو قريش ١٢٤
المعتزلة ١٢٦
النصارى ١٥٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
١٨٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ،
٢٥٨
نصارى نجران ١٥٢ ، ١٧٧ ، ٢١٧
النصيرية ١٢١
اليهود ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ،
١٥٤ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
١٨٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ،
٢٦١
يهود خيبر ١٧٦ ، ٢١٤
يهود قرى عرين ١٧٦
يهود المدينة ٢١٤

السلف ١٤٥ ، ١٨١ ، ١٨٢
الشيعة ٢٢٤
الصابئة ١٨٠
عبدة الأوثان ١٦٤
العبودية ١٢٢
الفاطمية ١٢٢
القدرية ١٨٣ ، ١٨٤
القرامطة ١٢١
قريش ١٧٢ ، ٢٠٢
الكيسانية ١٢٢
المتصوفة ٢٠٨ ، ٢٦٠
المجسمة ١٨٥
المجوس ١١٨ ، ١٢٢
المرجئة ١٨٤
المزدكية ١٢٠
المشبهة ١٨٦

* * *

فهرس الكتب الواردة في الكتاب

روح المعاني (تفسير الجد) ١٣١ ، ١٧٩	أساس التقديس ٢٦٢
سنن سعيد بن منصور ٢٢٧	الإنجيل ١٧٨
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١٢٥ ، ١٤٥	بلوغ الأرب في أحوال العرب ٢٦٤
صحيح البخاري ١٨٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠	تأويل مختلف الأحاديث ١٨٢
صحيح مسلم ١٨٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠	تفسير ابن جرير ٢٥٤
الغنية ١٨٥	تفسير سورة الإخلاص ١١٦
الكافية الشافية ١٨٦	التوراة ١٧٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٨
مسند أحمد ٢٥٣	جواب أهل الإيمان في التفاضل بين آيات القرآن ١٨٢
معجم الطبراني ٢٥٣	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١١٦ ، ١٧٩ ، ٢٦١
منهاج السنة ٩٨	حجة الله البالغة ١٨٦
	دلائل النبوة ٢٥٤

* * *

فهرس المراجع

- ١ - إثبات صفة العلو ، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، حققه وعلق عليه د/ أحمد بن عطية الغامدي ، مؤسسة علوم القرآن ببيروت ، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية ، ط ١٤٠٩ هـ.
- ٢ - الأجوبة على أحاديث المصابيح ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
- ٣ - أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المعروف بالقرماني ، تحقيق فهمي سعد ، عالم الكتب ببيروت ، ط ١٤١٢ هـ.
- ٤ - أخبار المدينة النبوية ، لعمر بن شبة ، تحقيق عبد الله الدويش ، دار العليان ببريدة .
- ٥ - الأخبار النجدية ، لمحمد بن عمر الفاخري ، تحقيق د/ عبد الله بن يوسف الشبل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٦ - الأربعون حديثاً ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، حققه وخرج أحاديثه بدر البدر ، مكتبة المعلا بالكويت ، ط ١٤٠٨ هـ.
- ٧ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم = تفسير أبي السعود ، للقاضي أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ، مكتبة الرياض الحديثة . ط ١٤٠١ هـ.

- ٨ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط ١/١٣٩٩ هـ .
- ٩ - الأزمنة وتلبية الجاهلية ، لأبي علي محمد بن المستنير قطرب ، حققه وقدم له د/ حنا جميل حداد ، مكتبة المنار بالزرقاء في الأردن ، ط ١/١٤٠٥ .
- ١٠ - الأسماء والصفات ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق عماد الدين حيدر ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط ١/١٤٠٥ .
- ١١ - الاشتقاق ، لمحمد بن الحسن الأزدي المعروف بابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٨ .
- ١٢ - أصل الشيعة وأصولها ، لمحمد حسين آل كاشف الغطا ، قدم له مرتضى العسكري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ٤/١٤٠٢ .
- ١٣ - أضواء على العقيدة الدرزية ، لأحمد الفوزان ، دار الوثائق بالكويت ، ط ٣/١٤١٠ .
- ١٤ - الاعتقاد ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق أحمد مرسي ، حديث أكاديمي باكستان .
- ١٥ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للرازي ، مراجعة علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٤٠٢ .
- ١٦ - أعلام العراق ، لمحمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٥ .
- ١٧ - إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ببيروت .
- ١٨ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لأبي العباس

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق ناصر العقل ، ط ١/١٤٠٤ .

١٩ - الأمالي في لغة العرب ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت .

٢٠ - الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ ، عبد الله بن سعد الرويشد ، رابطة الأدب الحديث ، ط ٢/١٤٠٤ .

٢١ - الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣ .

٢٢ - الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بالرياض ، للباحث محمد السكاكر .

٢٣ - الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، لأبي بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق د/ ذيب القحطاني ، ١٤٠٩ .

٢٤ - الأنواء في مواسم العرب ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .

٢٥ - الأنواء والأزمئة ومعرفة أعيان الكواكب في النجوم ، لعبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي ، تحقيق د/ نوري حمود القيسي ومحمد نايف الدليمي ، دار الجيل بيروت ط ١/١٤١٦ .

٢٦ - أيام العرب قبل الإسلام ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، جمع وتحقيق ودراسة د/ عادل جاسم البياتي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ط ١/١٤٠٧ .

٢٧ - البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر بيروت ، ط ٢/١٤٠٣ .

- ٢٨ - بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، جمع من الباحثين ،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٢٩ - البدء والتاريخ ، المنسوب إلى المطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة
الثقافة الدينية بمصر .
- ٣٠ - البدع والنهي عنها ، لابن وضاح ، تحقيق محمد دهمان ، دار
البصائر بدمشق ، ط ٢ / ١٤٠٠ .
- ٣١ - البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، لأبي الفضل السكسكي ،
تحقيق د/ بسام العموش ، مكتبة المنار ط ١ / ١٤٠٨ .
- ٣٢ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، لمحمود شكري الألوسي ،
عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب
العلمية ، ط ٢ .
- ٣٣ - بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس ، لأبي عمر
يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق
محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ٢ / ١٩٨٧ .
- ٣٤ - البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، دار الفكر
للجميع .
- ٣٥ - تاج العروس في شرح القاموس ، لمحب الدين أبي الفيض محمد
مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار الكتاب العربي ، مصور عن الطبعة الأولى .
- ٣٦ - تاريخ الإسلام ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد التركماني
المعروف بالذهبي ، تحقيق د/ عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب
العربي بيروت .
- ٣٧ - تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، د/ عبد الله فياض ، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات ، ط ٣ / ١٤٠٦ .

- ٣٨ - تاريخ الدولة السعودية ، لأمين سعيد ، دار الملك عبد العزيز بالرياض .
- ٣٩ - تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف .
- ٤٠ - تاريخ الفرق الإسلامية ، لمحمد خليل الزين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ١٩٨٥/٢ .
- ٤١ - تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي ١٩٨٧ .
- ٤٢ - تاريخ اليعقوبي ، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي المعروف باليعقوبي ، دار صادر ، ١٤١٢ .
- ٤٣ - تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٤٤ - تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر بيروت .
- ٤٥ - تاريخ واسط ، لبحشل ، تحقيق كوركيس عواد ، عالم الكتب بيروت ، ط ١٤٠٦/١ .
- ٤٦ - التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين ، لأبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني (ت ٤٧١) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت ، ط ١٤٠٣/١ .
- ٤٧ - التدمرية ، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق محمد السعوي ، ط ١٤٠٥/١ .
- ٤٨ - التعريفات ، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٥ .

- ٤٩ - تفسير القرآن ، لعبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق د/مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، ط ١ / ١٤١٠ .
- ٥٠ - تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي ، دار إحياء الكتب العربية .
- ٥١ - تفسير القرآن العظيم ، للإمام عبد الرحمن محمد بن إدريس الرازي المشهور بابن أبي حاتم ، تحقيق د/ أحمد العماري ، مكتبة الدار بالمدينة النبوية ، ط ١ / ١٤٠٨ .
- ٥٢ - تلبيس إبليس ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ / ١٤٠٣ .
- ٥٣ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، تحقيق د/ شعبان إسماعيل ، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .
- ٥٤ - التمهيد في أصول الفقه ، لأبي الخطاب الكلوذاني ، دراسة وتحقيق مفيد أبو عمشة ، جامعة أم القرى ، ط ١ / ١٤٠٦ .
- ٥٥ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخرين ، مؤسسة قرطبة .
- ٥٦ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ، قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثري ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٣٦٨ .
- ٥٧ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٢ / ١٤٠٣ .

٥٨ - تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، حققه وقدم له عبد السلام هارون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر .

٥٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ١٤٠٥ .

٦٠ - الجامع الصحيح ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية بإستانبول ١٩٨١ .

٦١ - الجامع الصحيح ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

٦٢ - الجامع الصحيح ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ١٣٩٨/٢ .

٦٣ - الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .

٦٤ - الجامع لشعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤١٠/١ .

٦٥ - جاهلية القرن العشرين ، لمحمد قطب ، دار الشروق ١٤٠٩ .

٦٦ - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، لأبي زيد القرشي ، حققه وضبطه وزاد في شرحه علي البجاوي .

٦٧ - جمهرة الأمثال ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه د/ أحمد عبد السلام ، وخرج أحاديثه أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤٠٨/١ .

٦٨ - جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ، ط ١/١٤٠٣ .

٦٩ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني ، تحقيق علي بن حسن بن ناصر وزملائه ، دار الوطن ، ط ١/١٤١٤ .

٧٠ - الجواب الفسیح لما لفقه عبد المسيح ، لمحمد الألوسي ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، دار الجيل بیروت ، ط ١ .

٧١ - الجواب الکافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، دار الندوة الجديدة ، ط ٣/١٤٠٠ .

٧٢ - حجة الله البالغة ، لأحمد شاه ولي الله الدهلوي ، دار الكتاب الإسلامي .

٧٣ - الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د/محمد الخطيب ، مكتبة الأقصى بعمان الأردن ، ط ٢/١٤٠٦ .

٧٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتاب العربي ، ط ٤/١٤٠٥ .

٧٥ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لحسين خزعل ، دار الكتب بیروت ، ط ١/١٩٦٨ .

٧٦ - الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ٢ .

٧٧ - خبيئة الأكوان في معرفة المذاهب والأديان ، لصديق حسن خان ، دار الكتب العلمية بیروت ، ط ١/١٤٠٥ .

٧٨ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي ، دار صادر .

٧٩ - داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب ، لعبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، ط ١ / ١٩٧٤ .

٨٠ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لأبي بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الفكر بيروت .

٨١ - درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ / ١٣٩٩ .

٨٢ - دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقص ، لعبد العزيز العبد اللطيف ، مكتبة طيبة بالرياض ، ط ١ .

٨٣ - دلائل النبوة ومعرفة صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ / ١٤٠٥ .

٨٤ - ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، لعبد الله الجبوري ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط ١ / ١٤٠٤ .

٨٥ - ديوان أبي الطيب المتنبّي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة بيروت .

٨٦ - ديوان أبي العتاهية ، دار صادر بيروت .

٨٧ - ديوان الأخرس ، لعبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب الموصلي البغدادي البصري ، حققه وعلق عليه وليد الأعظمي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ط ١ / ١٤٠٦ .

- ٨٨ - ديوان الإمام الشافعي ، جمع محمد عفيف الزعبي ، مؤسسة الزعبي بيروت ، ط ٣ / ١٣٩٢ .
- ٨٩ - ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، شرح الدكتور يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، ط ٦ / ١٤٢٠ .
- ٩٠ - ديوان السموئل بن عاديا ، المكتبة الشعبية .
- ٩١ - ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر بيروت .
- ٩٢ - ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق وشرح أنطوان محسن القوال ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ / ١٤١٥ .
- ٩٣ - ديوان طرفة بن العبد ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ / ١٤٠٧ .
- ٩٤ - ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وحققه وشرحه د/ إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، ط ١ / ١٤١١ .
- ٩٥ - ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة للسنّة والمبتدعين ، لسعد اليافعي ، تحقيق د/ موسى الدويش ، دار البخاري بالمدينة النبوية ، ط ١ / ١٤١٠ .
- ٩٦ - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق د/ سليمان النعيمي .
- ٩٧ - الرد على الجهمية ، لعثمان بن سعيد الدارمي ، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه : بدر البدر ، الدار السلفية بالكويت ، ط ١ / ١٤٠٥ .
- ٩٨ - الرد على الرافضة ، لأبي حامد محمد المقدسي ، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن ، الدار السلفية بالهند ، ط ١ / ١٤٠٣ .
- ٩٩ - الرد على المنطقيين ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، إدارة ترجمان السنّة بباكستان ، ط ٢ / ١٣٩٦ .

١٠٠ - رسائل العدل والتوحيد ، للحسن البصري ، والقاضي عبد الجبار ،
والقاسم الرسي ، والشريف المرتضى ، ويحيى بن الحسين ، تحقيق
د/ محمد عمارة ، دار الشروق ، ١٤٠٧ .

١٠١ - روح التشيع ، لعبد الله نعمة ، دار البلاغة ببيروت ، ١٤١٣ .

١٠٢ - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي القاسم
السهيلي ، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الروؤف سعد ، دار الفكر
بيروت .

١٠٣ - روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي
الإسلام ، للشيخ حسين بن غنام ، حرره وحققه ناصر الدين الأسد ،
وقابله على أصله الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ ، ط ٣/ ١٤٠٣ .
١٠٤ - روضة الناظر وجنة المناظر في علم أصول الفقه ، لموفق الدين
أبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي ، راجعة سيف الدين الكاتب ،
دار الكتاب العربي ، ط ١/ ١٤٠١ .

١٠٥ - روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، للشيخ
محمد بن عثمان القاضي ، مطبعة الحلبي ، ط ٣/ ١٤١٠ .
١٠٦ - زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ،
المكتب الإسلامي .

١٠٧ - سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ، شرحه أحمد شمس الدين ، دار
الكتب العلمية ببيروت ، ط ١/ ١٤٠٨ .

١٠٨ - السنة ، لابن أبي عاصم ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة ،
للشيخ ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ببيروت ، ط ١/ ١٤٠٠ .

١٠٩ - السنة ، لمحمد بن نصر المروزي ، خرج أحاديثه وعلق عليه سالم
السلفي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١/ ١٤٠٨ .

١١٠ - السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ، لمحمد رشيد رضا ، المنار
١٣٤٧ .

١١١ - السنن ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، إعداد وتعليق
عزت عبيد الدعاس وصاحبه ، دار الحديث ، مصورة عن الطبعة
الأولى ١٣٨٨ .

١١٢ - السنن ، لعلي بن عمر الدارقطني ، عني به عبد الله هاشم المدني ،
دار المحاسن بالقاهرة .

١١٣ - السنن ، لمحمد بن زيد الربيعي ، أبي عبد الله ابن ماجه القزويني ،
حقق نصوصه ، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمود فؤاد عبد الباقي .
١١٤ - سنن الدارمي ، دار الفكر بيروت .

١١٥ - السنن الصغرى (المجتبى) ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب
النسائي ، اعتنى به ورقمه وصنع فهرسه : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب
المطبوعات الإسلامية ، ط ٢ .

١١٦ - السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الفكر
بيروت .

١١٧ - السنن الكبرى ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق
د/ عبد الغفار بن سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب
العلمية بيروت ، ط ١/١٤١١ .

١١٨ - سير أعلام النبلاء ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، أشرف
على تحقيقه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ،
ط ٢/١٤٠٢ .

١١٩ - سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لأمين سعيد ، دار
الملك عبد العزيز بالرياض ، ١٣٩٥ .

١٢٠ - السيرة النبوية ، لابن هشام ، حققها مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ٢ .

١٢١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي .

١٢٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق د/ أحمد سعد حمدان ، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .

١٢٣ - شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة بمصر ، ط ٢ / ١٤٠٨ .

١٢٤ - شرح السنة ، للحسين بن مسعود البغوي ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ / ١٤٠٣ .

١٢٥ - شرح القصائد العشر ، للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، ضبطه وصححه عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ / ١٤٠٥ .

١٢٦ - شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ، لأبي جعفر النحاس ، دار الكتب العلمية بيروت .

١٢٧ - شرح المعلقة السبع ، للحسين بن أحمد الزوزني ، صححه وراجع له لجنة من الأدباء ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ .

١٢٨ - شرح المفضليات ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، المعروف بالخطيب التبريزي ، تحقيق علي البجاوي ، دار نهضة مصر للطباعة . ١٩٧٧ .

- ١٢٩ - شرح ديوان الحماسة ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، المعروف بالخطيب التبريزي ، عالم الكتب ببيروت .
- ١٣٠ - شرح ديوان المتنبي ، المنسوب لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، برلين .
- ١٣١ - شرح صحيح مسلم ، لأبي زكريا يحيى النووي ، دار الفكر .
- ١٣٢ - شرح مقامات الحريري ، للشريسي ، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي ، دار الغرب الإسلامي .
- ١٣٣ - الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، أنصار السنة المحمدية .
- ١٣٤ - شعر علي بن جبلة ، جمعه وحققه د/ حسين عطوان ، دار المعارف بالقاهرة ط ٣ .
- ١٣٥ - الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .
- ١٣٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، دار المعرفة ببيروت .
- ١٣٧ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لأحمد بن حجر آل بوطامي .
- ١٣٨ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، د/ عبد الله العثيمين ، دار العلوم بالرياض .
- ١٣٩ - الشيعة والتصحيح ، د/ موسى الموسى ، ١٤٠٨ .
- ١٤٠ - صب العذاب على من سب الأصحاب ، محمود شكري الألوسي ، تحقيق عبد الله البخاري ، ط ١/ ١٤١٧ .

- ١٤١ - الصحاح ، لإسماعيل الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢/ دار العلم للملايين بيروت .
- ١٤٢ - الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحة ، دار المنار للطباعة والنشر ، ط ١/ ١٤٠١ .
- ١٤٣ - الضعفاء الكبير ، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي ، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١/ ١٤٠٤ . طبعة أخرى ، قدم لها وأشرف على طبعها علي المدني ، مكتبة المدني ومطبعتها .
- ١٤٤ - الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري البصري ، دار صادر بيروت .
- ١٤٥ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لعبد الرحمن بن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ .
- ١٤٦ - العدة في أصول الفقه ، لأبي يعلى الفراء الحنبلي ، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه د/ أحمد بن علي سير مباركي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ١/ ١٤٠٠ .
- ١٤٧ - عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر ، لإبراهيم بن عيسى ، دار اليمامة بالرياض .
- ١٤٨ - العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون ، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣ .
- ١٤٩ - عقيدة الدروز عرض ونقض ، لأحمد بن محمد الخطيب ، عالم الكتب ، ط ٣/ ١٤٠٩ .

- ١٥٠ - عقيدة السلف أصحاب الحديث ، لأبي عثمان الصابوني ، تحقيق بدر البدر ، الدار السلفية بالكويت ، ط ١/١٤٠٤ .
- ١٥١ - عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، د/ صالح العبود ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط ٣/١٤١٧ .
- ١٥٢ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية بباكستان ، ط ٢/١٤٠١ .
- ١٥٣ - العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، لعلي بن عمر الدارقطني ، تحقيق محفوظ الرحمن السلفي ، دار طيبة بالرياض ، ط ١/١٤٠٥ .
- ١٥٤ - علماء نجد خلال ستة قرون ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، مكتبة النهضة الحديث بمكة المكرمة ، ط ١/١٣٩٨ .
- ١٥٥ - عنوان المجد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن بشر ، مكتبة الرياض الحديثة .
- ١٥٦ - عيون الأخبار ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه وضبطه وعلق عليه د/ يوسف طویل ، دار الكتب العلمية ببيروت .
- ١٥٧ - الغنية لطالبي طريق الحق ، لعبد القادر الجيلاني ، مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢/١٣٧٥ .
- ١٥٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، قام بإخراجه وتحقيقه محب الدين الخطيب ، رقمه محمود فؤاد عبد الباقي ، المكتبة السلفية ، ط ٣/١٤٠٧ .

- ١٥٩ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط ٢ / ١٤١١ .
- ١٦٠ - فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي ، دار الأضواء ، ط ٢ / ١٤٠٤ .
- ١٦١ - الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ببيروت .
- ١٦٢ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ، تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر وصاحبه ، دار الجيل ببيروت .
- ١٦٣ - فهرس الفهارس والأثبات ، عبد الحي الكتاني ، اعتناء د/ إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ / ١٤٠٢ .
- ١٦٤ - الفهرست ، لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق ، المعروف بابن النديم ، تحقيق رضا تجدد ، دار المسيرة ط ٣ / ١٩٨٨ .
- ١٦٥ - في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام ، د/ محمد إبراهيم فيومي ، عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٩ .
- ١٦٦ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لزين الدين عبد الرؤوف بن علي المناوي ، دار المعرفة ببيروت .
- ١٦٧ - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ، تحقيق د/ السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط ١ / ١٤٠٥ .
- ١٦٨ - القول في علم النجوم ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ، درسه وحققه د/ يوسف بن محمد السعيد ، دار أطلس للنشر والتوزيع بالرياض ، ط ١ / ١٤٢٠ .

١٦٩ - الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، دار المعرفة بيروت .

١٧٠ - الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، دار الكتاب العربي ، ط ١٤٠٣/٤ .

١٧١ - الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي ، كتب هوامشه : نعيم زرزور ، تغايرد بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١٤٠٧/١ .

١٧٢ - الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ، قرأها ودققها على المخطوطات يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، ط ١٤٠٩/٣ .

١٧٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة بيروت .

١٧٤ - لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور ، دار صادر .

١٧٥ - لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، لمؤلف مجهول ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن آل الشيخ ، دار الملك عبد العزيز بالرياض .

١٧٦ - المبسوط في القراءات العشر ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن بيروت ، ط ١٤٠٨/٢ .

١٧٧ - مجاز القرآن ، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى ، عارضه بأصواله
وعلق عليه: د/محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة بيروت ،
ط ١٤٠١/٢ .

١٧٨ - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل محمد بن أحمد الميداني ، تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الحلبي .

١٧٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر
الهيثمي ، دار الكتاب العربي ، ط ١٤٠٣/٣ .

١٨٠ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن القاسم
وابنه محمد ، شؤون الحرمين .

١٨١ - مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية .

١٨٢ - المحاضرات في الآداب واللغة ، للحسن اليوسي ، تحقيق وشرح
محمد حجي وأحمد الشرقاوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت .

١٨٣ - المحصول في علم الأصول ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ،
دراسة وتحقيق طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤١٢/٢ .

١٨٤ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، لعلي بن إسماعيل بن سيده ،
تحقيق عبد الستار فراج ، دار الكتاب الإسلامي بمصر .

١٨٥ - محمد بن عبد الوهاب ، لأحمد عبد الغفور عطار ، ط ١ .

١٨٦ - مختصر التحفة الاثني عشرية ، لمحمود شكري الألوسي ، تحقيق
محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية بمصر .

١٨٧ - مختصر العلو ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد
التركماني المعروف بالذهبي ، اختصر الشيخ محمد ناصر الدين
الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط ١٤٠١/١ .

١٨٨ - المختصر في أخبار البشر ، لعماد الدين إسماعيل أبي الفدا ، مكتبة المتنبي بالقاهرة .

١٨٩ - المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حققه ودرسه وشرحه : يوسف بن محمد السعيد ، دار المؤيد للنشر والتوزيع بالرياض ، ط ١ / ١٤١٥ .

١٩٠ - المستدرک على الصحيحين ، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع النيسابوري ، دار الكتاب العربي .

١٩١ - المستقصى في أمثال العرب ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ٢ / ١٤٠٨ .

١٩٢ - المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر ، لمحمود شكري الألوسي ، تحقيق د/ عبد الله الجبوري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ .

١٩٣ - المسند ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، المكتب الإسلامي ، ط ٥ / ١٤٠٥ .

١٩٤ - المسند ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت ، ط ١ / ١٤٠١ .

١٩٥ - مسند الطيالسي ، لأبي داود سليمان بن الجارود الفارسي البصري ، دار المعرفة ببيروت .

١٩٦ - مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن آل الشيخ ، دار اليمامة بالرياض ، ط ١ / ١٣٩٢ .

١٩٧ - مشكاة المصابيح ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، المعروف بالخطيب التبريزي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،

- المكتب الإسلامي بيروت ، ط ٣ / ١٤٠٥ .
- ١٩٨ - مصطلحات إسلامية ، لمحيي الدين القضماني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط ١ / ١٤١٠ .
- ١٩٩ - المصنف ، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق وتخريج وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ / ١٤٠٣ .
- ٢٠٠ - المصنف في الأحاديث والآثار ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ، حققه وصححه عامر العمري الأعظمي ، الدار السلفية .
- ٢٠١ - معالم التنزيل = تفسير البغوي ، للحسين بن مسعود البغوي ، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة بيروت ، ط ١ / ١٤٠٦ .
- ٢٠٢ - معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، ط ٢ / ١٤٠١ .
- ٢٠٣ - معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط ١ / ١٤٠٨ .
- ٢٠٤ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي ، حققه وعلق حواشيه وصنع فهرسه محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب بيروت ، ١٣٦٧ .
- ٢٠٥ - معجم الأدباء ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢٠٦ - المعجم الأوسط ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن الحسيني ، دار الحرمين بالقاهرة ، ط ١ / ١٤١٥ .

- ٢٠٧ - معجم البلدان ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٢٠٨ - المعجم الصغير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ط ٢ .
- ٢٠٩ - معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وضع مجمع اللغة بالقاهرة .
- ٢١٠ - المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ .
- ٢١١ - معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، حققه وضبطه : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ .
- ٢١٢ - المعلم بفوائد مسلم ، لأبي عبد الله المازري ، تحقيق وتعليق محمد الشاذلي النيفر ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط ٢/١٩٩٢ .
- ٢١٣ - المغني في أبواب العدل والتوحيد ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، حققه جماعة من الباحثين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
- ٢١٤ - المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت .
- ٢١٥ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة .
- ٢١٦ - الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة .
- ٢١٧ - الملل والنحل ، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ، تحقيق ألبير نصر ، دار المشرق .

- ٢١٨ - المنمق في أخبار قریش ، لابن حبيب البغدادي ، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، ط ١/١٤٠٥ .
- ٢١٩ - منهاج السنة النبوية ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١/١٤٠٦ .
- ٢٢٠ - الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركائه .
- ٢٢١ - النسب ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق ودراسة مريم محمد خير الدرع ، دار الفكر ، ط ١/١٤١٠ .
- ٢٢٢ - نقائض جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وضع حواشيه خليل منصور ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١/١٤١٩ .
- ٢٢٣ - النكت والعيون = تفسير الماوردي ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ودار الكتب العلمية ، ط ١/١٤١٢ .
- ٢٢٤ - نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- ٢٢٥ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، لأحمد بن علي القلقشندي ، دار الكتب العلمية ببيروت .
- ٢٢٦ - النهاية في غريب الحديث ، لأبي السعادات المبارك بن محمد مجد الدين بن الأثير ، تحقيق طاهر محمد الزاوي ود/ محمود الطناحي ، المكتبة العلمية .

- ٢٢٧ - الوافي بالوفيات ، لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، اعتناء
هلومت ريتز ، ستوتغارت ١٤١١ .
- ٢٢٨ - الوساطة بين المتنبي وخصومه ، لعللي بن عبد الحزير الجرجاني ،
تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة	٥
مقدمة التحقيق	٧
القسم الأول: الدراسة: وفيها فصلان:	١٣
الفصل الأول: وفيه خمسة مباحث	١٥
المبحث الأول: ترجمة مؤلف الأصل	١٧
المبحث الثاني: ترجمة الشارح	٢٠
المبحث الثالث: منهج الشرح	٢٣
المبحث الرابع: طبقات الكتاب	٢٥
المبحث الخامس: وصف النسخة الخطية	٢٧
الفصل الثاني: في الجاهلية ، وفيه أربعة مباحث	٢٩
المبحث الأول: تعريف الجاهلية	٣١
المبحث الثاني: أنواع الجاهلية	٣٥
المبحث الثالث: حكم مخالفة أهل الجاهلية	٣٩
المبحث الرابع: صور المخطوطة	٤٥
القسم الثاني: الكتاب محققاً	٤٩
مقدمة الشارح	٥١

٥٣	مقدمة مؤلف الأصل
٥٥	المسألة الأولى: التعبد بإشراك الصالحين
٥٧	الثانية: التفرق
٥٩	الثالثة: مخالفة ولي الأمر
٦١	الرابعة: التقليد
٦٢	الخامسة: الاقتداء بفسقة العلماء والعباد
٦٣	السادسة: الاحتجاج بالمتقدمين
٦٥	السابعة: الاحتجاج بالكثرة
٦٧	الثامنة: الاستدلال على بطلان الشيء بغرابته
٦٨	التاسعة: الاحتجاج بذوي القوة والفهم والمال
٧١	العاشرة: الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله
٧٣	الحادية عشرة: الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ الضعفاء به
٧٦	الثانية عشرة: رمي من اتبع الحق بعدم الإخلاص
٧٧	الثالثة عشرة: التكبر والأنفة عن قبول الحق بسبب سبق الضعفاء
٧٨	الرابعة عشرة: الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم أولى لو كان حقاً
٧٩	الخامسة عشرة: الخطأ في فهم القياس
٨٣	السادسة عشرة: الغلو في العلماء والصالحين
٨٥	السابعة عشرة: الاعتذار بعدم الفهم
٨٨	الثامنة عشرة: التعصب للمذهب
٩٠	التاسعة عشرة: الاعتياض عن كتاب الله بكتب السحر
٩٢	المسألة الموفية للعشرين: التناقض في الانتساب
٩٣	الحادية والعشرون: تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه
٩٤	الثانية والعشرون: تحريف العلماء كتب الدين

الثالثة والعشرون: انحرافهم في الولاء والبراء	٩٥
الرابعة والعشرون: عدم قبولهم الحق الذي مع غيرهم	٩٦
الخامسة والعشرون: ادعاء كل طائفة أنها الناجية	٩٧
السادسة والعشرون: إنكار ما أقرّوا أنه من دينهم	٩٩
السابعة والعشرون: التعبد بكشف العورات	١٠١
الثامنة والعشرون: التعبد بتحريم الحلال	١٠٤
التاسعة والعشرون: الإلحاد في أسماء الله وصفاته	١٠٧
المسألة الموفية للثلاثين: نسبة النقائص إلى الله	١١١
الحادية والثلاثون: تنزيههم المخلوق عما نسبوه للخالق	١١٧
الثانية والثلاثون: القول بالتعطيل	١١٩
الثالثة والثلاثون: الشركة في الملك	١٢٠
الرابعة والثلاثون: إنكار النبوات	١٢٣
الخامسة والثلاثون: الضلال في القدر	١٢٥
السادسة والثلاثون: مسبة الدهر	١٣٣
السابعة والثلاثون: إضافة نعم الله إلى غيره	١٣٧
الثامنة والثلاثون: الكفر بآيات الله	١٤٠
التاسعة والثلاثون: اشتراء كتب الباطل واختيارها على الآيات	١٤٢
المسألة الموفية للأربعين: القدح في حكمة الله	١٤٤
الحادية والأربعون: الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم	١٤٩
الثانية والأربعون: الغلو في الأنبياء والرسل	١٥١
الثالثة والأربعون: الجدال بغير علم	١٥٢
الرابعة والأربعون: الكلام في الدين بلا علم	١٥٣
الخامسة والأربعون: الكفر باليوم الآخر	١٥٥

- السادسة والأربعون: التكذيب بقوله - تعالى - ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ١٥٦
- السابعة والأربعون: التكذيب بقوله تعالى: ﴿لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ ١٥٧
- الثامنة والأربعون: التكذيب بما جاء في القرآن من شروط الشفاعة .. ١٥٨
- التاسعة والأربعون: قتل أولياء الله والذين يأمرون بالقسط من الناس . ١٥٩
- المسألة الموفية للخمسين: الإيمان بالجبت والطاغوت ١٧٢
- الحادية والخمسون: لبس الحق بالباطل ١٧٤
- الثانية والخمسون: التعصب للمذهب ١٧٦
- الثالثة والخمسون: تسمية اتباع الإسلام شركاً ١٧٧
- الرابعة والخمسون: تحريف الكلم عن مواضعه ١٧٨
- الخامسة والخمسون: تلقيب أهل الهدى بالصائبة والحشوية ١٨٠
- السادسة والخمسون: افتراء الكذب على الله ١٨٩
- السابعة والخمسون: رمي المؤمنين بطلب العلو في الأرض ١٩٠
- الثامنة والخمسون: رمي المؤمنين بالفساد في الأرض ١٩٢
- التاسعة والخمسون: رمي المؤمنين بتبديل الدين ١٩٣
- المسألة الموفية للستين: الفرع إلى القوة حين يُغلبون بالحجة ١٩٤
- الحادية والستون: تنقضهم لما تركوا الحق ١٩٥
- الثانية والستون: دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ٢٠٠
- الثالثة والستون: الزيادة في العبادة ٢٠١
- الرابعة والستون: النقص من العبادة ٢٠٢
- الخامسة والستون: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق ٢٠٣
- السادسة والستون: تعبدهم بالمكاء والتصدية ٢٠٥
- السابعة والستون: النفاق ٢٠٧

٢٠٨	الثامنة والستون: الدعوة إلى الضلال بغير علم
٢٠٩	التاسعة والستون: الدعوة إلى الكفر مع العلم
٢١٠	المسألة الموفية للسبعين: المكر الكبار
٢١١	الحادية والسبعون: حال أئمتهم
٢١٣	الثانية والسبعون: زعمهم الاختصاص بولاية الله
٢١٦	الثالثة والسبعون: الكذب في دعوى محبة الله
٢١٨	الرابعة والسبعون: التمني على الله الأمانى الكاذبة
٢٢١	الخامسة والسبعون: اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد
٢٢٤	السادسة والسبعون: اتخاذ آثار الأنبياء مساجد
٢٢٩	السابعة والسبعون: اتخاذ السرج على القبور
٢٣٠	الثامنة والسبعون: اتخاذ القبور أعياداً
٢٢٢	التاسعة والسبعون: الذبح عند القبور
٢٣٥	الثمانون: التبرك بآثار المعظمين
٢٣٧	الحادية والثمانون: الفخر بالأحساب
٢٣٧	الثانية والثمانون: الاستسقاء بالأنواء
٢٣٧	الثالثة والثمانون: الطعن في الأنساب
٢٣٧	الرابعة والثمانون: النياحة
٢٤٠	الخامسة والثمانون: تعيير الرجل بفعل غيره
٢٤٢	السادسة والثمانون: الافتخار بولاية البيت
٢٤٥	السابعة والثمانون: الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء عليهم السلام
٢٤٨	الثامنة والثمانون: الافتخار بالصنائع
٢٤٩	التاسعة والثمانون: عظمة الدنيا في قلوبهم
٢٥٣	التسعون: ازدراء الفقراء

الحادية والتسعون: عدم الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم	
الآخر	٢٥٨
الثانية والتسعون: الإيمان بالجبوت والطاغوت وتفضيل دين المشركين	
على دين المسلمين	٢٦٠
الثالثة والتسعون: كتمان الحق مع العلم به	٢٦١
الرابعة والتسعون: القول على الله بلا علم	٢٦٢
الخامسة والتسعون: التناقض الواضح	٢٦٣
السادسة والتسعون: العيافة	٢٦٤
السابعة والتسعون: الطرق	٢٦٤
الثامنة والتسعون: الطيرة	٢٦٤
التاسعة والتسعون: الكهانة	٢٦٤
المئة: التحاكم إلى الطاغوت	٢٦٤
الفهارس	٢٦٧
فهرس الآيات	٢٦٩
فهرس الأحاديث والآثار	٢٨٠
فهرس الأعلام	٢٨٣
فهرس الأبيات	٢٨٧
فهرس الأمم والقبائل والأحلاف والأديان والفرق والمذاهب	٢٩٠
فهرس الكتب الواردة في الكتاب	٢٩٢
فهرس المراجع	٢٩٣
فهرس الموضوعات	٣١٧

